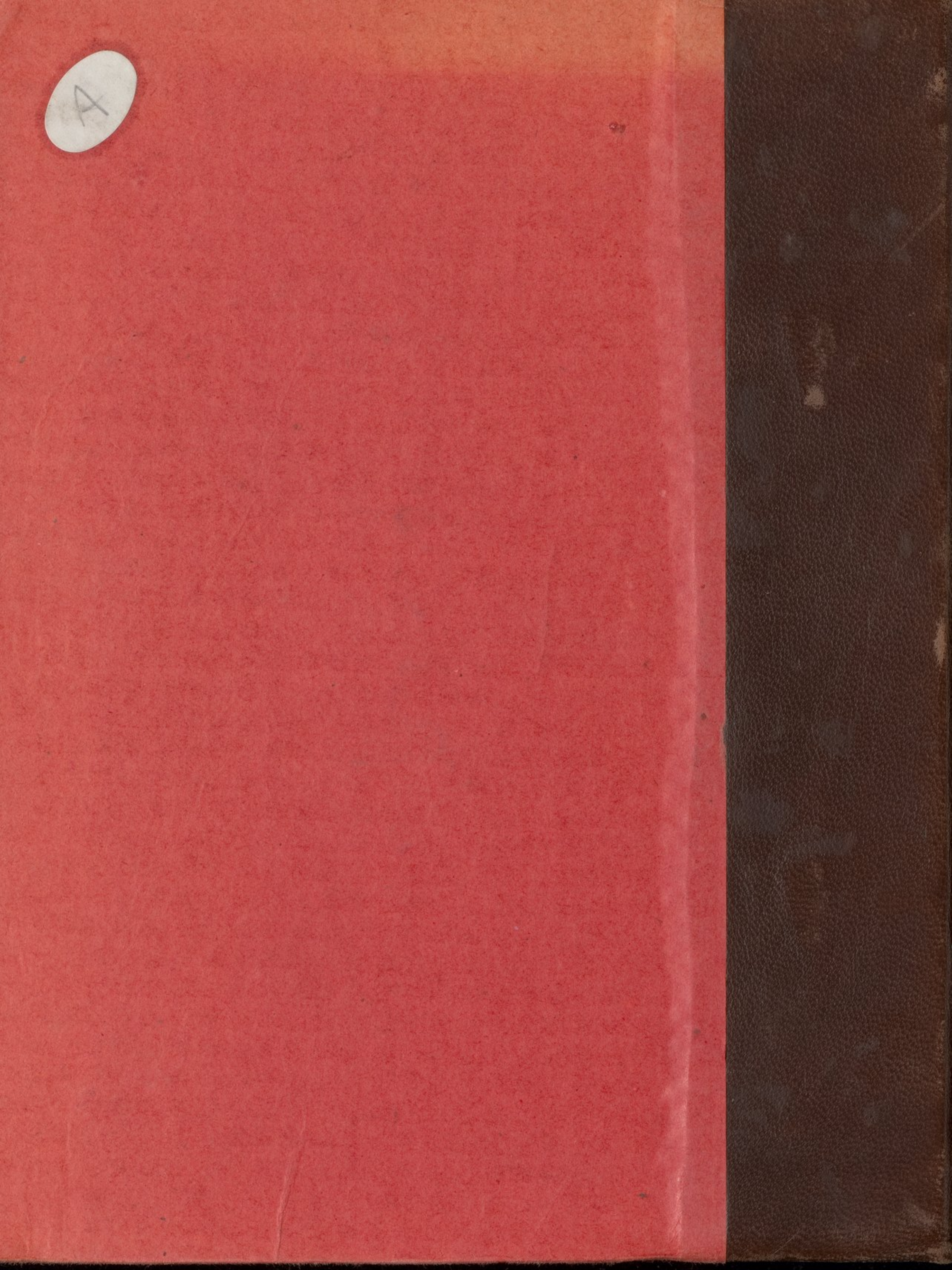
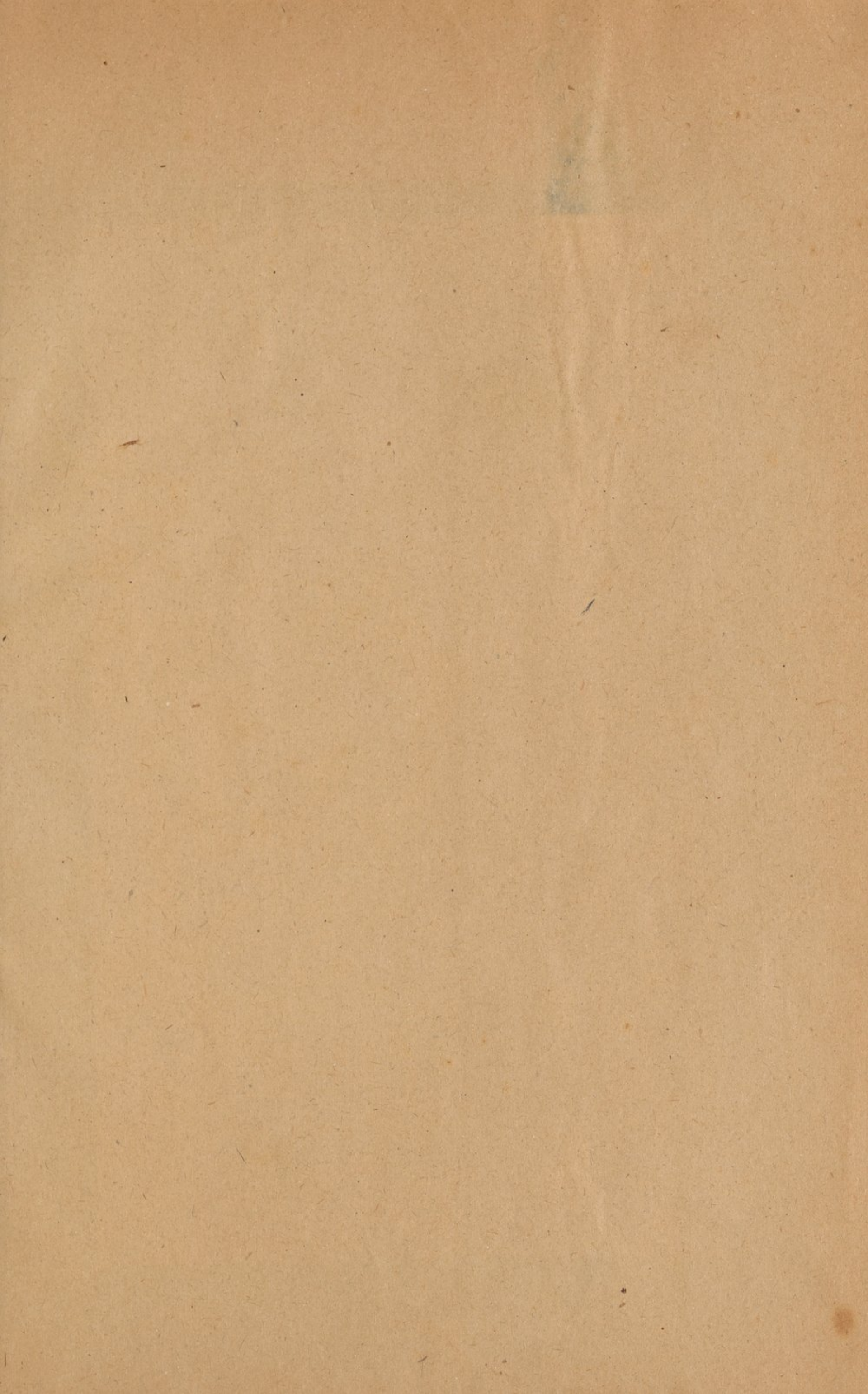
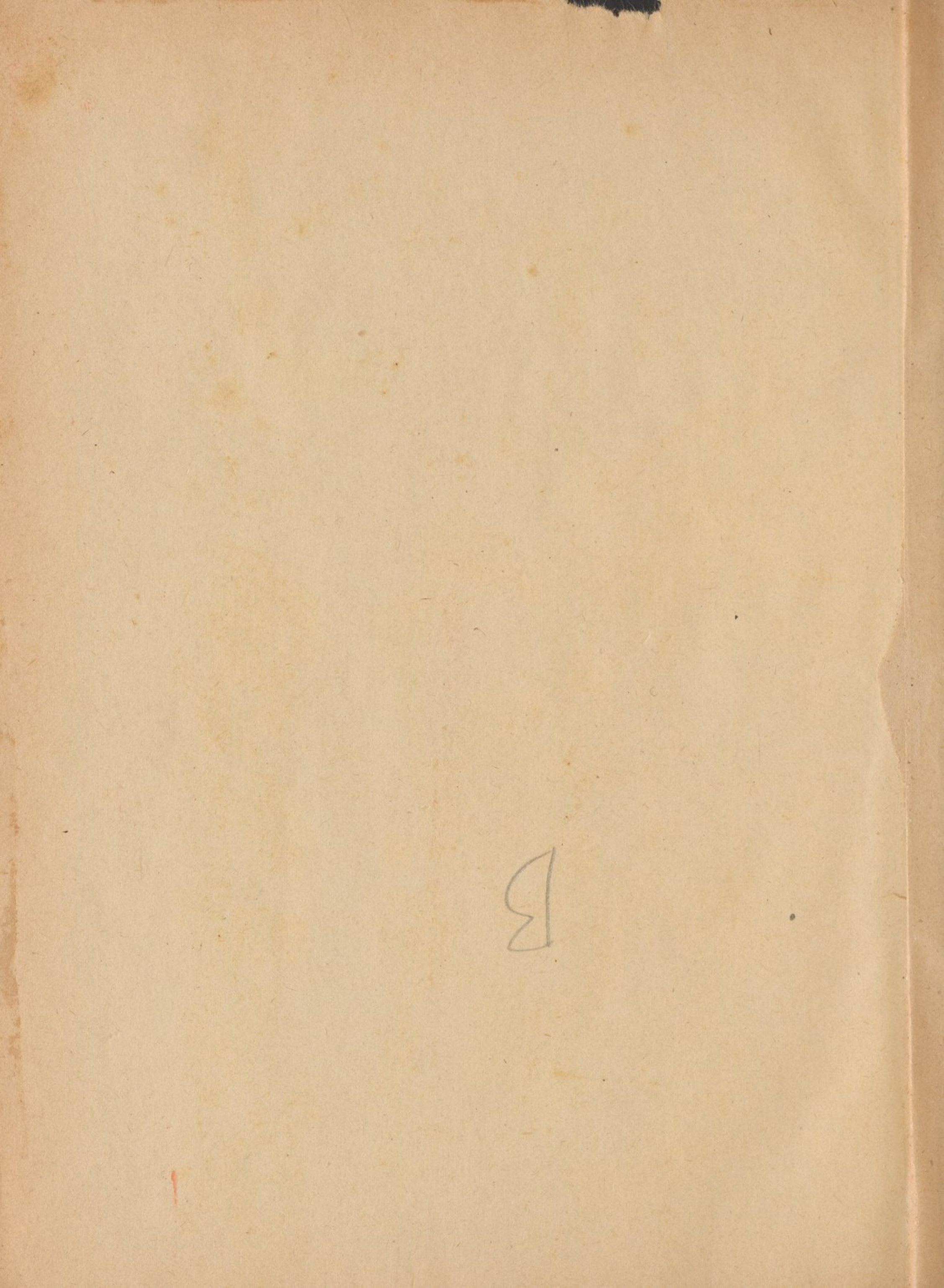
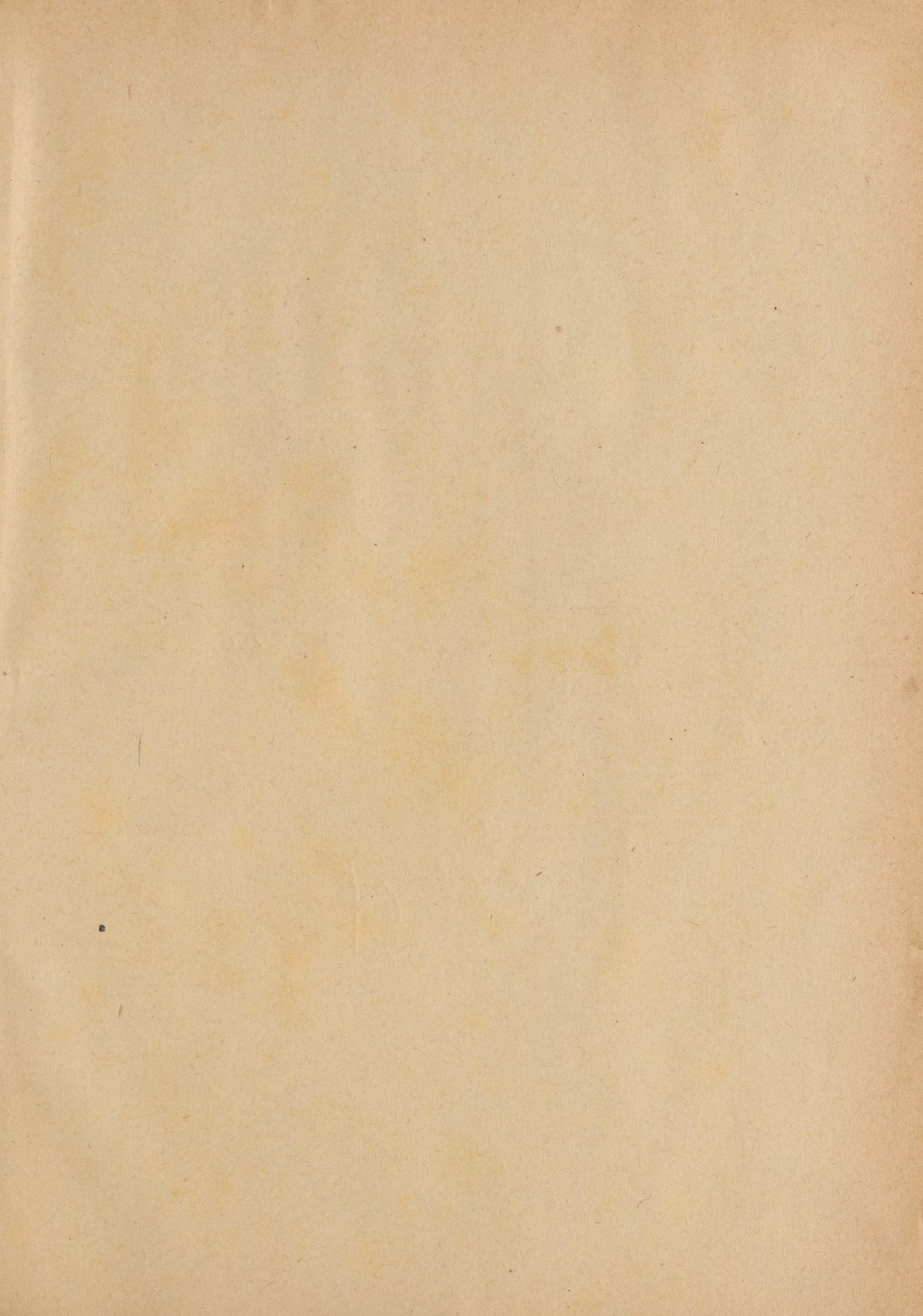





Princeton University Library
32101 077797338







اللهم صل على مولانا وحبيبنا
آله وصحبه وس

اللهم صل الله نور الوجود

لا اله الا الله محمد رسول الله

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى
للإمام العالم العارف بالله
الكامل سيدنا أبي الفضل
عياض بن موسى بن عياض
اليحصبي رضي الله
عنه ونفعنا
به آمين
آمين
٢

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى
الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما
الباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما وأسبغ على أوليائه
نعما عما وبعث فيهم رسولا من أنفسهم أنفسهم عربا وعجما وأزكاهم
محتدا ومنمى وأرجحهم عقلا وحلما وأوفرهم علما وفهما وأقواهم
يقينا وعزما وأشدهم بهم رأفة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه
عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به أعينا عميا وقلوبا غلفا
وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة
قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما
ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى صلى الله عليه وسلم
صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وسلم تسليما أما بعد فإن شرح الله
قلبي وقلبك بأنوار اليقين ولكشف لي ولك بما كشف به لأوليائه المتقين
الذين شرفهم بنزل قدسه وأوحشهم من الخليقة بأنسه وخصهم من معرفته
ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه
عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره
فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته
يترددون وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فإنك كررت على السؤال في

مجموع

مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه السلام وما يجب له من توقير
واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه
الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وايمتنا في ذلك من مقال وابينه
بتنزيل صور وامثال **فاعلم اكرمك الله** انك حملتني من ذلك
امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقى
صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير
فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى
الله عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول
والرسالة والنبوءة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية
وها هنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل
تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها
الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد **لكني** لما رجوته لي ولك
في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه
العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به
من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا
ايمانا ولما اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه
ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي
عليه قال **ثنا** الحسين بن محمد **ثنا** ابو عمر النمري **ثنا** ابو محمد بن عبد المومن
ثنا ابو بكر محمد بن بكر **ثنا** سليمان بن الاشعث **ثنا** موسى بن اسماعيل **ثنا** حماد
ثنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة
فبادرت الى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤدية من ذلك الى الشق
المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال
بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل
فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان



خير أن يجعل شغله وهمه كله فيما ينجيه غدا ويرفع محله فليس ثم سوى نضرة النعيم أو عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيد وعلم نافع يفيده أو يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وعفا عن عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إليه زلفى ويحظينا بمنه ورحمته

ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله

ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى

وحصرت الكلام في أقسام أربعة

القسم الأول

في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب

الباب الأول

في ثنائه تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول

الباب الثاني

في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا

الباب الرابع

فيما أظهره تعالى على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا

القسم الثاني

فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في أربعة

أبواب

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول

الباب الثاني

في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول

الباب الثالث

في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول

الباب الرابع

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول

القسم الثالث

فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه **وهذا القسم أكرمك الله** هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التأليف وعند التقصي لموعده والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ أنواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا

الباب الثاني

في أحواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول

القسم الرابع

في تصريف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه سب او نقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول

الباب الثاني

في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي عليه السلام وصحبه واختصرت الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا

قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من الفهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات والكرامات البينة التي شاهدها من

من عالم بمجاوزة احاط من ابن ركعا وعليها على تفيير من جلالة بعزة حتى انتهى على حقيقة ذلك الينا وفاضت انوارها علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله فيما قرأته عليه قال **ثنا** ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا **ثنا** ابو يعلى البغدادي قال **ثنا** ابو علي السنجي قال **ثنا** محمد بن احمد بن محبوب **ثنا** ابو عيسى بن سورة الحافظ قال **ثنا** اسحاق بن منصور **ثنا** عبد الرزاق **انا** معمر عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه

اعلم ان في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية **قال** السمرقندي وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم **قال الفقيه القاضي الامام رحمه الله** اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه

نهاية الحرج ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من
حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم
وأخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم **قال** بعضهم أعطاه اسمين
من أسمائه رؤوف رحيم **و**مثله في الآية الأخرى قوله تعالى لقد من الله على
المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية **و**في الآية الأخرى هو الذي
بعث في الأميين رسولا منهم الآية **و**قوله تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم
وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام
في قوله تعالى من أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم
سفاح كلنا نكاح **قال** ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم
فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية **وعن** ابن عباس
رضي الله عنه في قوله وتقلبك في الساجدين قال من نبي إلى نبي حتى أخرجتك
نبيا **وقال** جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك
لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينهم وبينه مخلوقا من
جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرا
صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال عز وجل من يطع
الرسول فقد أطاع الله **و**قال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين **قال** أبو بكر
ابن طاهر رحمه الله زين الله تعالى **محمدا** عليه السلام بزينة الرحمة فكان كونه
رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي
في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله تعالى يقول
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال
صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم **و**كما قال عليه السلام إذا أراد
الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا **قال** السمرقندي
رحمة للعالمين يعني للجن والإنس **و**قيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة
للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب **قال ابن عباس** رضي
الله عنه هو رحمة للمؤمنين وللكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم

وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه
الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى علي بقوله تعالى
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله
عنه في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من
اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى الله نور السموات
والارض الاية قال كعب وابن جبير رضي الله عنهما المراد بالنور الثاني هنا
محمد عليه السلام وقوله تعالى مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم
وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال
مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد
بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان
والحكمة يوقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام وضرب المثل
بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد عليه
السلام تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الاية غير هذا
والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا
منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا
قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر
هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنه شرحه بالاسلام وقال
سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر
قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل
ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا
لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي في قول
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال الفقيه

القاضي رحمه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله
عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بأن
شرح قلبه للإيمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه
ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه
على الدين كله وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه
للناس ما نزل إليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره
وقرانه مع اسمه اسمه **قال** قتادة رحمه الله رفع الله ذكره في الدنيا
والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله **وروى** أبو سعيد الخدري رضي
الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام فقال
إن ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله أعلم قال
إذا ذكرت ذكرت معي **قال ابن عطاء** جعلت تمام الإيمان بذكرك معي
وقال أيضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني **قال** جعفر بن محمد
الصادق رضي الله عنه لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية
وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته
بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى وأطيعوا الله والرسول وآمنوا
بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام
في غيره عليه السلام **حدثنا** الشيخ أبو علي الحسين بن محمد
الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال **نا** أبو عمر
النمري قال نا أبو محمد بن عبد المؤمن نا أبو بكر بن داسة نا أبو داود
السجزي نا أبو الوليد الطيالسي نا شعبة عن منصور عن عبد الله بن
يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن
أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم ما شاء فلان **قال**
الخطابي رحمه الله أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في
تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي

للنسق

للتسوية التي تنافي بجلالة الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر
أن خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس
خطيب القوم أنت قم أو قال اذهب قال أبو سليمان كره منه الجمع بين
الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره إلى أنه إنما كره
له الوقوف على يعصهما وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث الصحيح
أنه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف وقد اختلف المفسرون
وأصحاب المعاني في قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبيء هل يصلون
راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا فأجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة
التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية إن الله يصلي وملائكته
يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال من فضيلتك عند الله
أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد
قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية
روي أنه لما نزلت هذه الآية قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا
كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله عز وجل قل أطيعوا الله والرسول
فقرنها بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم
فقال أبو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي
وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه
أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي
العالية في قوله جل وعز صراط الذين أنعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن
فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين
أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى أنه محمد صلى الله

عليه وسلم وقيل ابن سلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين
اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي
صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن
مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه
وسلم واصحابه

الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة

قال الله تعالى يا ايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية
جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف
من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي
من خصائصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا
الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو
محمد بن عتاب رحمه الله قال ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان
ثنا فليح ثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي
قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه
لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبيء انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا
لا اله الا الله ويفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر

بمثله عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار رضي الله عنهما وفي بعض
طرقه عن ابن إسحاق ولا صخب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه والبر
شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو
والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والإسلام
ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع
به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد
العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة
وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وفي حديث آخر
أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي أحمد
المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة أمته الحمادون لله
على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبيء الآية من الآيتين
وقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال السمرقندي
ذكر الله منته أنه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا
خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا
هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال أبو الحسن القابسي
أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية
وفي قوله تعالى في الآية الأخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية
وقوله تعالى وسطا أي عدولا خيارا ومعنى هذه الآية وكما
هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خيارا عدولا
لتشهدوا للأنبياء على أممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق وقيل إن الله جل جلاله
إذا سأل الأنبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا
نذير فتشهد أمة محمد للأنبياء عليهم السلام ويزكيهم النبي صلى الله

بعد

عليه وسلم وقيل تعني الآية انك حجة على كل من خالفك حكاه السمرقندي
وقوله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال
قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم
يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم عليه السلام وعن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه
وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل التستري هي سابقة رحمة اودعها
في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين
والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه
عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد من خطابه إياه مورد الملاطفة والمبرة

فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال أبو محمد
مكي قيل هذا استفتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله وقال عون بن
عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم
ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا
الكلام لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم أذنت
لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند
الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته
نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب
بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو
لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام
الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته
ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية

وليتأمل مثل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب **وقال تعالى** ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا **قال** بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات التي ان تشغلكم الشهادات وذلك ترتيب المزيد أي في قبول ما يعملون به من المنكرات وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية **ثم انظر** كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته **ومثله** قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الآية **قال** علي رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الآية **وروي** أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله الآية **ففي** هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه به في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا **وقال** الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب **وقيل** لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه **ومن** قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك **ومما** ذكر من خصائصه وبره

الله تعالى بيان ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح
يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكرياء يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها
الرسول ويا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا
انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله
ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد
وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر
والتشريف قال ابن عباس رضي الله عنه ما خلق الله عز وجل وما ذرا
وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى
اقسم بحياة احد غيره وقال ابو الجوزاء ما اقسم الله تعالى بحياة احد غير
محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن
الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه
ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق رضي الله عنه
انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي
الله عنه يس يا انسان اراد محمدا عليه السلام وقال هو قسم وهو من
اسماء الله وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن
ابن الحنفية رضي الله عنه يس يا محمد وعن كعب رضي الله عنه يس
قسم اقسم الله عز وجل به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد
انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم
كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان
كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته

اقسم

أقسم تعالى باسمه وكتابه أنه من المرسلين بوحيه إلى عباده وعلى صراط مستقيم
من إيمانه أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم
يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه عليهم السلام بالرسالة في كتابه إلا له
وفيه من تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتمجيده على تأويل من قال إنه يا سيد ما
فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقال تعالى
لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد قيل لا أقسم به إذا لم تكن فيه
بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة أي أقسم به وأنت به يا محمد حلال
أو حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال
الواسطي أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني
المدينة والأول أصح لأن السورة مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وأنت حل بهذا
البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الأمين قال أمنها
الله بمقامه فيها وكونه بها فإن كونه عليه السلام أمان حيث كان ثم
قال تعالى ووالد وما ولد من قال أراد آدم عليه السلام فهو عام ومن قال هو
إبراهيم عليه السلام وما ولد فهي إن شاء الله تعالى إشارة إلى محمد صلى الله
عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب
قال ابن عباس رضي الله عنه هذه الحروف أقسام أقسم الله بها وعنه
وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الألف هو الله
تعالى واللام جبريل عليه السلام والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا
القول السمرقندي ولم ينسبه إلى سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد بهذا
القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الأول يحتمل القسم أن هذا الكتاب حق
لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء
في قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم
للقرآن وقيل اسم لله وقيل جبل محيط بالأرض وقيل غير هذا وقال جعفر
ابن محمد في تفسير والنجم إذا هوى إنه محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد

صدري انشرح من انوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى
والفجر وليال عشر الفجر محمد لانه منه تفجر الايمان

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده

قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام **وقيل** بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة **قال القاضي** تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه **الاول** القسم له عما اخبره به من حاله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة **الثاني** بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك **وقيل** ما اهملك بعد ان اصطفاك **الثالث** قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى **قال ابن اسحاق** اي ما لك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا **وقال سهل** اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا **الرابع** قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة **قال ابن اسحاق** يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة **وقيل** يعطيه الحوض والشفاعة **وروي** عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية في القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار **الخامس** ما عدده تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه **وقيل** آواه

او اقرب وقيل بينهما بما ارادت قبلا واعلا اليه وقيل المعنى انه نزل جبريل بمعروبك
فنا به واغشيته عنا بالله وذا رؤيته بينما فذكر له بنزل المنزل وانه على
المعلوم من التقسيم انه يتملك في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل في بنيه بسبب
ولادة عمه وفي قلالة بكيفه بقدر المتصاحبة واقصدا به الشاكر امتثاله
تعالى بالشكر لنعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادته ذكره بقوله
واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها ومن هذا قوله عليه للاقتداء
صلى الله عليه وسلم **وقال تعالى** والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات
ربه الكبرى **اختلف** المفسرون في قوله تعالى والنجم اذا هوى باقاويل
معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن **و**عن جعفر بن محمد انه محمد
صلى الله عليه وسلم **وقال** هو قلب محمد عليه السلام **وقد قيل** في قوله
تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم الثاقب
هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من
فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل جلاله على هداية المصطفى
وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله
جبريل عليه السلام وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء
وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من آيات ربه
الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه
عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به
العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية
الدالة على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب
الايجاز **وقال تعالى** لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن
تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى **وقال القاضي**
ابو الفضل رحمه الله واشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى
بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات في هذا المسرى من كل فؤاده

بدء خ

ولسانه وجوارحه وزكى قلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه
عليه السلام بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى **وقال تعالى** فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله تعالى وما
هو بقول شيطان رجيم اي اقسم الى قسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند من ارسله
ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده
مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي **قال علي** بن عيسى وغيره الرسول
الكريم هنا محمد عليه السلام بجميع اي وهذا بعيد على من تأمله **وقال** غيره هو
جبريل ومن جمع الاوصاف اليه **و**لقد رءاه يعني محمدا قيل رءاه ازله **و**قيل رءاه
جبريل في صورته **و**ما هو على الغيب بضنين اي بمتهم ومن قرأ بالضاد فمعناه ما هو
ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبتعلمه **وهذا لمحمد** عليه السلام باتفاق
وقال تعلى ن والقلم الآيات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على
تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله
محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون **وهذه** نهاية المبرة في المخاطبة
واعلى درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه تعالى بما له عنده من نعيم
دائم وثواب غير منقطع لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال تعلى وان لك
لأجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك
تتميما للتمجيد بحرف التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل
الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله **قال**
الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك
على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن
الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه
سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه تعالى عن قولهم بعد هذا
بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله تعالى فستبصر ويبصرون الثلاث
الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه
متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال

ض ولقد رءاه

ابعوارد بتخفيف القول وكثير ابن عبيد والتشديد ابن عيش ممنوع فيه وقال في عمرو الاعتقاد لا مانع منه ارفعت المبالغة وفيه نظر هشام

الذم فيه بقوله تعالى فلا تطع المكذبين إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم
ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله تعالى سنسمه
على الخرطوم فكانت نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على
عدوه أبلغ وأثبت في ديوان مجده

خ ورده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام

قال الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم
من أسمائه عليه السلام وقيل هو اسم الله تعالى وقيل معناه يا رجل
وقيل يا إنسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي أراد
يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر من الوطء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد
على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله
تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيره عن القاضي أبي الوليد الباجي
إجازة ومن أصله نقلت قال نا أبو ذر الحافظ قال نا أبو محمد الحموي نا إبراهيم
ابن خزيم الشاشي نا عبد بن حميد نا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر عن
الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع
الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن
لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه
من أسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل
هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن
لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا
ومثله قوله أيضا لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ
ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن هذا

الألباب. فقوله تعالى: فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله: ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة. وقوله تعالى: ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية. قال مكي: سلاه تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله. ومثل هذه التسلية قوله تعالى: وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك. ومن هذا قوله تعالى: كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون. عزاه الله تعالى بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك. ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله تعالى: فتول عنهم فما أنت بملوم، أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت. ومثله قوله تعالى: واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا، أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك. سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى.

الفصل السابع

فيما أخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته

قال الله تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة إلى قوله تعالى: من الشاهدين. قال أبو الحسن القابسي: استخص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية. قال المفسرون: أخذ الله تعالى الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به. وقيل: أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم. وقوله تعالى: ثم جاءكم، الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد عليه السلام. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم يبعث الله نبيا من آدم عليه السلام فمن بعده إلا أخذ الله عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه. ونحوه عن السدي وقتادة في

الذي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح إلى قوله وكيلا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره عليهم السلام قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها النبي ويا أيها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي من شيعة محمد لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه صلوات الله عليه

على

مثل الذر

عليه السلام بعده

عليه السلام

قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اذ ما كنت بمكة فلما
خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المومنين نزل وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله
ولولا رجال مومنون الاية فلما هاجر المومنون نزلت وما لهم الا يعذبهم
الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرا به العذاب عن
اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم
عذبهم بتسليط المومنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم
ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر **حدثنا القاضي**
الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه نا ابو الفضل بن خيرون وابو
الحسين الصيرفي نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن احمد بن
محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن اسماعيل
بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى علي امانين
لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين **قال** صلى الله عليه وسلم انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل
من الاختلاف والفتن **وقال** بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان
الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظروا
البلاء والفتن **وقال الله تعالى** ان الله وملائكته يصلون على النبي
ابان الله تعالى فضل نبيه عليه السلام بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته
وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه **وقد** حكى ابو بكر بن فورك ان بعض
العلماء تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا اي
في صلاة الله تعالى وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيامة **والصلاة**
من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله تعالى رحمة **وقيل** يصلون يباركون
وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة

فانتظروا

بعض العلماء عليه عندنا

استغفار

والبركة

والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كاف اي كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده له قال تعالى وايدك بنصره
والعين عصمته له قال تعالى والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه
قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين قيل الانبياء وقيل الملائكة
عليهم السلام وقيل ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل علي عليه السلام وقيل
المومنون على ظاهره

خ رضوان الله عليه

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته عليه السلام

خ صلى الله عليه وسلم

قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله تعالى يد الله فوق ايديهم تضمنت
هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه
ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من
القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له
غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك
مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره
منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر
عليك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك
فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها
له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره
النصر العزيز ومنته على امته المومنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم
وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك
عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال
تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعدد محاسنه وخصائصه عليه

لك

السلام من شهادته تعالى على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا من الهم
بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا من عصاه بالعذاب وقيل
محذرا من الضلالات لتؤمنوا بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه
أي تجلّوه وقيل تنصروه وقيل تبالغوا في تعظيمه وتوقروه أي تعظموه وقرأه
بعضهم تعززوه بزاءين من العز والأكثر والكلام أن هذا في حق محمد صلى الله عليه
وسلم ثم قال تعالى وتسبحوه فهذا راجع إلى الله تعالى قال ابن عطاء
رحمه الله جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح
المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة وهي
من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من
العيوب وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة
وقال جعفر بن محمد رضي الله عنه من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه
وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج
حتى ما زاغ البصر وبعثه إلى الأسود والأحمر وأحل له ولأمته الغنائم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله
أحد ركني التوحيد ثم قال تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
يعني بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك يد الله فوق أيديهم
يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه
استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع
صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز وهذا في
باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله و
رميه وقدرته عليه ومسببه ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث
وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد
قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم
وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم

عليه السلام

وعدا

مثل

با

الآية

العربي

بالجزع إذ ان منبعث الرفق كانت من قبل الله فهو الفاعل والراحم بالمعنى
وأنت بالبدن فتنبه

الفصل العاشر فيما أظهره في كتابه العزيز من كبير اعتنائه عليه ومكانته عنده وما خصه به

من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل ومن ذلك
ما نصه تعالى من قصة الإسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك
عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله وإذ يمكر بك
الذين كفروا الآية وقوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به
عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا في أمره والأخذ
على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الآيات
ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره أهل الحديث والسير في
قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فصل
لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر أعلمه الله تعالى بما أعطاه والكوثر حوضه
وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل
النبوة وقيل المعرفة ثم أجاب الله تعالى عنه عدوه ورد عليه فقال تعالى
إن شانئك هو الأبتر أي عدوك ومبغضك والأبتر الحقير الذليل أو المفرد الوحيد
أو الذي لا خير فيه وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الأول والقرآن العظيم أم القرآن وقيل
السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القرآن
من أمر ونهي وبشرى وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم
وقيل سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد
صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون سائر الأنبياء عليهم السلام وسمى
القرآن مثاني لأن القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات

وبشر

وادخرها

الهدى، والنبوة، والرحمة، والشفاعة، والولاية، والتعظيم، والسكينة
وقال وأنزلنا إليك الذكر الآية وقال وما أرسلناك إلا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وقال قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الآية وقال
الفقيه القاضي رضي الله عنه فمن خصائصه وقال تعالى وما
أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله
عليه وسلم إلى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت إلى الأحمر والأسود وقال
تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم قال أهل التفسير أولى
بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد
على عبده وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس وأزواجه أمهاتهم أي هن
في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن
له أزواج في الآخرة وقد قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف
وقال تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم
بالنبوة وقيل بما سبق في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال
الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم

رحمه الله خ

له خ

الباب الثاني
في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا صلى الله عليه وسلم

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم
أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة ومكتسبة
دينية وهي ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى ثم هي على فنين أيضا منها
ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فأما الضروري المحض فما
ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال
صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه
واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة

حياته الدنيا من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد
تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن
على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة **وأما**
المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين
والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود
والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن
الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق **وقد** يكون من
هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه
فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه
إن شاء الله وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار
الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا
في موجب حسنها وتفضيلها

فصل

قال القاضي رحمه الله إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا
الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب
أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه
الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال
رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد
ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة
النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب
والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام
المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة
بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة
عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء الرضى
والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح
الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة

خ أو أوان

وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك ومفضله به **لا إله غيره** إلى ما أعده له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم

فصل

إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا **فاعلم** نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائزا جميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع **أما الصورة وجمالها** وتناسب أعضائه عليه السلام في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وأبي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من رضي الله عنهم من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب الأشفار أبلج أزج أقنى أفلج مدور الوجه ∴ واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره ∴ سواء البطن والصدر ∴ عظيم المنكبين ∴ ضخم العظام ∴ عبل العضدين والذراعين والأسافل ∴ رحب الكفين والقدمين ∴

ح ص
الفاضل

خ
الخلقة

ح
العداء بعين مهملة مفتوحة ودال مهملة مشددة آخره ألف ممدودة وقد أغفلها الشارح اليحري ه شهاب

ح
خريم بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وميم مصغر

تسلسل

سائل الأطراف، أنور المتجرد، دقيق المسربة، ربعة القد، ليس بالطويل البائن
ولا القصير المتردد، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى
الله عليه وسلم، رجل الشعر، إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن
مثل حب الغمام، إذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه، أحسن الناس عنقا ليس
بمطهم ولا مكلثم، متماسك البدن، ضرب اللحم. **قال البراء** ما رأيت من ذي لمة
في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. **وقال** أبو هريرة رضي
الله عنه ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس
تجري في وجهه، وإذا ضحك يتلألأ في الجدر. **وقال** جابر بن سمرة رضي الله عنه
وقال له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ فقال لا بل
مثل الشمس والقمر وكان مستديرا. **وقالت** أم معبد رضي الله عنها
في بعض ما وصفته به: أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب. **وفي
حديث** ابن أبي هالة رضي الله عنه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر.
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم.
والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسرد جميعها، وقد
اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها، وجملة مما فيه الكفاية في القصد إلى المطلوب
إن شاء الله، وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنا إن
شاء الله تعالى

فصل 3

وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد
فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره، ثم تممها بنظافة الشرع
وخصال الفطرة العشر. وقال بني الدين على النظافة. **حدثنا** سفيان
بن العاصي وغير واحد قالوا نا أحمد بن أحمد بن عمر نا أبو العباس الرازي نا
أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا جعفر بن سليمان
عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب
من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم. **وعن** جابر بن سمرة رضي الله عنه

رضي الله عنه

زع
وجهه

انه صلى الله عليه وسلم مسح خدي قال فوجدت ليده بردا او ريحا كأنما اخرجها
من جؤنة عطار قال غيره مسحها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه
يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه رضي الله عنهما بقارورة
تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا
وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري رحمه الله في تاريخه الكبير عن
جابر رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد
الا عرف انه سلكه من طيبه عليه السلام وذكر اسحاق بن راهويه ان تلك
كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر رحمه الله
اردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان
ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه
وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله
وفاحت لذلك رائحة طيبة وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا
عن عائشة وانها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تأتي الخلاء فلا نرى منه
شيئا من الاذى فقال يا عائشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء
فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة
الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه
الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك
ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم
منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم
لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي عليه السلام
غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا
فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله
قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه
شرب مالك بن سنان رضي الله عنه دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى

الله

الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار **ومثله** شرب عبد
الله بن الزبير دم حجامته صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه **وقد روي** نحو من
هذا عنه عليه السلام في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع
بطنك أبدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده **وحديث**
هذه المرأة التي شربت بوله عليه السلام صحيح ألزم الدارقطني مسلما
والبخاري إخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة رضي الله عنها بركة واختلف
في نسبها وقيل هي أم أيمن وكانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت
سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل
بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم روى حديثها
ابن جريج وغيره **وكان** صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد
مختونا مقطوع السرة **وروي** عن أمه آمنة أنها قالت ولدته نظيفا
ما به قذر **وعن عائشة** رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط **وعن علي** رضي الله عنه أوصاني النبي صلى
الله عليه وسلم لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه
وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لأنه كان صلى الله
عليه وسلم محفوظا

فصل

وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته
وحسن شمائله فلا مرية أنه كان عليه السلام أعقل الناس وأذكاهم
ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة
مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع
دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان
عقله وثقوب فهمه لأول بديهة وهذا مما لا يحتاج إلى تقرير لتحققه

وقد قال وهب بن منبه رحمه الله قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت
في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم
رايا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع
الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه
وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين
يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه
صلى الله عليه وسلم اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس رضي الله عنه
في الصحيحين وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة
زاده الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي
كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي
وحكى بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله
عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في
رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى
صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده
وقد حكي عنه عليه السلام انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما
وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب
بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من
خواص الانبياء وخصالهم صلى الله عليه وسلم تسليما كما اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني
حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها نا الشريف ابو الحسن علي بن محمد
الحسني نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن سليمان نا محمد بن محمد بن
مرزوق نا همام نا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى
عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة

عليه السلام

عشرة من أبيه ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا عليه السلام بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد
جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه إلى
الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث
مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة
رضي الله عنه ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مشيه كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي
صفته أن ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت معا وإذا مشى مشى تقلعا
كأنما ينحط من صبب

فصل

وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك
بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع * وبراعة منزع *
وإيجاز مقطع * ونصاعة لفظ * وجزالة قول * وصحة معان * وقلة
تكلف * أوتي جوامع الكلم * وخص ببدائع الحكم * وعلم ألسنة فكان يخاطب
كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها * ويباريها في منزع بلاغتها *
حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفصيل
قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار
وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن
ابن حارثة العليمي والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقيال
حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه إلى همدان إن لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم
ما سلموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل
والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر
وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن
آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يا بني

العرب

خ وتفسير

نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة
ولا تثاقل عن الصلاة وكتبه لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض
والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد
طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الإماق وتأكلوا الرباق من أقر فله
الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة ومن كتابه
عليه السلام لوائل بن حجر إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب
وفي التيعة شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي
السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما
ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في
فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الأقيال أين هذا
من كتابه لأنس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا
الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ استعملها معهم
ليبين للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث
عطية السعدي فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال
فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله عليه السلام في
حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك أي سل
عما شئت وهي لغة بني عامر وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة
وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها
ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله عليه
السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من
سواهم وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في
صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار
مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم
وقوله عليه السلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن
أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا

معا الرماق
زع وبه
مع لا مقورة
خ فاصقعوه
ع زع المشهور
مع عما
صلى الله عليه وسلم

الذين يألفون ويؤلفون وقوله عليه السلام لعله ان يتكلم بما لا يعنيه
ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه
عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات
ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون
بغيضك يوما ما وقوله عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله
في بعض دعائه اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها
امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني
بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك الفوز
في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته
الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته
وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها
سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر
احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس ومات
حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها
ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له
اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني
وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من
قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد
الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد
في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن
وكان جهير الصوت حسن النغمة صلوات الله عليه وسلم

فصل

قال القاضي رحمه الله واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فـ

كان يتكلم

سيئة تـ
وخير الامور
اوسطها

عليه السلام

قال رحمه الله

لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فإنه صلوات الله عليه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله قال القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف ثنا أبو ذر عبد بن أحمد ثنا أبو محمد السرخسي وأبو إسحاق وأبو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه **وعن** العباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا **وعن** واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم **قال** الترمذي وهذا حديث صحيح **وفي** حديث عن ابن عمر رضي الله عنه رواه الطبري أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم **وعن** ابن عباس رضي الله عنه أن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم عليه السلام ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله تعالى

صلى الله عليه وسلم

ثنا

قال فقال

تخير

في

يتخلص من آفات الأخلاق الكريهة وأن يعالج العلل بمداواة حتى أخرج من بين أبويه
ثم يلتقيها على سياج فكه ويستمد بهمته من هذا الخبر شعر العباس رضي
الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور

فصل

وأما فائدة ضرورة البدن مما فطلبناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب العقل
في قلته وضرب العقل في كثرته وضرب تختلف الأحوال فيه فأما التمدح
والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم
تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لأن كثرة الأكل والشرب
دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا
والآخرة جالب لأدواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته
دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر
وحدة الذهن كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء
والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة
وينقل متواترا من كلام الأمم المتقدمة والحكماء السالفين وأشعار العرب
وأخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد
عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين بالأقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو
الذي أمر به وحض عليه لا سيما بارتباط أحدهما بالآخر حدثنا
أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال ثنا أبو الفضل الأصبهاني قال
ثنا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا أبو بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح
حدثني معاوية بن صالح أن يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب رضي الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه
حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث
لشرابه وثلث لنفسه ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب قال

شبعان الثوري رحمه الله بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض
السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد
روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على
ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتل جوف
النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما
ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وقد
يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله عليه السلام الم ار البرمة فيها
لحم اذ لعل سبب سؤاله عليه السلام كونه صلى الله عليه وسلم
اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه
مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم كونه وبين لهم
ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة
لقمان عليه السلام يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ذو النون لا يفلح العلم لمن
ياكل حتى يشبع وفي صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا
آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس كالتربع وشبهه
من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه
الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان
جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل
العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق
عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك
الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي وكان نومه صلى الله عليه وسلم على جانبه الايمن استظهارا
على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به
من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك
الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق

فصدق عليهم

جلوسه

فالشرع الإضافة ولم يعمد الى الاستغراق

فصل

والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه
أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية
ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية
وأما في الشرع فسنة مأثورة **وقد** قال ابن عباس رضي الله عنه
أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إليه صلى الله عليه وسلم **وقد**
قال عليه السلام تناكحوا تكثروا فإني مباه بكم الأمم ونهى عن
التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله
عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج
حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد **قال** سهل قد حببن إلى سيد المرسلين
فكيف نزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضي الله
عنهم كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح **وحكي** في ذلك عن
علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد أن يلقى الله عزبا
فإن قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن
زكرياء عليهما السلام قد أثنى الله عليه أنه كان حصورا فكيف يثني
الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من
النساء ولو كان كما قررته لنكح **فاعلم** أن ثناء الله تعالى على
يحيى عليه السلام بأنه حصور ليس كما قال بعضهم إنه كان هيوبا أو
لا ذكر له بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة
وعيب ولا تليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه معصوم من
الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها **وقيل** مانعا نفسه من الشهوات
وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا أن عدم القدرة
على النكاح نقص وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها إما بمجاهدة
كعيسى عليه السلام أو بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة

زائدة لكونهما مشغلة في كثير الأوقات عما كلفنا أي الدنيا قسم منهي
في حق من آثر عليهما وتملكهما وقام بالواجب فيهما ولم تشغله عن ربه درجة
عليا ومنزلة رفيعة نبينا صلى الله عليه وسلم إذ لم تشغله كثرتهن عن
عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه
لهن وهدايته إياهن بل صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت
من حظوظ دنيا غيره فقال صلوات الله وسلامه عليه حبب إلي من
دنياكم ثلاث فدل أن حبه لما ذكر من النساء والطيب اللتي هي من أمور
دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها
في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولأنه أيضا مما يحض على الجماع
ويعين عليه ويحرك أسبابه وكان حبه لهاتين الفضيلتين لأجل غيره وقمع
شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه
ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال عليه السلام
وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى
عليهما السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى
الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير منه ولهذا أبيح
له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره **وقد روينا** عن أنس أنه صلى الله
عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن إحدى
عشرة قال أنس كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي
وروي نحوه عن أبي رافع وعن طاوس أعطي عليه السلام قوة أربعين
رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم **وقالت** سلمى مولاته كان
النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي
الأخرى وقال هذا أطهر وأطيب **وروي** نحوه عن أبي رافع **وقد** قال سليمان
صلى الله عليه وسلم لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين
وأنه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه كان في ظهر سليمان عليه
السلام ماء مائة رجل وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية

شاغلة

عليه السلام

التي هي من أمور

عليه السلام

عليه السلام

وصلى

وحكى النقاش وغيره سبع مائة امرأة وثلاث مائة سرية وقد كان لداود
صلى الله عليه وسلم على زهده وأكله من عمل يده تسعة وتسعون امرأة
وتمت بزوج أوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى
إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث أنس رحمه الله عنه
عليه السلام فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة
الجماع وقوة البطش وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة
وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيها في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى
الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول
وذم العلو في الأرض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة
في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا
أمره وقضوا حاجته وأخبار ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان
يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت
من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث أبي مسعود رضي
الله عنه أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم هون عليك فإني لست بملك الحديث فأما عظيم قدره بالنبوة وشرف
منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وبذا وعلى
معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم بأسره

فصل

وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر
بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند
العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكن أغراضه وإلا فليس
فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في

بسببه
فضيلة

ثباته وثبات من اعتزاله واقله وتخصصه في تواضعه مشتريا به المعالي
والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الرشد
وان احرقه في فضول البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة
كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه
وجوهه حريصا على جمعه عاد كثيره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم
يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في مهواة رذيلة البخل ومذمة النذالة
فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل
به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه
وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء
بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل
لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده
شيء والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء

فانظر سيرة نبينا عليه السلام وخلقه في المال تجده قد اوتي
خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله
وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم
فما استأثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى
به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه
دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت
منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال
الآن استرحت صلى الله عليه وسلم **ومات** ودرعه مرهونة في
نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان عليه السلام يلبس ما وجده فيلبس في
الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره

اقبية

اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر إذ المباهاة في
الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات
النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس
مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين وقد
ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس إنما يعود إلى الفخر
بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة
المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الأرض وجبي إليه
ما فيها وترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر
بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائدا عليها في الفخر ومعرق في المدح
بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي
اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد
منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة
الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهي المسماة
بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون
الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا عليه السلام على
الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك
فقال وإنك لعلى خلق عظيم **قالت عائشة** رضي الله عنها كان
خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه **وقال** عليه السلام بعثت
لأتمم مكارم الأخلاق وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحسن الناس خلقا **وعن علي** بن أبي طالب رضي الله عنه
مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته
لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية
وهكذا لسائر الأنبياء عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم

أن بعثهم مقرون بذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم
صلوات الله على جميعهم بل غرزت فيهم مخايل الأفلاح وفي الجبلة وأودعوا
العلم في الصغر إذ **قال الله تعالى** وآتيناه الحكم صبيا **قال**
المفسرون أعطاه الله فهم العلم بكتاب الله في حال صباه وقال
معمر كان ابن سنتين أو ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال ألِلّعب
خلقت **وقيل** في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى
عليهما السلام وهو ابن ثلاث سنين فشهد له أنه كلمة الله وروحه
وقيل صدقه وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم عليهما السلام
إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام
عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها ولا تحزني على قراءة من قرأها من تحتها وعلى
قول من قال إن المنادي عيسى عليه السلام ونص على كلامه في مهده فقال
إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا **وقال تعالى** ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان عليه السلام وهو
صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داوود أبوه
داوود عليهما السلام **وحكى** الطبري أن عمره كان حين أوتي الملك اثني
عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون وأخذه بلحيته
وهو طفل **وقال** المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من
قبل أي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه
قبل إبداء خلقه وقال بعضهم لما ولد إبراهيم صلى الله عليه وسلم
بعث الله إليه ملكا يأمره عن الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه
فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده وقيل إن إلقاء إبراهيم عليه
السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وإن ابتلاء إسحاق
عليه السلام بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وإن استدلال إبراهيم عليه
السلام بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل
أوحي إلى يوسف عليه السلام وهو صبي عندما هم إخوته بإلقائه في الجب

زكريا ولادته اياها

بقول

يقول الله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الآية إلى غير ذلك مما
ذكر من أخبار غيرهم **وقد حكى** أهل السير أن آمنة بنت وهب
أخبرت أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى
الأرض رافعا رأسه إلى السماء وقال في حديثه لما نشأت بغضت إلي
الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله
إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد **ثم** يتمكن الأمر لهم وتترادف
نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية
ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة
النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ أشده واستوى
آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم من يطبع على بعض الأخلاق دون جميعها
ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد
من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة وصدق اللسان والسماحة
كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت
الناس فيها وكل ميسر لما خلق له **ولهذا** ما قد اختلف السلف فيها
هل هذه الخلق جبلة أو مكتسبة **فحكى** الطبري عن بعض السلف أن الخلق
الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه
قال وهو الصواب ما أصلناه **وقد روى** سعد عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب **وقد قال**
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه الجبن والجرأة غرائز يضعها
الله حيث يشاء وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا
نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها إن
شاء الله تعالى

فصل

أما أصلها فمرجعها وعنصرها ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه
ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة

والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد أشرنا إلى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الأقاصيص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع. وبحسب عقله عليه السلام كانت معارفه صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله تعالى وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه

فصل

وأما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الألقاب فرق فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف **روى** أن النبي صلى

صلى الله عليه وسلم — ع: متحقق

خ: أتى — ع: عليه السلام

خ: تقرير

صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عليه السلام عن
تأويلها فقال له جبريل عليه السلام حتى أسأل العالم ثم ذهب ثم أتاه فقال
يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وقال له واصبر على ما أصابك الآية **وقال تعالى** فاصبر كما صبر أولوا
العزم من الرسل **وقال تعالى** وليعفوا وليصفحوا الآية **وقال تعالى**
ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور **ولا** خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وإن
كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد
مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما **حدثنا** القاضي
أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا ثنا محمد بن عتاب ثنا أبو بكر بن
وافد القاضي وغيره ثنا أبو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك
عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى
الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان
أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك
حرمة الله تعالى فينتقم لله بها **وروي** أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت
رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت
عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة **اللهم** اهد قومي
فإنهم لا يعلمون **وروي** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في بعض
كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على
الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد
وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون **قال القاضي أبو الفضل**
رحمه الله انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق
وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت
عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر أو اهد
ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله عليه السلام لقومي ثم اعتذر عنهم

يحملهم فقال قبل فيهم لا يعلمون وقال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد
بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما
قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد
من اصحابه قتله **ولما** تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله
صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة
فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده
فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله
عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه
فقال جئتكم من عند خير الناس **ومن عظيم** خبره في العفو عفوه عن
اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم
يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه من
المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته عليه السلام قولا وفعلا بل قال لمن
اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه **وعن انس** رضي الله
عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي
بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه عليه السلام
ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحملني
من مالك ولا مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وقال المال مال الله
وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك
لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر ان
يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر **قالت عائشة** رحمها الله
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن
من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب
خادما ولا امرأة **وجيء** اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له
صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه

رضي الله عنها

ترع

زنير

المحفوظ سعنة بالنون

زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع
ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد
له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره
بحسن التقاضي ثم قال عليه السلام لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر
يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب إسلامه وذلك
أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا اثنتين
لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل إلا حلما فاختبرته بهذا
فوجدته كما وصف **والحديث** عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه
عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى
الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله تعالى عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد
على أن عفا وصفح وقال ما تقولون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ
كريم فقال عليه السلام أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم وهو أرحم الراحمين الآية اذهبوا فأنتم الطلقاء **وقال أنس**
هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخذوا فأعتقهم صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وهو الذي كف
أيديهم عنكم الآية **وقال** لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب
وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا أبا
سفيان ألم يأن لك أن تعلم **أن لا إله إلا الله** فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك
وأوصلك وأكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضبا
وأسرعهم رضى صلوات الله عليه وعلى آله

فصل

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة

وفرق بعضهم بينهما بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما
يعظم خطره ونفعه وسموه أيضا جرأة وهو ضد النذالة والسماحة
التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
والسخاء سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد
التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى
بهذا وصفه كل من عرفه **حدثنا** القاضي الشهيد أبو علي الصدفي
رحمه الله قال القاضي أبو الوليد الباجي قال أبو ذر الهروي قال أبو الهيثم
الكشميهني وأبو محمد السرخسي وأبو إسحاق البلخي قالوا أبو عبد الله الفربري
قال البخاري نا محمد بن كثير نا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد
الله رضي الله عنه يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا
وعن أنس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس رضي الله عنه كان
النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان وكان
إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة **وعن** أنس رضي الله عنه
أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى بلده وقال أسلموا فإن محمدا
يعطي عطاء من لا يخشى فاقة وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان
مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت خلقه صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث
وقد قال له ورقة إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها
وكانوا ستة آلاف وأعطى العباس رضي الله عنه من الذهب ما لم يطق
حمله وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها
فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع
علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه
فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق
ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في
وجهه وقال بهذا أمرت ذكره الترمذي **وذكر** عن معوذ بن عفراء أتيت النبي صلى
الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني

بملء كفيه حليا وذهبا قال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا
لغد وعن أبي هريرة رضي الله عنه أتى رجل النبي صلى الله عليه
وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء
الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل والأخبار
بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثيرة

فصل

وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها
دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف
الصعبة وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر
ولا يتزحزح وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه
عليه السلام حدثنا القاضي أبو علي الجياني فيما كتب لي قال نا
القاضي سراج نا أبو محمد الأصيلي نا أبو زيد الفقيه نا محمد بن يوسف نا
محمد بن إسماعيل نا ابن بشار نا غندر نا شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء
رضي الله عنه وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء
وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد
غيره أنا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه وقال غيره نزل
النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه
قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع
وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر
رضي الله عنه ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى

ها

ثنا

ن النبي

ثم كذا بالمسلمين

إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا **وقيل** كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه **وعن أنس** كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا **وقال عمران** بن حصين رضي الله عنه ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب **ولما رآه أبي** بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا **وقيل** بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة

فصل

وأما الحياء والإغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله **والإغضاء** التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله سبحانه إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية **حدثنا** أبو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه ثنا أبو القا

[margin] ... أقبال الى سبعة او تسعة او اثني عشر على اختلاف فيه هضاب

حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبدان ثنا عبد الله انا شعبة عن قتادة قال
سمعت عبد الله مولى انس رضي الله عنه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا
كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الكلام
لا يشافه احدا بما يكره حياء وكرم نفس **وعن عائشة** رضي
الله عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال
فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه
ولا يسمي فاعله **وروى** انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له
شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا
ويروى ينزعها **قالت عائشة** في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام
وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما **وروي** عنه عليه السلام انه
كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام
اليه مما يكره **وعن عائشة** رحمها الله ما رأيت فرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط

فصل

واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع
اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة **قال علي** رضي الله عنه
في وصفه عليه السلام كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم
عريكة واكرمهم عشيرة **حدثنا** ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما
اجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا ابو اسحاق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس
ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا هشام بن مروان ومحمد بن المثنى قالا ثنا
الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن
عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد رضي الله عنهما قال زارنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف
قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف
فانصرفت **وفي رواية** أخرى اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها
وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه
ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم
عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن
سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء **بهذا وصفه** ابن أبي
هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب
ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه **وقال
الله تعالى** فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك **وقال** تعالى ادفع بالتي هي أحسن الآية وكان عليه السلام يجيب من
دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها **قال أنس** رحمه الله
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لي
لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته **وعن** عائشة رضي الله
عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من
أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك **وقال** جرير بن عبد الله رضي الله عنه ما
حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم **وكان**
عليه السلام يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم
في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى
المدينة ويقبل عذر المعتذر **قال أنس** ما التقم أحد أذن النبي صلى الله
عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده

ومن يرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام **وروى** أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب **قال عبد الله** بن الحارث رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم **وعن** أنس رحمه الله كان خدم المدينة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك

فصل

وأما الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم **وقال تعالى** وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رءوف رحيم وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك **حدثنا** الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه قال نا إمام الحرمين أبو علي الطبري قال نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا أبو الطاهر أنا ابن وهب أنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب نا سعيد بن المسيب أن صفوان قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي **وروي** أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال

ع ز م
بمد

م خ ز
يأتونه

خ
بجميع

ع م ز
يطلب

آحسنت الليلة؟ قال ابن عمر: بل ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه
فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه وزاده شيئا، ثم قال
أحسنت الليلة؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم: إنك قلت ما قلت، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت
فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك، قال: نعم، فلما
كان الغد أو العشي جاء، فقال صلى الله عليه وسلم: إن هذا الأعرابي قال ما قال
فزدناه فزعم أنه رضي، أكذلك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا،
فقال صلى الله عليه وسلم: مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناقتي
فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض
فردها حتى جاءت واستناخت، وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو
تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار. وروي عنه صلى الله
عليه وسلم قال: لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا، فإني أحب أن أخرج
إليكم وأنا سليم الصدر. ومن شفقته على أمته عليه السلام
تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم
كقوله عليه السلام: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء
وخبر صلاة الليل، ونهيهم عن الوصال، وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت
أمته، ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم، وأنه كان يسمع بكاء
الصبي فيتجوز في صلاته. ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا
ربه وعاهده فقال: أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة
وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة. ولما كذبه قومه أتاه
جبريل عليه السلام فقال له: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك،
وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه
وقال: مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. قال النبي صلى الله
عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم ونفيه أباهم

تعنت

شيا

شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي
لعل الله ان يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة
علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت
تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل

واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة
الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسماعيل بقراءتي عليه قال نا
ابو بكر محمد بن محمد نا ابو اسحاق الحبال نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابي
نا ابو داود نا محمد بن يحيى نا محمد بن سنان نا ابراهيم بن طهمان عن
بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء
رضي الله عنه قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت
له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت
فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك
وعن انس رحمه الله كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال
اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب
خديجة وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت
على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها
واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها
واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان
حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من
غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي
فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه

اتيتها

السلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها
وإذا قام حملها **وعن** أبي قتادة رحمه الله وفد وفد للنجاشي فقام النبي
صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا
لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم **ولما** جيء بأخته من الرضاعة
الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها إن أحببت
أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها
فمتعها **وقال** أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام
إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه
فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته **وعن** عمر بن السائب أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق
ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه **وكان** يبعث إلى
ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل
من بقي من قرابتها فقيل لا أحد **وفي** حديث خديجة رضي الله عنها
أنها قالت له عليه السلام أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك
لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق

فصل

وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيا
ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل عليه السلام
عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم
القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع **حدثنا** أبو الوليد
ابن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه بمنزله في قرطبة سنة سبع
وخمسمائة قال ثنا أبو علي الغساني ثنا أبو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا

ز للنجاشي

عمرنا

صلى الله عليه وسلم

خ رتبته

ابن داسة

ابن داسة نا ابو داود نا ابو بكر بن ابي شيبة نا عبد الله بن نمير
عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي
امامة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
متوكئا على عصا فقمنا اليه فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم
بعضها بعضا **وقال** انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس
العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء
ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به
المجلس جلس **وفي** حديث عمر عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما
اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله **وعن**
انس رحمه الله ان امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك
حاجة فقال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى
اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت
من حاجتها **قال** انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم
بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة
فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي
اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة **هذا**
وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة **ولما** فتحت عليه
مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته
تواضعا لله **ومن** تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس
ابن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من
ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي **وقال** للذي
قال له يا خير البرية ذلك ابراهيم وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث ان
شاء الله **وعن** عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم
يزيد على بعض كان صلى الله عليه وسلم في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه

ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه
ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته
من السوق **وعن** أنس رضي الله عنه ان كانت الأمة من إماء اهل المدينة
لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي
حاجتها **ودخل** عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له هون
عليك فإني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد **وعن**
ابي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم
فاشترى سراويل وقال للوزان زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي
صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها
ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال
صاحب الشيء احق بشيئه أن يحمله

فصل

وأما عدله صلى الله عليه وسلم وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان
صلى الله عليه وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم
لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته
الأمين **قال** ابن إسحاق وكان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة
وقال تعالى مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على انه محمد صلى الله
عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر
حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل
نبوته فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به **وعن** الربيع بن خثيم
كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام
وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض
حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن
خيرون ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب

خ وتحازبت

المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا أبو كريب ثنا معاوية بن هشام عن
سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه أن أبا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به
فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما
أنت فينا بمكذب وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال
يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق أم كاذب
فقال أبو جهل والله إنه لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه
أبا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا وقال
النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم
وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما
جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه
عليه السلام أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل إن لم
أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول
الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان
إثما كان أبعد الناس منه قال أبو العباس المبرد رحمه الله قسم كسرى
أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب
واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون لكن
نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزء لله تعالى وجزء لأهله
وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة
ويقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع
آمنه الله يوم الفزع الأكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يأخذ أحدا بقرف أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر أبو جعفر
الطبري عن علي رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء

مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما
أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته فقلت ليلة لغلام
كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس
الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ثم لم أهم بعد
ذلك بسوء

فصل

وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن
هديه **فحدثنا** أبو علي الجياني فيما أجازنيه وقابلته على كتابه
قال نا أبو العباس الدلائي نا أبو ذر الهروي نا أبو عبد الله
الوراق نا اللؤلؤي نا أبو داود نا عبد الرحمن بن سلام نا
حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهب
سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في
مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه **وروى** أبو سعيد الخدري كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر
جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا **وعن** جابر بن سمرة رضي الله عنه
أنه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت
لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه
فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا
له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه
الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على
رؤوسهم الطير **وفي** صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هونا
كأنما ينحط من صبب **وفي** الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعا يعرف
في مشيه أنه غير غرض ولا وكل أي غير ضجر ولا كسلان **وقال** عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه إن أحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مشيته

وعن جابر

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل **قال ابن أبي هالة** رضي الله عنه كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر **قالت عائشة** رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة **ومن مروءته** صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والأمر بالأكل مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة

فصل

وأما زهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا فقد تقدم من أخبار أنشاء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول **اللهم** اجعل رزق آل محمد قوتا **حدثنا** سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا ثنا أحمد بن عمر قال ثنا أبو العباس الرازي قال ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا أبو الحسين بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله **وفي رواية** أخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال **وفي** رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى **وقالت** عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا **وفي حديث** عمرو بن الحارث ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة **قالت** عائشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال لي إني عرض علي أن

الرف بعض المسراد المتصلة وتشرع الغلو وشعر الكراو في الحايط ويكلو

على خشبة غليظة تنزع بين الارض تعزل لترفع ما يراد حفظه ومنه الرفوف ايضا وهو الذي في الحرب ان الخشب لا يستعمل ويضع عليها الصفرا عليها هشاما

ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما
اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك
وأثني عليك وفي حديث آخر أن جبريل صلى الله عليه نزل عليه فقال له
إن الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك
حيث ما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له وقد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول
الثابت وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن كنا آل محمد لنمكث شهرا ما
نستوقد نارا إن هو إلا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنه هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير
وعن عائشة وأبي أمامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس رضي الله
عنه كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا
لا يجدون عشاء وعن أنس رضي الله عنه ما أكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط
وعن عائشة رضي الله عنها إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدما حشوه
ليف وعن حفصة رضي الله عنها كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح
قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فإنه وطاءته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى
يؤثر في جنبه وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي
صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة إليه أحب
من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام
يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت
أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي
لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا
إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم

فقدموا

فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت
في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني
وأخلائي. قالت فما أقام بعد إلا أشهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه

فصل

وأما خوفه صلى الله عليه وسلم ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى
قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا أبو محمد بن عتاب
قراءة مني عليه قال نا أبو القاسم الطرابلسي نا أبو الحسن القابسي
نا أبو زيد المروزي نا أبو عبد الله الفربري نا محمد بن إسماعيل نا يحيى
ابن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي
الله عنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا. زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه
إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط
ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو
تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش
ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد. روي هذا
الكلام ولوددت أني شجرة تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح. وفي حديث
المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه. وفي
رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من
ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا. ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة
رضي الله عنهما. وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق. وقالت كان يصوم
حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم. ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة
وأنس رضي الله عنهم. وقال كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته
مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما. وقال عوف بن مالك رضي الله عنه
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي

موسى

[illegible]

رضي الله عنه

وقالت

فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فتعوذ
ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله ذي الجبروت والملكوت والعظمة
ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك
وعن حذيفة رضي الله عنه مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين
السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
وعن عائشة رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه أتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل
وقال ابن أبي هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكر
ليست له راحة وقال عليه السلام إني لأستغفر الله في اليوم مائة
مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب
أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم
سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين
قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في
الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي
إلى ربي

فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ

فصل

اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات
الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع
المحاسن هي مثل الصفات لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشري
والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم إذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم
أرفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين
وقد قال عليه السلام إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة
البدر ثم قال في آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه

ح في عزنه وربعته قال ابن حجر كقوله

السلام كقوله يشور ذعرا عائذا بالسماء **وفي** حديث أبي هريرة رضي الله
عنه رأيت موسى فإذا رجل ضرب رجل الشعر كأنه من رجال شنوءة ورأيت
عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس (أي حمام)
وفي حديث آخر فتبكي يعني البيت فقال وأنا أشبه ولد إبراهيم به
وقال في حديث آخر في صفة موسى عليه السلام كأحسن ما أنت راء من
أدم الرجال **وفي** حديث أبي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه ويروى إلا في
ثروة أي كثرة ومنعة **وحكى** الترمذي عن قتادة وروى الدارقطني (مرفوعا)
من حديث قتادة عن أنس ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا **وفي** حديث هرقل وسألتك
عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها
وقال تعالى في أيوب عليه السلام إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب
وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله ويوم يبعث حيا **وقال** تعالى أن
الله يبشرك بيحيى إلى الصالحين **وقال** تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحا
وآل إبراهيم وآل عمران إلى سميع **وقال** في نوح عليه السلام إنه كان عبدا
شكورا **وقال** تعالى إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح إلى الصالحين
وقال إني عبد الله آتاني الكتاب إلى قوله يوم أبعث حيا **وقال** يا أيها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال النبي صلى الله عليه
وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث
وقال تعالى عنه رب هب لي حكما الآية **وقال** في وصف جماعة منهم
إني لكم رسول أمين **وقال** إن خير من استأجرت القوي الأمين **وقال** فاصبر كما
صبر أولوا العزم من الرسل **وقال** تعالى ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا
إلى قوله تعالى فبهداهم اقتده فوصفهم بأوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء
والحكم والنبوة **وقال** تعالى فبشرناه بغلام حليم وعليم **وقال** ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم إلى أمين **وقال** ستجدني إن شاء الله من

من الصابرين وقال في اسماعيل عليه السلام انه كان صادق الوعد الآيتين
وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان عليه السلام نعم العبد انه أواب
وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار
الآية وفي داود عليه السلام انه أواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه
الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم وفي موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا
وقال عن شعيب عليه السلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال
تعالى وكلا آتينا حكما وعلما وقال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات
الآية قال سفيان رحمه الله هو الحزن الدائم في دابي كثيرا ذكر فضل
من خصالهم وقياس اخلاقهم الزائد على كمالهم وجاء عن ذلك في الاحاديث
كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث
انس رحمه الله وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان
سليمان عليه السلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء
تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذيذ الاطعمة وياكل خبز الشعير
واوحى الله تعالى اليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز
تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها
ويمضي وقيل ليوسف عليه السلام ما لك تجوع وانت على خزائن الارض
قال اخاف ان اشبع وانسى الجائع وروى ابو هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يامر بدابته فتسرج
فيفرغ القراءة قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا
له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان عليه السلام سال
ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الـ وقال صلى الله عليه
وسلم احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام

داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر
يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد
ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره
الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت
العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج
متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى
عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار
وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت ايثما ادركه النوم نام
وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام
لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال صلى
الله عليه وسلم لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك
احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب
بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني بسوء وقال مجاهد
كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى
في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري
عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من
حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما
اكرمه به من كلامه واخبارهم عليهم السلام في هذا كله مسطورة
وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمائل معروفة
مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في بعض كتب جهلة المؤرخين
والمفسرين مما يخالف هذا

فصل

قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال
العديدة واريناك صحتها له عليه السلام وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر
اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء

ز فقال

ع ز بالسوء

سقط ع ز لا

ع ز الصور
خ تلتفت

صلى الله عليه وسلم

وبحر علم صفا بحره زاخر لا تكدره الدلاء ولا تأتينا فيه بالمعروف فيه الكدرة
في التصحيح والتيسير من المتعلقات وافتتح نافذة الرب بقول من كل وعمدة من قبضه
ورأينا أن نختم هذا الفصل بحديث الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من
شمائله وأوصافه كثيرا وإدماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن
محمد الصدفي رحمه الله بقراءتي عليه في سنة ثمان وخمسمائة قال نا الإمام أبو
القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر
محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن
أحمد بن الحسن المحمي والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا نا
أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال نا ابن سعيد الهيثم بن
كليب الشاشي قال نا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال نا سفيان
ابن وكيع نا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه قال حدثني رجل
من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا
عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال
سألت خالي هند بن أبي هالة **قال القاضي** أبو علي رحمه الله وقرأت
على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني قال
وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون قالا نا أبو علي
الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي
قراءة عليه فأقر به قال أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن
جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن
أخي طاهر العلوي قال نا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن علي بن
الحسين رضي الله عنهم قال قال الحسن بن علي رحمه الله واللفظ لهذا السند
قال سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه

كذا عند ع ز

وكان

وكان وصّافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به **قال** كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر
اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت
عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون
واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب
اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج
سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد
دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر
فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين
اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر
الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين
والقدمين سائل الاطراف سبط العصب ورواه ابن الانباري سبط القصب
خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال
تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كأنما
ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض
اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من
لقيه بالسلام **قلت** صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير
حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم
فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة
وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض
للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار
بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى
بطن ابهامه اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل
ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام فلا احسن مما تشتها الحسين

خ ع أذنيه وفره

خ ز فاحمة

خ ع تماما

خ والقدمين شائل الاطراف وقال سائل الاطراف خ كذا عنده

خ معا ز السكوت

ع لشيء خ ع بإبهامه اليمنى راحته اليسرى

ابن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا
قال الحسين رضي الله عنه سألت ابي عليه السلام عن دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله صلى الله عليه وسلم لنفسه
مأذونا له في ذلك فكان اذا أوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة اجزاء جزءا لله
وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك
على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا وكان من سيرته في جزء الامة
ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو
الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم
فيما اصلحهم والامة من مسألته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم
ويقول ليبلغ الشاهد الغائب منكم وابلغوني حاجة من لا يستطيع
ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها
ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من
احد غيره يدخلون روادا قال في حديث سفيان بن وكيع زوادا ولا يفترقون
الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه
كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه
الا فيما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم
ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد
اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه
معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده
عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس
خيارهم افضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم
مواساة ومؤازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن
الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به

عن اخ ر
وقسمه

خ ع
منتلمتهم

خ
ويهونه

المجلس

المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن
أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو
المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد
وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق متقاربين
متفاضلين فيه بالتقوى **وفي** الرواية الأخرى صاروا عنده في الحق
سواء مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا
تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته ومن هنا الى الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون
فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا
الحاجة ويرحمون الغريب **فسألته** عن سيرته صلى الله عليه وسلم
في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل
الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث
الرياء والإكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيبه
ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث
من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم يضحك مما
يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق
ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء إلا
من مكافئ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام
هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد ابن حجر **فقلت** كيف كان
سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع من الناس
وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم في الصبر صلى الله عليه وسلم
فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسن ليقتدى
به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي في إصلاح أمته والقيام لهم

الحلم

بما جمع لهم من أمر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد الله

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

قوله المشذب البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر
ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كأنه مشط فتكسر قليلا
ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت من ذات
نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة ويروى عقيصته والأزهر اللون
نيّره وقيل الأزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها وهذا كما
قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم والأمهق هو الناصع
البياض والآدم الأسمر اللون ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب أي
فيه حمرة والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر والأقنى السائل
الأنف المرتفع وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف والقرن اتصال
شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن
والأدعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل العين وأسجر
العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الأسنان
وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب والفلج
فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو
لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر
لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم أي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن
وسواء البطن والصدر أي مستويهما ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة فيكون
من الإقبال وهو أحد معاني أشاح أي أنه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس
وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر أي ليس بمتقاعس
الصدر ولا مبطان ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما
وقع في الرواية الأخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤوس العظام وهو
مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب

والكث مجتمع الكثيف وشثن الكفين والقدمين غليظهما والزندان عظما
الذراعين وسائر الأطراف أي طويل الأصابع وذكر ابن الأنباري أنه روي
سائل الأطراف أو قال سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون أي صحت
الرواية بهما وأما على الرواية الأخرى وسائر الأطراف فإشارة إلى فخامة
جوارحه كلها وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة أي واسعها وقيل كنى
به عن سعة العطاء والجود خمصان الأخمصين أي متجافي أخمص القدم وهو
الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم وهذا قال ينبو عنهما الماء وفي
حديث أبي هريرة رضي الله عنه خلاف هذا قال فيه إذا وطئ بقدمه وطئ
بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح
ابن مريم عليهما السلام أي لم يكن له أخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا أيض
يخالفه قوله شثن القدمين ومسيح القدمين أي أملسهما والتقلع رفع الرجل
بقوة والتكفؤ الميل إلى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف
مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما
ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه أي لسعة فمه
والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب الغمام
البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة أي جعل من جزء نفسه
ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه إلى العامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم
يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا أي محتاجين إليه وطالبين لما
عنده ولا ينصرفون إلا عن ذواق أو قيل عن علم يتعلمونه ويشبه أن يكون على
ظاهره أي في الغالب والأكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة
المعاونة وقوله لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد
ورد نهيه عليه السلام عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث ومعناه أي حبس
نفسه على ذلك من صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم أي لا يذكرن بسوء ولا تنثى
فلتاته أي هفواته يعني أنه لم يكن فيه فلتة وإن كانت من الأحد سترت ويستر فرود

ز بالنون

خـ ومسيح القدمين أي أملسهما

ز لواذا

لـ

يعبرون عن الشجاع بـ الكثير العظام وفؤاده ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ
قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا من مكافئ على
يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم ويستعزه أي يستغلبه وفي حديث
ذا أخري وضمه فمنهوس العقب أي قليل لحمها وأهدب الأشفار أي طويل
شعرها انتهى التفسير والحمد لله

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها

بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين
من كرامته صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه

لا خلاف أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند الله
تعالى وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى **واعلم** أن الأحاديث
الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها
وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الأول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه

بالاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في
الدنيا من مزايا الرتبة وبركة اسمه الطيب **أخبرنا** الشيخ أبو محمد
عبد الله بن أحمد العدل نا إذنا بلفظه قال نا أبو الحسن الفرغاني نا أم
القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها نا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى
هو ابن إسماعيل عن يحيى الحماني نا قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم
الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى أصحاب اليمين وأصحاب
الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في
خيرها ثلثا وذلك قوله فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون
فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من

خ له

خ السابقون

خيرها

خير منا قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فأنا أتقى
ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها
بيتا وذلك قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية
وعن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله
متى وجبت لك النبوءة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن
الأسقع رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى
من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم فاصطفاني من بني هاشم وفي
حديث أنس رحمه الله أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي
حديث ابن عباس رضي الله عنه أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن
عائشة رضي الله عنها عنه عليه السلام أتاني جبريل فقال قلبت مشارق
الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولم أر بني أب
أفضل من بني هاشم وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا
فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضي الله
عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض
وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل
ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم
يلتقيا على سفاح قط وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رحمه الله فيه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق

خ الجنان
خ وقومه

في أبيات أخر وروى عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس
وأبو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم أنه قال أعطيت خمسا وفي

بعضهما ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي
الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت
لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة
وفي رواية بدل الشفاعة وقيل لي سل تعطه **وفي** رواية اخرى
وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع **وفي** رواية بعثت الى
الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من
السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس
والسود الجن **وفي** الحديث الاخر عن ابي هريرة رضي الله عنه نصرت بالرعب
واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت
في يدي **وفي** رواية اخرى وختم بي النبيئون **وعن** عقبة بن عامر
رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم وانا شهيد عليكم
واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني
والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تتنافسوا فيها
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة
النار وحملة العرش **وعن** ابن عمر رضي الله عنه بعثت بين يدي الساعة
وفي رواية ابن وهب انه عليه السلام قال قال الله تعالى سل يا **محمد**
فقلت ما اسأل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت
نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك
خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء
وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك
مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك **وفي** حديث اخر
رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا
مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب

٤٤ ز عنه

أي في الدنيا صح

واعطاني

واعطانا النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي
الغنائم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من
وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا
وقد اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت
وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة معنى
هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء
ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها
قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيامة وفيه كلام يطول هذا نبذته
وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر باب المعجزات **وعن**
علي رضي الله عنه كل نبي اعطي اربعة نجباء من امته واعطي نبيكم
اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار **وقال** صلى الله
عليه وسلم ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمومنين
وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار **وعن** العرباض
ابن سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابراهيم
وبشارة عيسى ابن مريم **وعن** ابن عباس رضي الله عنه قال ان
الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء
صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال
لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد عليه السلام
انا فتحنا لك الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم الاية وقال لمحمد عليه السلام وما ارسلناك الا
كافة للناس **وعن** خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر
رحمه الله وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم
يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين

خ العنابي خ رضي الله عنه

صلى الله عليه وسلم

ع ز نخط سبعة

خ ودعوة

خ وبشرى

حملت به أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاءني
رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال بأيديهم طست من
ذهب مملوءة ثلجا فأضجعاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري
إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة
سوداء فطرحاها ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى أنقياه
قال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار
الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه
وأمر الآخر يده على مفرق صدره فالتأم وفي رواية أن جبريل عليه
السلام قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان تسمعان
ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال
زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني
بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث
الآخر ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم
ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث
من قولهم ما أكرمك على الله إن الله معك وملائكته قال في حديث أبي
ذر فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو
محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عليه السلام
عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى وتقبل توبتي
فقال له الله تعالى من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا
لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند
قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية الآجري فقال
آدم عليه السلام لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب
لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمت أنه

تسمعان

لم / لم / ترع

معصيته

منسوب إلى الآجر بتشديد الراء نسبة معلوم

ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله تعالى
اليه وعزتي وجلالي انه لآخر الانبياء من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال
وكان آدم عليه السلام يكنى ابا محمد وقيل ابا البشر وروى عن سريج
ابن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتهم كل دار فيها احمد او
محمد اكراما لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي
الحمراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء
اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي
التفسير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى وكان تحته كنز
لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبت لمن ايقن بالقدر كيف ينصب
عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن
ابن عباس رضي الله عنه على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا
محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة
مكتوب لا اله الا الله محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر
السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه
مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر
الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا
الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة
نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام
وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك رحمه الله
سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نمى ورزقوا وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد
فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته
وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية قام خطيبا

خ منهم

خ عن ابيه

خ ورزقوا
ورزق جيرانهم

فقال يا معشر أهل الأحبار أن الله قد فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على
نسائكم تفضيل الأنبياء وعن عمر عليه السلام قال لم أخرج أن يكون
في بيته فقير وعنده دينار وذلك نسية

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية

وإمامة الأنبياء عليهم السلام والعروج به إلى
سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى

ومن خصائصه عليه السلام قصة الإسراء وما انطوت عليه من
درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار
قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى
المسجد الأقصى الآية وقال والنجم إذا هوى إلى قوله لقد رأى من آيات
ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به عليه
السلام إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا
نبينا عليه السلام فيه أحاديث كثيرة منتشرة رأينا أن نقدم أكملها
ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي والفقيه أبو بكر سماعا عليهما والقاضي أبو عبد الله التميمي
وغير واحد من شيوخنا قالوا نا أبو العباس العذري نا أبو العباس
الرازي نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا شيبان
ابن فروخ نا حماد بن سلمة نا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل
فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى
أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن
فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج بنا
إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد

في
انا

بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله عليه وسلم
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكرياء صلى
الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة
فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد
اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة
وذكر مثله فاذا انا بادريس صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير
قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة
فذكر مثله فاذا انا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى صلى الله عليه وسلم
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا
بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى
واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر
الله ما غشيها تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى
موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله
التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم
قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى
موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك
فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن
هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة
فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت

انا

دعيا

الى موسى فاخبره بعد الرجوع الى ربه بسؤاله التخفيف فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه **قال القاضي**
رحمه الله ورضي عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس
ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس
رحمه الله تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله
مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل
الوحي **وقد قال** شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر
قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي **وقد قال** غير واحد انها
كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا **وقد** روى ثابت عن انس من
رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من
حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت
المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم
عرج به من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره **وقد** روى يونس عن ابن
شهاب عن انس قال كان ابو ذر رضي الله عنه يحدث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله من ماء زمزم
ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه
ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة **وروى** قتادة الحديث بمثله
عن انس عن مالك بن صعصعة وفيه تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف
في ترتيب الانبياء في السماوات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود **وقد**
وقعت في احاديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في
غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح **وفيها**
من طريق ابن عباس رضي الله عنه ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع
فيه صريف الاقلام **وعن** انس رحمه الله ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة

المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة **وفي**
رواية أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس فقيل لي هذه السدرة المنتهى
ينتهي إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى
يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه
وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير
الراكب في ظلها سبعين عاما وإن ورقة منها مظلة للخلق فغشيها نور
وغشيتها الملائكة قال فهو قوله تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
الله تبارك وتعالى له سل فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته
ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داوود ملكا عظيما وألنت
له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له
الجن والإنس والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده
وعلمت موسى التوراة وعيسى الإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص
وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه
تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك
إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك
لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين
خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني ولم أعطها نبيا قبلك
وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك
وجعلتك فاتحا وخاتما **وفي** حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته
أعني موسى عليه السلام بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته
بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي **وفي** حديث أبي هريرة
رضي الله عنه وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم
فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام
وفي حديث أبي هريرة ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه
إلى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا

معك قال محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل اليه قال نعم
قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح
الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى
وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه
وسلم فقال وان محمدا أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي
الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي
الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي
أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع
عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم عليه السلام
بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء
نحو ما تقدم **وفي** حديث ابن مسعود رضي الله عنه وانتهى بي
الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من
الأرض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ
يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب **وفي** الرواية الأخرى فقال
فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي
خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات وقال
تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى الآية ورأى جبريل في صورته له ستمائة جناح
وفي حديث شريك أنه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله
قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم أظن أن يرفع
علي أحد **وقد روي** عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
صلى بالأنبياء عليهم السلام ببيت المقدس **وعن** أنس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم اذ دخل علي جبريل عليه
السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة
وقعدت في الأخرى فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء
وأنا أقلب طرفي ونظرت جبريل كأنه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله

خ فنمت

مطل

فضل علمه بالله عز وجل وفتح لي باب السماء ورأيت النور الأعظم ولُطّ
دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم أوحى الله إلي ما شاء أن يوحي
وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد الله أن يعلم
رسوله الأذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك
عبد أكرم على الله من **محمد** صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها
إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق إني
لأقرب الخلق مكانا وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر
أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق
عبدي أنا لا إله إلا أنا وذكر مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابا
عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم أخذ الملك بيد **محمد** فقدمه
فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح **قال** أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه
أكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السماوات والأرض **قال**
القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في
حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه
إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم
وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا إنهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب وإذ خرج ملك من الحجاب يجب
أن يقال إنه حجاب حجب به من وراءه من الملائكة عن الاطلاع على ما دونه من
سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل
عليه السلام عن الملك الذي خرج من ورائه إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت
قبل ساعتي هذه فدل على أن هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في
تفسير سدرة المنتهى قال إليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله

أعلى
ودونه

عن علي
أبو جعفر محمد
ابن علي بن
الحسين
راويه

لا يجاوزونها علمهم وأما قوله إذ يأتي الرحمان فيحمل على حذف المضاف أي يأتي عرش
الرحمان أو أمرا ما من عظيم آياته أو قبائل حفظة يوم معارجه مما هو أعلم به
كما قال تعالى وشأن الغريقة أن أمثالها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق وأنا أكبر
فيحمل من أنه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى لا من وراء حجاب كما قال تعالى
وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب الآية ومن لا يرى الحجب
بصره عن رؤيته فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه
في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله أعلم

فصل

ثم اختلف السلف والعلماء هل كان إسراؤه بروحه أو جسده على ثلاث
مقالات فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم
أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن
الحسن والمشهور عنه خلافه وإليه أشار محمد بن إسحاق وحجتهم قوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضي الله
عنها ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم وقول
أنس رحمه الله وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها
فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام **وذهب** معظم السلف والمسلمين
إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر
وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود
والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن
وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة رضي الله
عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر
المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين **وقالت طائفة**
كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح واحتجوا
بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح

٤٤ ز طايفة

بتشريفه

بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم واظهار الكرامة له بالاسراء اليه
في الملإ ولو كان الاسراء بجسده الى زايد على المسجد الأقصى لذكره فيكون
أبلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرق هل صلى صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس
أم لا ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان
وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا **قال القاضي رحمه
الله** ورضي عنه والحق من هذا والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد
والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل
عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده
وحال يقظته استحالة إذ لو كان مناما لقال بروحه ولم يقل بعبده **وقوله**
تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما
استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ
مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان
عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء عليهم السلام
ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له
بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه
الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلاة ومراجعته
مع موسى في ذلك **وفي** بعض هذه الأخبار فأخذ يعني جبريل عليه السلام بيدي
فعرج بي إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام
وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره **قال** ابن عباس
رضي الله عنه هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
وعن الحسن فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت
فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فأخذ
بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا بدابة وذكر خبر البراق **وعن** أم هانئ قالت
ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء
الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة
كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم الآن كما ترون ومن أبين دليل على أنه بجسمه **وعن** أبي بكر رضي الله عنه
من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري
به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل
حمله إلى المسجد الأقصى **وعن** عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة
فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث **وهذه** الثلاث
كلها مروية عنه متصلة فتحمل على كلامهما **وعن** أبي ذر رضي الله عنه
صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري
ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج بي **وعن** أنس
رضي الله عنه أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري **وعن**
أبي هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام لقد رأيتني في الحجر وقريش
تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت
مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه ونحوه عن جابر رضي الله عنه
وقد روى عمر بن الخطاب في حديث الإسراء عنه عليه السلام أنه
قال ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها

صلى الله عليه وسلم

فصل
في إبطال حجج من قال إنها نوم

احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله
تعالى سبحان الذي أسرى يرده لأنه لا يقال في النوم أسرى وقوله فتنة
للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بجسمه إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب
به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في
أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم
إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل

ع
قضية

غيره. إذا أما قولهم إنه قد سماها في الحديث منامًا وقوله في حديث
آخر بين النائم واليقظان، وقوله أيضًا وهو نائم، وقوله ثم استيقظت
فلا حجة فيه إذ يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم، أو أول حمله
والإسراء به وهو نائم، وليس في الحديث أنه كان نائمًا ~~في القضية كلها~~
في القضية كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام، فلعل
قوله استيقظت بمعنى أصبحت، واستيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته
ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله وإنما كان في بعضه، وقد يكون قوله
استيقظت وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من
ملكوت السموات والأرض وخامر باطنه من مشاهدة الملإ الأعلى وما
رأى من آيات ربه الكبرى، فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد
الحرام. **ووجه ثالث** أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى
لفظه، ولكنه أسري بجسده وقلبه حاضر، ورؤيا الأنبياء عليهم السلام
حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، وقد مال بعض أهل الإشارات إلى نحو من
هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله، ولا يصح
هذا أن يكون في وقت صلاته بالأنبياء، ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات
ووجه رابع وهو أن يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم من
الاضطجاع، ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم
وربما قال مضطجع، وفي رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم، وربما قال
في الحجر مضطجع، وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان، فيكون سمى
هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبًا. **وذهب** بعضهم إلى
أن هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا
الحديث إنما هي من رواية شريك عن أنس، فهي منكرة من روايته، إذ شق
البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوءة
ولأنه قال في الحديث قبل أن يبعث، والإسراء بإجماع كان بعد المبعث، فهذا
كله يوهن ما وقع في رواية أنس، مع أن أنسًا رحمه الله قد بين من غير طريق

أنه إنما رواه عن غيره وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على
الشك وقال مرة كان أبو ذر يحدث **وأما** قول عائشة رضي الله عنها
ما فقدت جسده فعائشة رضي الله عنها لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم
تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في
الإسراء متى كان فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزهري ومن وافقه
بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت ثمانية أعوام
وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والأشبه
أنه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد ذلك عائشة
دل على أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول
خلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ وغيره وأيضا فليس حديث عائشة بالثابت
والأحاديث الأخر أثبت لسنا نعني حديث أم هانئ وما ذكرت فيه خديجة
وأيضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله
عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها إنه
بجسده لإنكارها أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم
تنكره **فإن قيل** فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقد جعل ما رآه
للقلب وهذا يدل على أنه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس **قلنا**
يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد أضاف الأمر للبصر وقد قال
أهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أي لم يوهم القلب العين
غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما أنكر قلبه عليه السلام ما رأته عينه

فصل

وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف
فيها فأنكرته عائشة رحمها الله **حدثنا** أبو الحسين سراج بن عبد
الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه
قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا أبو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن

نحو

قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا نا عبد الله بن علي نا محمود بن آدم
نا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه قال لعائشة رضي الله
عنها يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث
من حدثك بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت
لا تدركه الأبصار الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو
المشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه ومثله عن أبي هريرة رحمه الله
أنه إنما رأى جبريل واختلف عنه وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في
الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين **وعن** ابن عباس رضي
الله عنه أنه رآه بعينه **وروى** عطاء عنه رآه بقلبه **وعن**
أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين **وذكر** ابن إسحاق أن ابن عمر
رضي الله عنه أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم
والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال إن الله
اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى **قال
الماوردي** رحمه الله قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين
موسى ومحمد عليهما السلام فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين **وحكى**
أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب **وروى** عبد الله
ابن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب رضي الله عنهما فقال ابن عباس
أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال
وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد
بقلبه **وروى** شريك عن أبي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه
وسلم ربه **وحكى** السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن أنس
أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم أره
بعيني **وروى** مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى

[illegible] وهو بن يزيد [illegible] الأبصار

صلى الله عليه وسلم

التقريب وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه
ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود
وحكى ابن اسحاق ان مروان سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى
النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه
حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه
وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول
رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال
رآه وعن ابن عطاء في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره
للرؤية وشرح صدر موسى للتكليم وقال ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري
رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه
وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها
نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا
وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو
الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى
في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في
الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله
وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته
من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال له الله تعالى لن تراني
اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا بما هو اقوى من بنية موسى واثبت
وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة
وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود
فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى
لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال

في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها عقلا بالجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه
ابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه
المبصرون وكل هذه التاويلات لا يقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك
لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها
ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا
فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث تتطرق
التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك
اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر ان
يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض
السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب
اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم يكن لهم
قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة ركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى
ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد
رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا
يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي
بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث
ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء
الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما
السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الاهية لادراك ما ادركاه ورؤية ما
رأياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته على
الآيتين ما معناه ان موسى عليه السلام رأى الله تعالى فلذلك خر صعقا
وان الجبل رأى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله تعالى له واستنبط ذلك
والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني
ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل

موكل هو له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجليل حتى تجلى ولولا ذلك لمات مصعوقا بلا إفاقة وقوله هذا يرد على أن موسى رآه

فصل ووقع لبعض المشايخ يريد في الجبل أنه رآه وبرؤيته الجبل لعله استدل من قال برؤية محمد نبينا له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص بالمنع **وأما** وجوبه لنبينا والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني أراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله تعالى وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى

فصل

وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله إلى جبريل وجبريل إلى محمد إلا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب

بعض

بعض المتكلمين أن محمدا عليه السلام كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون وذكر النقاش عن ابن
عباس في قصة الإسراء عنه عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني
جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك
يا محمد ادن ادن وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا
بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل
رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم
موسى وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله
عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة
مع المشاهدة وقيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة وقد
ذكر أبو بكر البزار عن علي رضي الله عنه في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع
النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله أكبر
الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر كلمات
الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل ما ذكر الحديث في الفصل بعد هذا
وما يشبهه وفي أول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد عليه السلام ومن اختصه
من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك
خبر اعتمد فيه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك
في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث
في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى سمع
فيه صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان
من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله
تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم
ما بين محمد وجبريل عليهما السلام أو مختص بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى

قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله عنه هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل
معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب
وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس رضي الله عنه هو الرب دنا
من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه أي أمره وحكمه وحكى النقاش
عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه
ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع
فدنا من ربه قال عليه السلام فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات
وسمعت كلام ربي وعن أنس في الصحيح عرج بي جبريل عليه السلام إلى
سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
أو أدنى فأوحى إليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاة وذكر حديث الإسراء
وعن محمد بن كعب القرظي هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين أو أدنى
وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين
وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال
أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا
محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه
وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه اعلم أن ما وقع في إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو
إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس
بدنو حد وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه إبانة عظيم
منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته
ومن الله مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا
إلى السماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان قال
الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كل ما دنا
بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله

قال فموسى أراد ذلك ثم أراد حمل الضيم عما يرى أن الله لا يحجب بل عليه الشاغ
على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والإشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء
المطالب وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله ويتأول فيه
ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي
أتيته هرولة قرب بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول

فصل في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة

حدثنا القاضي أبو علي ثنا أبو الفضل وأبو الحسين ثنا أبو يعلى
ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي
ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رحمه الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم
إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على
ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع عن أنس بلفظ هذا الحديث أنا
أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا
شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم
على ربي ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون وعن أبي هريرة
وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم
ذلك المقام غيري وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض
ولا فخر وعن أبي هريرة رحمه الله عنه صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم
يوم القيامة وأول من تنشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع وعن ابن عباس
رضي الله عنه أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول

يُشفَّع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين **وعن** أنس أنا أول الناس يشفع
في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا **وعن** أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم
أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون مم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين
وذكر حديث الشفاعة **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام
قال أطمع أن أكون أعظم الأنبياء أجرا يوم القيامة **وفي** حديث آخر أما ترضون
أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ثم قال إنهما في أمتي يوم القيامة
أما إبراهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من أمتك وأما عيسى فالأنبياء
إخوة بنو علات أمهاتهم شتى وأبوهم واحد وإن عيسى أخي ليس بيني وبينه
نبي وأنا أولى الناس به **قوله** عليه السلام أنا سيد الناس يوم القيامة هو
سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن أشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد
والشفاعة دون غيره إذ لجأ إليه الناس في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو
الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم **فكان** سيدهم منفردا من بين البشر لم
يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين
لذلك في الدنيا وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في
الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى **وعن** أنس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول
الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك **وعن** عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر
وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء
من شرب منه لم يظمأ أبدا **وعن** أبي ذر رضي الله عنه نحوه وقال طوله ما
بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة **وعن** ثوبان رضي الله عنه
مثله وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق **وفي** رواية حارثة بن وهب كما
بين المدينة وصنعاء وقال أنس أيلة وصنعاء وقال ابن عمر رضي الله عنه

عمرو

قال

كما بين الكوفة والحجر الاسود **وروى** حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن أرقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء بنت ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة

جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله **أخبرنا** ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت محمد نا ابو الهيثم **وحدثنا** حسين بن محمد الحافظ بسماعي عليه نا القاضي ابو الوليد نا عبد بن احمد نا ابو الهيثم نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسماعيل نا عبد الله بن محمد نا ابو عامر نا فليح نا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا **وفي حديث** آخر وإن صاحبكم خليل الله **ومن طريق** عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا **وعن** ابن عباس رضي الله عنه قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا اول شافع واول مشفع ولا فخر وأنا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر **وفي حديث** ابي هريرة

أسلم قبيلة معروفة منسوبة [illegible] وأبو بكرة وعمر ابن الخطاب وابن بريدة

ولا فخر [illegible]

رضي الله عنه من قول الله تعالى للنبي عليه السلام اذا تخذتك خليلا فهو
مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن **قال القاضي رحمه الله** اختلف
في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس له
في انقطاعه الى الله ومحبته له اختلال **وقيل** الخليل المختص واختار هذا القول
غير واحد **وقال** بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابراهيم عليه السلام
خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن
بعده **وقيل** الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي
الحاجة فسمي بها ابراهيم عليه السلام لانه قصر حاجته على ربه وانقطع
اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا **وقال** ابو بكر بن فورك الخلة صفاء
المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار **وقال** بعضهم اصل الخلة المحبة
ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه
بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان
البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان
تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما
بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب
عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه
عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الاهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره **ولهذا**
قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام
ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام **واختلف**
العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما
بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص
ابراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

وخفي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد أطلق المحبة عليه
السلام لفاطمة وابنيها وأسامة وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة أرفع من
الخلة لأن درجة الحبيب نبينا عليه السلام أرفع من درجة الخليل إبراهيم عليه
السلام **وأصل** المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل
منه والانتفاع بالوفق وهو درجة المخلوق وأما الخالق جل جلاله فمنزه
عن الأغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة
أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه
بقلبه وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فإذا أحببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به **ولا** ينبغي أن يفهم من
هذا سوى التجرد لله والانقطاع إلى الله والإعراض عن غير الله وصفاء
القلب لله وإخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط **ومن** هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا
فإذا ما نطقت كنت حديثي ... وإذا ما سكت كنت الغليلا

فإذا قررت الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم فقد دلت
عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الأمة وكفى بقوله تعالى
إن كنتم تحبون الله الآية **وحكى** أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت
قال الكفار إنما يريد محمد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله
تعالى غيظا لهم ورغما على رغم أنوفهم هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول فزاده شرفا
بأمرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى
فإن الله لا يحب الكافرين **وقد** نقل الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين
كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة إشاراته إلى تفضيل مقام المحبة
على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي إلى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل
بالواسطة من قوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض والحبيب يصل
إليه به من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى **وقيل** الخليل الذي تكون مغفرته

صلى الله عليه وسلم

تهيئته

4 عليه السلام

5 وليكون من الموقنين

في حد الطمع من قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي والحبيب إذن قطع بذنبه

في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية والخليل قال ولا تخزني والحبيب

من ذنبك الآية

قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة

حسبي الله والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي

لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني

وبني أن نعبد الأصنام والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس

أهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل

المقامات والأحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود

قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا أخبرنا

الشيخ أبو علي الغساني الجياني فيما كتب به إلي بخطه ثنا سراج بن عبد الله

القاضي ثنا أبو محمد الأصيلي ثنا أبو زيد وأبو أحمد قالا ثنا محمد بن يوسف قال

ثنا محمد بن إسماعيل قال ثنا إسماعيل بن أبان ثنا أبو الأحوص عن آدم بن

علي قال سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع

نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي

صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن أبي هريرة

رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى أن

تعالى

يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة ونحوه عن كعب والحسن وروى

كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي

صلى الله عليه وسلم

على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك

المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة

الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود رضي

الله عنه عنه عليه السلام أنه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيري

صلى الله عليه وسلم

فيقعده فيه ابدا والنور والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية عنه
المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ لقاني المقام المحمود قيل وما هو قال ذاك يوم ينزل الله
تبارك وتعالى على كرسيه الخبر وعن ابي موسى رضي الله عنه عليه السلام
خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها
اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة رضي الله
قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة فقال اشفع لمن شهد ان لا اله الا
الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضي الله عنها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض
وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسألت الله ان يوليني الشفاعة فيهم يوم
القيامة ففعل وقال حذيفة رضي الله عنه يجمع الله الناس في صعيد
واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا
تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير
في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك
لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال
فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا دخل
اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من
النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون
فيسمعهم اهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر
حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا
وعن مجاهد وذكره علي بن حسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن
عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه فيه قلت نعم قال فانه
مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة
في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده
وعن سلمان المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيامة ومثله

ورحم [illegible] قال

والخير

سبحانك

عليه السلام
صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة وقال قتادة لا كان أهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم
القيامة وعلى أن المقام المحمود موقفا فيه عليه الصلاة والسلام للشفاعة فزام
السلف من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة
جميع الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم وجاءت مقالة في تفسير ما شاذة لا
بعض السلف يجب أن لا تثبت إذ لم يعضدها صحيح أثر ولا سند نص ولو صحت
لكان لها تأويل غير مستنكر لا كما فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الآثار
يردها فلا يجب أن يلتفت إليه مع أنه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا اتفقت
على القول بها أمة وفيه إخلال وهذا منكر من القول وشنعة وفي رواية
أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام
يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون
لو استشفعنا إلى ربنا وعن كعب عنه فماج الناس بعضهم في بعض وعن
أبي هريرة رضي الله عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم عليه السلام
فيقولون زاد بعضهم أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من
روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع
لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن
الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا
عليه السلام فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا
شكورا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي
قال في رواية أنس رحمه الله ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير
علم وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه وقد كانت لي دعوة دعوتها
على قومي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم
عليه السلام فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك

صلى الله عليه وسلم

عليه السلام

صلى الله عليه وسلم

في المكتوب

ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا وذكر مثله ويذكر
ثلاث كذبات كذبهن نفسي نفسي فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه
كليم الله وفي رواية فإنه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا
قال فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب
وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون
عيسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر قال ويأتون فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي
فإذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا
أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده
وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي قال وفي رواية أبي هريرة رضي الله
عنه فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول
يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن
من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ولم يذكر في رواية
أنس هذا الفصل وفي روايته وقال مكانه ثم أخر ساجدا فيقال لي يا محمد
ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فيقول رب أمتي أمتي
فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه
فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول وقال فيه
مثقال حبة من خردل فأنطلق فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في
قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأنطلق فأفعل وذكر في المرة الرابعة
فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب ائذن لي
فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي
وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله وفي رواية
قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من
حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود وعن أبي بكرة وعقبة بن عامر وأبي
سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيشفع ويؤتى بالأمانة والرحم فيقومان

زلاز
فإنه

س
وفي رواية في
تحت العرش
وأخر ساجد

ن
فيقول

جنبتي الصراط وذكر في رواية أخرى قالت عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب
الصراط فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله
عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا
الحديث وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه فأكون أول من يجيز يومئذ وعن
ابن عباس رضي الله عنه عليه السلام توضع للأنبياء منابر يجلسون عليها
ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى
ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول رب عجل حسابهم فيدعا بهم فمنهم من
يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع حتى أعطى
صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار حتى إن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت
لغضب ربك في أمتك من بقية ومن طريق زياد النميري عن أنس رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق الأرض عن جمجمته ولا فخر
وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول
من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح
لي فيستقبلني الجبار تعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية
أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأشفعن يوم القيامة لأكثر
مما في الأرض من حجر وشجر وقد اجتمع من اختلاف هذه الأحاديث أن شفاعته عليه
السلام ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر
وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل
الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب
الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في
تعجيل من لا حساب عليه من أمته كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه
العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال
لا إله إلا الله وليس هذا لسواه عليه السلام وفي الحديث المنتشر
الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة
قال أهل العلم معناه دعوة أعلموا أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم

إلى الجنة

رغبتهم

وأن فيكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا منها ما لا يعد لكن حالهم
عند الدعاء بها من الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاء ولا
يدعون بها على يقين من الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة
رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له
وأنا أريد إن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي رواية أبي صالح
لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن
أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل
لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم
الدعوة ليوم القيامة خاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله أحسن
ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله عليه كثيرا وسلم

فصل في تفضيله عليه السلام في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد
هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا نا أبو علي الغساني حدثنا النمري
نا ابن عبد المومن نا أبو بكر التمار نا أبو داود نا محمد بن سلمة نا
ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن
ابن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى
علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة
لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله تعالى لي
الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة
في الجنة وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما
أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ فقلت لجبريل ما هذا قال هذا

الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكا **وعن**
عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى
من العسل وأبيض من الثلج **وفي** رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق شقا عليه
حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس **وعن** ابن
عباس أيضا قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه **وقال** سعيد بن جبير
والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله **وعن** حذيفة رضي الله عنه
فيما ذكر عليه السلام عن ربه وأعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي
وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ألف
قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن **وفي رواية** أخرى وفيه ما
ينبغي له من الأزواج والخدم

فصل

فإن قلت إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة كونه أكرم
البشر وأفضل الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الأسدي قال حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا
الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا
شعبة عن قتادة سمعت أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم
يعني ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد
أن يقول أنا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة رحمه الله قال
يعني الله ما ينبغي لعبد لي الحديث **وفي** حديث أبي هريرة رضي الله عنه في
اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال
تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء **وفي رواية** لا تخيروني على موسى
فذكر الحديث وفيه ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى **وعن** أبي هريرة
رضي الله عنه من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب **وعن** ابن مسعود
رضي الله عنه لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفي حديثه الآخر

فجاء رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم **فاعلم** ان للعلماء في
هذا الحديث ثلاث تأويلات **احدها** انه نهى عن التفضيل كان قبل
ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من
فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا تقولوا ان احدا افضل منه لا ينبغي
تفضيله منه وانما هو في الكلام كفا عن التفضيل **الوجه الثاني**
انه قاله صلى الله عليه وسلم على ضرب التواضع ونفي التكبر والعجب ومن ذا
لا يسلم من الاثم اهل **الوجه الثالث** ان لا يفضل بينهم تفضيلا
يؤدي الى تنقيص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام
اذ اخبر الله تعالى عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة
وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون وكذا اولي
نقص عليه عن بما يخيل من لا علم عنده حكمته بذلك عليه السلام
الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء
فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها
فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل
ومنهم اولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا
واوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية قال
بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون
آياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته
افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته
واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف
ولاياته واختصاصه **وقد روي** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه
وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح

صح

تعاضل خ

وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية خ

والتفضيل المراد لهم خ

في اختصاصه به وحكمة من نبيئه ووقوفه في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه حسن وهو أن يكون أنه راجعا إلى القائل نفسه أي لا يظن أحد وإن بلغ من الزكاء والعصمة والكمال إلى ما بلغ أنه خير من يونس عليه السلام للأجل ما حكى الله عنه فإن درجة النبوءة أفضل وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه عنها حبة خردلة ولا أدنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا إن شاء الله وقد بان لك الغرض وسقطت بما حررناه شبهة المعترض

فصل في أسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته

حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه قال ثنا أبو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن أصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا وأحمد فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناءه ذكره عظيم شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى أمته في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه أما أحمد

الذي أتى في الكتاب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يتسمى به
أحد غيره ولا يدعى به قبل وجوده حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو
شك **وكذلك محمد** أيضا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى
أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى
قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم
حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة
الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي
ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم **و**يقال إن أول من تسمى بمحمد محمد بن
سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الأزد ثم حمى الله كل من تسمى به
أن يدعي النبوءة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في
أمره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما **وأما**
قوله عليه السلام **وأنا الماحي** الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في
الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد
أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال
الله تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون **وقد** ورد في الحديث
أنه الذي محيت به سيئات من اتبعه **وقوله** عليه السلام **وأنا**
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ويروى على عقبي أي على زمانه وعهده
أي ليس بعده نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي **عاقبا** لأنه عقب
عليه السلام غيره من الأنبياء وفي الصحيح وأنا العاقب الذي ليس بعده
نبي **و**قيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **وقيل** على قدمي على سابقتي قال
الله تعالى أن لهم قدم صدق عند ربهم **و**قيل على قدمي أي قدامي وحولي أي
يجتمعون إلي يوم القيامة وقيل قدمي سنتي **و**معنى قوله عليه السلام
في خمسة أسماء قيل لأنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم
من الأمم السابقة والله أعلم **وقد** روي عنه عليه السلام لي

على النبوءة عليه وسلم خ والنشر

بضم الجيم ولام مخففة بعدها ألف ساكنة وحاء

صلى الله عليه وسلم

م العرب

صلى الله عليه وسلم

عشرة أسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه
انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد
وذكر غيره له عشرة أسماء وذكر ان منها الذي في الحديث انه قال وأنا
رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفي قفيت النبيين
وأنا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم أروه وأرى أن صوابه قثم
بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو أشبه بالتفسير وقد وقع أيضا في
كتب الأنبياء عليهم السلام قال داود صلوات الله عليه اللهم ابعث
لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش
عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثر
والمزمل وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم هي ست محمد وأحمد
وخاتم وحاشر وعاقب وماح وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله
عنه انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه أسماء فيقول أنا محمد وأحمد
والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة والراحة ويروى المرحمة
والرحمة وكل صحيح إن شاء الله ومعنى المقفي معنى العاقب وأما
نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين وكما وصفه تعالى بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
إلى صراط مستقيم وبالمؤمنين رءوف رحيم وقد قال في صفة أمته عليه السلام
انها أمة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه رحمة لأمته ورحمة
للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل أمته مرحومة ووصفها
بالرحمة وأمرها بالتراحم وأثنى عليه فقال إن الله يحب من عباده الرحماء
وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وأما
رواية نبي الملحمة فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه
وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة رضي الله عنه مثل حديث أبي موسى وفيه
ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه انه

عليه السلام

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

عليه السلام

عليه

عليه السلام قال أتاني ملك فقال أنت قثم أي مجتمع قال والقثوم الجامع
للخير وهذا اسم هو في أهل بيته معلوم وقد جاءت من ألقابه عليه
السلام وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكر فمنها النور والسراج
المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين
وخاتم النبيين والرءوف الرحيم والأمين وقدم الصدق ورحمة للعالمين
ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم
والنبي الأمي وداعي الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها
في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة
جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم والحبيب
ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر
والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين
وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب
الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب
البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة
والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن أسمائه عليه
السلام في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة وروح الحق وهو معنى
البارقليط في الإنجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن أسمائه عليه السلام في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه
طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار قال ثعلب
فالخاتم الذي ختم الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا ويسمى
بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه أيضا في التوراة أحيد روي ذلك عن
ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب أي السيف ووقع ذلك مفسرا في الإنجيل
قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد يحمل على أنه القضيب
الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الآن عند الخلفاء وأما

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

خ
والمقدس
وروح القدس
وروح الحق

الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا المذكورة في حديث الحوض أذود
الناس عنه بعصاي لأهل اليمن وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن
حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان العرب وكانت كنيته المشهورة أبا
القاسم وروي عن أنس أنه لما ولد له إبراهيم جاءه جبريل فقال السلام
عليك يا أبا إبراهيم وأوصافه وألقابه صلى الله عليه وسلم وسماته في
الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها مقنع إن شاء الله تعالى

صح [illegible]

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ما أحرى هذا الفصل بفصول
الباب الأول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها
لكن لم يشرح الله الصدر للهداية إلى استنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج
جوهره والتقاطه إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه
إليه ونجمع به شمله فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من أنبيائه بكرامة
خلعها عليهم من أسمائه كتسميته إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم وإبراهيم
بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم
وأيوب بصابر وإسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من
مواضع ذكرهم صلوات الله على جميعهم وفضل محمدا نبينا عليه السلام
بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا
منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين
ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما
ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم
يظهر لنا الآن ويفتح غلقه فمن أسمائه تعالى الحميد
ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده ويكون أيضا بمعنى الحامد
لنفسه ولأعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد

معانيها

صلى الله عليه وسلم

مجمد.

محمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود عليه السلام **وأحمد**
بمعنى أكبر وأجل من حمد وقد أشار إلى نحو هذا حسان رضي الله عنه بقوله

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أسمائه تعالى الرءوف الرحيم وهما بمعنى متقارب
وسماه تعالى في كتابه بذلك فقال بالمومنين رءوف رحيم **ومن أسمائه
الحق المبين** ومعنى الحق الموجود المتحقق أمره وكذلك المبين أي البين
أمره والإلهية بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم
ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم
الحق ورسول مبين وقال تعالى قل إني أنا النذير المبين وقال تعالى قد جاءكم
الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن
ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره وهو بمعنى الأول والمبين البين
أمره ورسالته أو المبين عن الله ما بعثه به ورسالته أو المبين عن الله ما بعثه
به كما قال لتبين للناس ما نزل إليهم **ومن أسمائه تعالى النور** ومعناه
ذو النور أي خالقه أو منور السموات والأرض بالأنوار ومنور قلوب المومنين
بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد
وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح أمره وبيان
نبوته وتنوير قلوب المومنين والعارفين بما جاء به **ومن أسمائه
تعالى الشهيد** ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم
القيامة وسماه عليه السلام شهيدا وشاهدا فقال إنا أرسلناك شاهدا
وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الأول **ومن أسمائه
تعالى الكريم** ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو
وقيل العلي وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى الأكرم وسماه تعالى كريما
بقوله إنه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام أنا
أكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام **ومن أسمائه
تعالى العظيم** ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في النبي

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق عظيم وورد في أول سفر من التوراة
عن إسماعيل وسيلد عظيما لأمة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم **ومن
أسمائه تعالى الجبار** ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي
العظيم الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود
عليه السلام بجبار فقال تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك
مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما الإصلاح
للأمة بالهداية والتعليم أو لقهره أعداءه أو لعلو منزلته على البشر
وعظيم خطره ونفي عنه تعالى في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال
تعالى وما أنت عليهم بجبار **ومن أسمائه تعالى الخبير** ومعناه المطلع
بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله عز وجل الرحمن
فاسأل به خبيرا **قال القاضي** بكر بن العلاء إنما هو بالسؤال غيره والنبي صلى
الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله (عليه السلام) عليه وسلم
وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الله تعالى فالنبي
خبير بالوجهين المذكورين قيل لأنه على غاية من العلم بما أعلمه الله
تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به
ومن أسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب
الرزق والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة
الحق ويكون أيضا بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي
إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ النصر والفتح وسمى
الله تعالى نبيه محمدا (عليه السلام) صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء
الطويل من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره عن أبي هريرة رحمه
الله وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله
عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما
فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح
لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان بالله أو الناصر للحق أو المبتدئ بهداية الأمة

تعالى
عن
أنس

عليه السلام

خبير

شفعك
الناصر

او

أي المبدأ المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت أول
الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث **ومن أسمائه تعالى** في الحديث
الشكور ومعناه المثيب على العمل وقيل المثني على المطيع ووصف بذلك
نبيه نوحا صلى الله عليه وسلم فقال إنه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال أفلا أكون عبدا شكورا أي معترفا
بنعم ربي عاملا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسه في الزيادة من ذلك
لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم **ومن أسمائه تعالى** العليم
والعلام وعالم الغيب والشهادة .. ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم
بالعلم وخصه بمزية منه فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
ومن أسمائه تعالى الأول والآخر .. ومعناهما السابق للأشياء
قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس أول ولا له آخر وقال
عليه السلام كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر
بهذا قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا عليه
السلام وقد أشار إلى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله
عليه السلام نحن الآخرون السابقون وقوله أنا أول من تنشق عنه الأرض
وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع وهو خاتم النبيئين وآخر
الرسل صلى الله عليه وسلم **ومن أسمائه تعالى** القوي وذو القوة
المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي
العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل **ومن أسمائه تعالى** الصادق في الحديث
المأثور وورد في الحديث أيضا اسمه عليه السلام بالصادق والمصدوق **ومن
أسمائه تعالى** الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى إنما
وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام أنا ولي كل مومن وقال الله
تعالى النبيء أولى بالمومنين وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه
ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى

خ القليل

له

بهذا أنبيه في القرآن او في التوراة وامرك بالعفو فقال تعالى خذ العفو وقال
تعالى فاعف عنهم واصفح وقال لجبريل عليه السلام وقد سأله عن قوله
خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة في الحديث المشهور في
صفته عليه السلام ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه
تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة
والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى
صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه
انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى له وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى
الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى
الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى
واحد ومعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق
والمصدق لعباده المومنين في ايمانهم او المومن لهم من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين
مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين انه اسم
من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ
والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله تعالى امينا
فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة
وبعدها وسماه العباس رضي الله عنه في شعره مهيمنا في قوله

ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال
تعالى يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المومن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتقدس فيه من الذنوب ومنه
الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمائه صلى الله عليه
وسلم المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك

خ
المهيمن في رسالة وقيل نعته وقيل المومن
عنه ... من كلمه
المرتاب والمومنين في الاخرى

سقطت الواو لابن في كتاب ابن مرج

وما تأخر والذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية **ومن اسمائه تعالى** العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر **وقد** وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوقين فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام

أبو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا الذي ذكره بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل
على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذوات المحدثات وهي بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص حصل
ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ولا معالجة كان وفعل الخلق لا يخرج
وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه
بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي
الجويني من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى
النفي المحض فهو معطل وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته
فهو موحد وما أحسن قول ذي النون المصري رحمه الله حقيقة التوحيد
أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج
وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه
وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله
شيء والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير
لقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله وإيانا
على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من
التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع

فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه حسب المتأمل أن يحقق
أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن
في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل
المطاعن إليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من أبطل
نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته المصدقين
لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لأعمالهم وليزدادوا إيمانا

مع إيمانهم وبينتها أن نبينا في هذا الباب أبهرهم معجزاته وأشهرهم
آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الأسانيد
وأكثره مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب
الأئمة **وإذا** تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة
علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب
مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه
والإيمان به **فروينا** عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن
عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه
كذاب **حدثنا** به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال ثنا أبو الحسين
الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن
ابن محبوب عن الترمذي عن محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن
جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة
ابن أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث **وعن** أبي رمثة التيمي رضي الله
عنه أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته فلما رأيته قلت
هذا نبي الله **وروى** مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له
ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فقد بلغن قاموس البحر
هات يدك أبايعك **وقال** جامع بن شداد رحمه الله كان رجل منا يقال له
طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء
تبيعونه فقلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فأخذ بخطامه
وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت
أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا
فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم يأمركم

معا الجلندى حين بلغه رسول النبي

ان قالوا من هذا البشر وتكتبا لو اكتفى تستروا فبعثناه **وفي** خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي **وقال** نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة　　لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة

فصل

اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الأنبياء وذكره بعض أهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء عليهم السلام أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لأن المعجزة مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن أراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات أئمتنا رحمهم الله **والنبوءة** في لغة من همز مأخوذة من النبإ وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول أو يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما أطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون

عند من لم يهمزه من النبوة وهو الارتفاع من الارض ومعناه ان له رتبة شريفة
ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه متلازمان **واما**
الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله
امر الله له بالبلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم
جاء الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزم
الامة اتباعه **واختلف** العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين
فقيل انهما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قالوا ولا
يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا **وقيل** هما مفترقان من وجه اذ
قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة
او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو
الامر بالانذار والاعلام كما قلنا **وحجتهم** من الاية نفسها التفريق
بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا
والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد **وقد ذهب**
بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدإ ومن لم يات به نبي غير رسول وان
امر بالابلاغ والانذار **والصحيح** والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول
نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل ادم وآخرهم محمد صلوات الله عليهم
وسلامه **وفي** حديث ابي ذر عنه عليه السلام ان الانبياء مائة الف
واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر
اولهم ادم **فقد بان** لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين
ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويلهم وتهويل التشنيع عليه
تعويل **واما الوحي** فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما
ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي
الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة
اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما

عليه السلام

خ م
انواع

إليهم ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحي الوحي أي الشرعة وقيل أصل
الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وإن الشياطين
ليوحون إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى وإذ أوحينا إلى
أم موسى أي ألقي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه
الله الآية وحيا أي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل

اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا
عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه
فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم
عن الاتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن
قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كإحياء الموتى وقلب العصا حية
واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الأصابع وانشقاق
القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل
الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له **واعلم** أن
المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين
صدقه من هذين النوعين معا وهو أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم
برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها
وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى
الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها **قال أهل العلم**
وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها
معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات
ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا
ونقل إلينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف في مجيء النبي صلى الله
عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد
فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وإنما جاء اعتراض

بمرز

زع بمجيء

القاطع بين في الحجة به بمجموعه في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة
ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه **قال** بعض أئمتنا
ويقرب هذا الخبر وعلى الجملة أنه قد جرى على يديه عليه السلام آيات
وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا
مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على
يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها
من قبل الله وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا
عن نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم الأحنف لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا
وشجاعة هذا وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا
يقطع بصحته **والقسم** الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على
نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين
والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين الأصابع وتكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار
غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما
قدمنا **قال القاضي أبو الفضل رحمه الله** وأنا أقول
صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام معلومة
بالقطع **أما انشقاق القمر** فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن
وجوده ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار
من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى
سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه
وننبذ بالعراء سخفه **وكذلك** قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات
والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة رضي الله عنهم
ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة
الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق

صلى الله عليه وسلم

خ علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا

بنفسه

لم

الواحد او الاثنان

خ جملة

وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين
ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه
ولا إنكار لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق
الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس
هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف
لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير وحروف
القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع
كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وأيضا فإن أمثال الأخبار التي
لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس وأهل البحث
من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة
والأراجيف الطارئة وأعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة
من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة
طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء
نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك
إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة
بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال بهذا من أئمتنا القاضي والأستاذ
أبو بكر وغيرهما رحمهما الله وما أوجب عندي قول القائل إن هذه القصص
المشهورة من باب خبر الواحد قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله
بغير ذلك من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير
لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد
أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون
بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة
وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء
من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم
القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضا

صح المتكلم

خ واجتهاده ثبت كذا في بعض النسخ وفي بعضها واجتهاد الملحد

فيما سواه وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على
بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية
في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل
وغيرهما ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا
عمن سواه وعند ذكرنا آحادا من المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله
عز وجل

فصل في إعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز
كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه **أولها** حسن
تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة
العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من
البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك
طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون
به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به
بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون
ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط
اللآل فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون
الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص
كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو
البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع
السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية
وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح
الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك

خ سموكم

ر الجوهري

فيافيهم فرعوا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا في كل باب من
أبوابها وعلوا صرحها لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والحقير وتفننوا
في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثير وتساجلوا في النظم والنثر
فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول
وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان
جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانبنى على كثرة فوائده
مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة
رجالا وأكثر في السجع والشعر سجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا
بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم
في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين أم يقولون
افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم
صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله
ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الآية
وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن المفترى أسهل ووضع الباطل
والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب
ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني
فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ
ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم
وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون
عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب
والإغتراء بالافتراء وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر وسحر مستمر وإفك
افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف
وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا

واشهر

هذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن
تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما
ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط
فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين
مفتون **ولهذا** لما سمع المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله
يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة
وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر **وذكر**
أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته
وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد
أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام **وحكي** أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد
شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها
فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة
وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه **وحكى**
الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت
أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية
فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين **فهذا** نوع
من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين
وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم
ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة بالفصاحة ووجوه
البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن
معارضته واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته وأنت إذا تأملت قوله تعالى
ولكم في القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من

[illegible]
صلى الله عليه وسلم

مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية وقوله تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن إذا حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

خ والتلاؤم

ع ز عن بعض

ش

فصل

الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقف مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر **ولما** سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا **وفي** خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه فقالوا نقول مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته

ع ز م ووقفت عليه

قالوا

قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه
وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو
بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما تقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا
وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر وانه سحر يفرق بين المرء
وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا
على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا
الايات **وقال** عتبة بن ربيعة حين سمع القرءان يا قوم قد علمتم اني لم اترك
شيئا الا وقد علمته وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت
مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث
نحوه **وفي حديث** إسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف اخاه
انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا
في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى
الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد
سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم
وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون
والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين
الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز
على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما خارج عن قدرتها مباين
لفصاحتها وكلامها **والى** هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب
بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على
ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه **والعلم**
بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره
ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه **وقد اختلف**
ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه بما جمع في قوة
جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه

ولا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن أقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا **وذهب** الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه **وعلى** الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة **وعلى** كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الآنف وإباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه إلا اضطرارا وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم من لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من إعجازه

فصل الوجه الثالث من الإعجاز

ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله تعالى ليظهره على الدين كله وقوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله تعالى إذا جاء نصر الله إلى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها

الممتنع

الآنف

ممن هم

عليه السلام

يوقع

من وضع لم ير مثله واستخلف المومنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم
إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي
الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها
وقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد
يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة
فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا
على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين
في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية وقوله تعالى
هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية وقوله تعالى لن يضروكم إلا أذى وإن
يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود
ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في أنفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تعالى يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك
الآية وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله تعالى
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه إلى قوله تعالى في الدين وقد قال
مبديا ما قدره الله وما اعتقده المومنون يوم بدر وإذ يعدكم الله
إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه
قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك أصحابه بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس
عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك
على كثرة من رام ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة صحيحة.

فصل الوجه الرابع

ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع
الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل

صلى الله عليه وسلم
كلمة
ابن جريج
و
مبديا مبينا
عليه السلام
[illegible] البعد

الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم
على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن
مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ
ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله
أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا
فينزل عليه من القرآن ما يتلوا عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء مع قومهم
وخبر موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان
وابنه وأشباه ذلك من الأنباء وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل
والزبور وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير
ومن شقي معاند حاسد ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى وا
اليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم
بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له
عليه السلام وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم
ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم
مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم
وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الأنعام ومن طيبات كانت
أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم
في الإنجيل وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم
وعرفهم بما أوحي إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل أكثرهم
صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده إياه كأهل
نجران وابن صوريا وابني أخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة
وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي إلى إقامة حجته
وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى
قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا إلى إحضار ممكن غير ممتنع فمن معترف

صح كذا ياتي
من غير تعليم

صلى الله
عليه وسلم

ابن صوريا
الصادقين

تا جحدوه ووقفوا في نقله على صحيحه من كتابه بيانه ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين

فصل

هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية **ومن الوجوه** البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية **قال** أبو إسحاق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحي إليه إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته **قال أبو محمد** الأصيلي رحمه الله من أعجب أمرهم أنهم لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله في قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

صلى الله عليه وسلم

فصل

ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه
والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره وهي على
المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما
قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام إن القرآن
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المومن فلا تزال روعته به
وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه
وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله وقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية
ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها
لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه
الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله تعالى المسيطرون كاد
قلبي يطير وفي رواية وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي وعن عتبة بن
ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلى
عليهم حم فصلت إلى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك
عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي
رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف
ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه
فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط
فما دريت ما أقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه
اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك كما حكي أن ابن المقفع طلب ذلك

ورامه وشرع فيه فمرّ بصبيّ يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما فعل
وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان أفصح أهل وقته
وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ أهل الأندلس في زمانه فحكي أنه رام شيئا
من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها
قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة

فصل

ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا
مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال
تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الأنبياء عليهم
السلام انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز الباهر
آياته الظاهر معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام
وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته
ممتنعة والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة
البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي
للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند
شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه

فصل

وقد عدّ جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة
منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته
يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام
ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا
يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد
فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون
تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن

بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل
ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة
هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى
الرشد **ومنها** جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد قبل
نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم
ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة
سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها
فلم يقدروا عليها لقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر
على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو كان فيهما آلهة
إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم
وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل وعز ما فرطنا
في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في
هذا القرآن من كل مثل وقال عليه السلام إن الله أنزل هذا القرآن آمرا
وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما
بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل
من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل
به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله
الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط
المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن
اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق
على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف
ولا يتشان فيه نبأ الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله عز وجل لمحمد
عليه السلام إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا
صما وقلوبا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب

جل اسمه
صلى الله عليه وسلم
فلج
غلفا

عليكم

عليكم بالقرآن فانه فهم العقل ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القرآن
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى هذا بيان للناس
ومن دلائله جمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب
قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل
والمدلول وذلك انه احتج بتنظيم القرآن وحسن وصفه وايجازه وبلاغته
واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم
موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها
ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل
على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الآذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر
الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجم على مرور السنين عليهم
والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض
اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص
من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام
السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات
نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل
يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت
جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول صاد وما
جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما
ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والاخبار عن
اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم
ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم
ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم
وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء

[illegible]

[illegible]

عليهم السلام كل هذا في أوجز كلام وأخصر نظام ومنها الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرناه أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها أكثرها داخلة في باب بلاغته فلا يجب أن يعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قد ذكرناه عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرناها فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله الموفق للصواب وهو المستعان

وبالله التوفيق

فصل

في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه نا القاضي سراج بن عبد الله نا الأصيلي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا مسدد نا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الأعمش بمنى رواه أيضا عن ابن مسعود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق وأنه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل من القوم إن محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا

أبي

ورواه أيضا عن ابن مسعود الأسود منهم

ﻫ كنية لأحد أجداده النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه أو لأمه بالنكرة في الشهاب والقاموس

...د التي لا قبل لها خبر اهل الآفاق وانهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا
سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد
الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم فقال علي
من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه
وسلم وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية
فأراهم انشقاق القمر بفرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة
وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه انه اراهم القمر مرتين
انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير
بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد بن مطعم ورواه عن ابن عباس
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه
عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر
طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض
مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم
اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق
ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا
به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم
قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات
في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها
لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر
كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب
وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك
واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من ونجـ...

تمالئهم

[illegible]
وثبت في [illegible]
العليم [illegible]
[illegible]

نبينا من رونقها من انوار ونجوم كمواقع عقلاء تكنهم في الأخبية بالليل
السماء ولا علم عند أحد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن
أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى
اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه
الشمس قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت
ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي أن احمد بن صالح
كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه
من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن
ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة
والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك
اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل

في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته

صلى الله عليه وسلم تسليما أما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا
روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم من الصحابة جماعة منهم
انس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم حدثنا ابو اسحاق
ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه نا القاضي عيسى بن سهل
نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو عمر بن الفخار نا ابو عيسى نا يحيى
نا مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رضي الله
عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس

الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن
يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى
توضؤوا من عند آخرهم ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه
ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي
رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه أيضا حميد وثابت والحسن
عن أنس وفي رواية حميد فقلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت
عنه وعنه أيضا وهم نحو من سبعين رجلا وأما ابن مسعود ففي الصحيح
عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل
ماء فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن
جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه
ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في
ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء
يفور من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة
ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه
كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث
مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء
شجب فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه ثم تكلم بشيء لا أدري ما هو
وقال ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى
الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرقها وصب جابر عليه وقال
بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي

أحد له ماء غيره فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الجفنة وسمى
الله. وعن الشعبي أتي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره بإداوة
ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غير هذا فسكبها في ركوة ووضع أصبعه
وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون
قال القاضي رحمه الله وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا
في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم
كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم
كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور
الجم الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم
فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل

ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجير الماء ببركته
وانبعاثه بمسه ودعوته فيما رواه مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله
عنه في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل
الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير
فاستقى الناس قال في حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس
الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هنا قد ملئ
جنانا. وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثه أتم في قصة الحديبية
وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك
فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء
وأتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت
فأرووا أنفسهم وركابهم. وفي غير هاتين الروايتين في هذه القصة من طريق ابن
شهاب في الحديبية فأخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء
فروي الناس حتى ضربوا بعطن. وعن أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى النبي

رسول الله صلى الله عليه وسلم العسكر في بعض أسفاره مزودا بالميضأة
فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس
حتى رووا وملؤوا كل إناء معهم فخيل إلي أنها كما أخذها وكانوا اثنين
وسبعين رجلا **وذكر الطبري** حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل
الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل مؤتة عند ما
بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى
الله عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء غدا وذكر حديث الميضأة
قال والقوم زهاء ثلاث مائة **وفي كتاب مسلم** أنه قال لأبي
قتادة احفظ علي ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه **ومن ذلك**
حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش
في بعض أسفاره فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان
كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن
يقول ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملؤوا
أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤوه **قال عمران** رضي الله عنه
ويخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى
ملأ ثوبها وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا
الحديث بطوله **وعن سلمة** بن الأكوع رضي الله عنه قال نبي الله صلى
الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح
فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة **وفي** حديث عمر رضي
الله عنه في جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر
بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما
معهم من آنية ولم تجاوز العسكر **وعن** عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال
للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل

في خد
الميضأة
من
وروى مثله
عمران بن حصين

في خد
وروى مثله
عمران بن حصين

فلم يرجعهما

النبي صلى الله عليه وسلم وضربا بقدميه الارض فخرج الماء وقال اشربا — والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل

ومن معجزاته عليه السلام تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامراته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلا ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوا ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة

ابن جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون **ومن ذلك** حديث
عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة
وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد
بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها
ثم جعل منها قصعتين فأكلنا منهما أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على
البعير **ومن ذلك** حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن
أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة
أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية
الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي
أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز
ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أمرني النبي صلى الله عليه
وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين
أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت
إلا أن فيها أثر الأصابع **وعن علي** بن أبي طالب رضي الله عنه جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب منهم من يأكل الجذعة
ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو
ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب **وقال أنس**
إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمرني فدعوت له قوما
سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تور فيه قدر
مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم
يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا واثنين وسبعين
وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن القوم كانوا زهاء ثلاث
مائة وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري حين وضعت كان أكثر

خ كما

زع ز وكانوا نحوا من أربعين منهم قوم يأكلون

الى حين رجعت **وفي** حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي ان فاطمة طحنت
قدرا لغدائهما ووجهت عليا في طلب النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى
معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه
وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله
وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربع مائة راكب من احمس فقال يا رسول
الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل
الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير
ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب
من مزينة **ومن ذلك** حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد
كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف
دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر
في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما
كانوا يجدون كل سنة **وفي رواية** مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء
يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة رضي الله عنه اصاب الناس
مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من
التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده صلى الله عليه وسلم فاخرج قبضة
فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة
كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وادخل يدك
واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب
مني فذهب **وفي** رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل
الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة
ومنه ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو
اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة

سقط في
يزوده وا

دكين

خ
واطعمت

اتقوى بنا من عندهم وذكر امر النبيء صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم
فجعلت اعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه ابو هـ حتى روي جميعهم
قال فاخذ النبيء صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد
فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي
بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبيء صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما
وان النبيء صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو
خالد ودعا له بالبركة فنثره لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره
الدولابي ومن حديث الاجري في انكاح النبيء صلى الله عليه وسلم لعلي
فاطمة رضي الله عنهما ان النبيء صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة
من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن
في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت
منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من
غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور وبعثت به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت
فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاث
مائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال النبيء صلى الله عليه وسلم
تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبيء صلى الله عليه وسلم يده على الطعام
فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي
ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت) واكثر احاديث
هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا
الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم
من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن

الشجرة عنهما أنه بالنفع والضر وشكت إليه فيما ضرتها على ما أنكر

فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم تسليما

حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن
أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القاسم البغوي قال
حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي قال حدثنا أبو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن
عمر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا
منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال
وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده
ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ
الوادي قال فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها وعن بريدة سأل أعرابي
النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى
وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول
الله قال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك
الموضع فاستوت فقال الأعرابي ائذن لي أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد
لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لي أقبل يديك ورجليك فأذن له

وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن
من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش

٤ نـ ابن الأخنس

سعفها ع
جاءت تمشيان
تجيئان

خ للأعرابي

الذي يصانع قايده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف
بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا **وفي رواية** اخرى فقال
يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي
بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس
خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفتت فاذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق
فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا
وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه هل يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي
ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي
بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى
صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده
لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن **وقال** يعلى بن سيابة رضي
الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا منه وذكر انه
امر وديتين فانضمتا **وفي** رواية أشاءتين **وعن** غيلان بن سلمة الثقفي
مثله في شجرتين **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم مثله في غزاة حنين **وعن** يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء
رءاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت
به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت
ان تسلم علي **وفي حديث** ابن مسعود رضي الله عنه آذنت النبي
صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة **وعن** مجاهد عن ابن مسعود
في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه **قال**

خ متقاربات

خ مجلس

ز وديتين فانضمتا

الفاضل أبو الفضل جمع الله بهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها ورواها عنهم من التابعين أضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي **وذكر** ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين إلى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة **ومن** ذلك حديث أنس أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب أن أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت إلى مكانها **وعن علي** رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا بشجرة وذكر مثله **وحزنه** صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له **وذكر** ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت **وعن الحسن** أنه عليه السلام شكا إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه فأوحى الله إليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك فجعل يخط الأرض حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يارب علمت أن لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها وذكر نحوه **وعن** ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل يقفز حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع

وتعضد بعض هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر
والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح **ورواه** من الصحابة رضوان الله
عليهم بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد
الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة
وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث أنس صحيح **قال** جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع
نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع
له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار **وفي رواية** أنس
حتى ارتج المسجد لخواره **وفي** رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به
وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا
بكى لما فقد من الذكر **وزاد** غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل
هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر
به نبي الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب
وسهل بن سعد وإسحاق عن أنس **وفي** حديث أبي بن كعب فكان إذا صلى النبي عليه
السلام صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرضة
وعاد رفاتا **وذكر** الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى
نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه **وفي** حديث
بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت
فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك
في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم
يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان
لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال
اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث به بكى وقال يا عباد
الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم

أحق أن تشتاقوا إليه **رواه** عن جابر حفص بن عبد الله ويقال
عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب
وأبو صالح **ورواه** عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحاق بن أبي طلحة
ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية **ورواه** أبو نضرة وأبو الوداك
عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل بن سعد
عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه
والطفيل بن أبي عن أبيه **قال القاضي أبو الفضل** رضي الله
عنه فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر
ومن التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره ومن دون هذا العدد يقع العلم
لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

فصل

ومثل هذا في سائر الجمادات **حدثنا** القاضي أبو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي ثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب أبو
القاسم ثنا أبو الحسن القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا
محمد بن المثنى ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن
علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل **وفي** غير
هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام
ونحن نسمع تسبيحه **وقال** أنس رضي الله عنه أخذ النبي صلى الله عليه وسلم
كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح
ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن **وروى** مثله أبو ذر رضي
الله عنه وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان **وقال** علي رضي الله عنه
كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله **وعن** جابر بن سمرة
عنه عليه السلام إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود
وعن عائشة رضي الله عنها لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر

خ الزبيري

ع ز استقبلته

بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله **وعن** جابر بن عبد الله
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له **وفي** حديث العباس
رضي الله عنه إذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة
ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب
وحوائط البيت آمين آمين **وعن** جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله
عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه
وسلم فسبح **وعن** أنس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان
أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله
عن أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبي
أو صديق أو شهيد **والخبر** في حراء أيضا عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه
أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين **وفي** حديث سعيد
ابن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي أنه حين طلبته قريش
قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله
فقال له حراء إلي يا رسول الله **وروى** ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار
نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا
ليخرن عنه **وعن** ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة
الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد
عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق
الباطل الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه
حتى ما بقي منها صنم **ومثله** في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد **ومن ذلك** حديثه
مع الراهب في ابتداء أمره إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج لأحد
فخرج وجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا
سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك

فقال إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خر له ساجدا ولن تسجد إلا لنبي وذكر القصة

ثم قال وأقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم

وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه صلى الله

عليه وسلم

فصل

في الآيات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ قال حدثني ابي قال حدثنا القاضي

يونس حدثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده

قالا ثنا أبو العلاء أحمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول

الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا

فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت بك او يؤمن

هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى

الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك

يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض

سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا

قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك

فأسلم الأعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب

لشاة منها فأخذها الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله

حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام إنس فقال

الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين

يحدث الناس بأنباء ما سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره

فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق وفي حديث فيه طول

رضي الله عنه

خ قوم

خ شيئا

وفي

وفي بعضها كلام وروى حديث الذئب عن أبي هريرة رضي الله عنه
وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك
وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه قدرا قد فتحت له أبواب الجنة
وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب
فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع
فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى
الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن أهبان بن أوس وأنه
كان صاحب القصة أيضا والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن
الأكوع وأنه كان صاحب القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد
وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية
مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك
فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه
إلى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا
وقد روي مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عباس
ابن مرداس رضي الله عنه لما تعجب من كلام ضمار صنمه وإنشاده الشعر
الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا طائر سقط فقال يا عباس تعجب
من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى
الإسلام وأنت جالس فكان سبب إسلامه وعن جابر بن عبد الله أن رجلا
أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم
يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فإن الله
سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت
إلى أهلها وعن أنس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط أنصار وأبو بكر
وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر رضي الله
عنه نحن أحق بالسجود لك منها الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه

ه فقال النبي صلى الله عليه وسلم حاجتكما فجاءه بعير فسجد له وذكر مثله
ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد
الله بن جعفر قال وكان لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه الجمل فلما دخل
عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره على الأرض وبرك بين
يديه فخطمه وقال ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا
عاصي الجن والإنس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر آخر
أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروا أنهم أرادوا ذبحه
وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه تشكى كثرة العمل
وقلة العلف وفي رواية إنه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه
في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء
وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها إنك لمحمد وأنها لم
تأكل ولم تشرب بعد موته عليه السلام حتى ماتت ذكره الإسفرايني
وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها
فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة رضي
الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت
تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي
حديث آخر أن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون ورأوا ذلك
قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي عليه السلام يسمع
كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ
وعن أم سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته
ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان
في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت نعم
فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك

عليه السلام

فستر
فوقفتا

صلى الله
عليه وسلم

عليه السلام

حاجة فقال تطلبون عدل الكعبة فانطلقنا من حيث تغرو في الصحراء وتقول
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله **ومن هذا الباب**
ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ وجهه
إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك **وفي**
رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به مركب فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت
أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق
وأخذ عليه السلام بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاه فصار
لها ميسما وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد **وما** روي عن إبراهيم
ابن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه
فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما
مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات **وحديث** الناقة التي شهدت
عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه **وفي**
العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش
ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع املكها وما أراك تملكها فربطها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع **وقال** لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلاة في بعض
أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما
حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله إلى الملوك فخرج ستة نفر منهم في
يوم واحد فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم والحديث
في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور وما وقع في كتب الأئمة

فصل في إحياء الموتى وكلامهم

وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة

٤ز يعفورا

حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي
أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد
سماعا وإجازة قالوا نا أبو علي الغساني قال نا أبو عمر النمري نا أبو زيد
عبد الرحمن بن يحيى نا أحمد بن سعيد نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا وهب
ابن بقية عن خالد الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي
الله عنه أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا
أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية
ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا
أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث أنس وفيه
قالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذاك فقالوا نقتلها
قال لا وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه من رواية غيره وغير وهب
قال فما عرض لها ورواه أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه
الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن أن فخذها تكلمني أنها
مسمومة وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن فقالت إني مسمومة وكذلك ذكر
الخبر ابن إسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال
رضي الله عنه فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي
مات فيه ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان قطعت أبهري وحكى
ابن إسحاق وإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات
شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة وقال ابن إسحاق وأجمع
أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته
وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأنس
وجابر رضي الله عنهم وفي رواية ابن عباس أنه دفعها لأولياء بشر بن
البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله للذي سحره قال الواقدي

ع زم سحنون

وعفوه

وعقبوا عنه اثبت بمن ترى وقد روينا نحوه فتأمله **وروى** في حديث البزار
عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسطه بيده وقال كلوا بسم
الله فأكلنا وذكرنا اسم الله ولم تضر أحدا منا **قال القاضي أبو**
الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح
وخرجه الأئمة وهو حديث مشهور واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب
فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر
وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها
ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما
الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولا ثم الكلام بعده وحكي هذا
أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله أعلم إذ لم نجعل الحياة شرطا
لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها
فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا
يوجد كلام النفس إلا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق
في إحالته وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حي مركب على
تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع
والذراع وقال إن الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة أمكنها
بها من الكلام **وهذا لو كان** لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم
بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئا من ذلك
فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والموفق الله
وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي
بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله **وروى** عن معرض
ابن معيقيب رضي الله عنه رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا
جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث
شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك
الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة

خ بهز
معرض

وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبيني بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن أنس رضي الله عنه أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن زيد بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل في إبراء المرضى وذوي العاهات

أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجاز فيه وقرأته على غيره قال نا أبو إسحاق الحبال قال نا أبو محمد بن النحاس نا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحاق قال ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية أحد بطولها قالوا وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له ويقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ

عن قوسه حتى اندقت وأصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى
وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن
عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن
عمر بن قتادة ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم
في وجه قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي
عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف عن بصري
قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك
بالنبيء محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف عن بصري اللهم
شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي أن ابن ملاعب
الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبيء صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده
حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد
هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي
عن حبيب بن فديك ويقال فريك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما
شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل
الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في
نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة
عبد الله بن أنيس فلم تمد وتفل في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر
وكان رمدا فأصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر
فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف
فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل
عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فجعل يدعو فقال النبيء
صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع
بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب
ومن روايته أيضا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم بفضل ريقه على عاتقه حتى قال على شعيد وذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء
لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه
ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس رضي
الله عنه جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من
جوفه مثل الجرو الأسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب
وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في كف
شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر
وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة
الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل
شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة
بالمدينة أشد حياء منها

فصل في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك باب واسع جدا وإجابة دعائه صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا
لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد
ولده حدثنا أبو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم
بن محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا
محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن أبي الأسود ثنا حرمي ثنا شعبة عن
قتادة عن أنس قال قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له قال
اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال أنس
رضي الله عنه فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على
نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد ولد ومنه

خ قال سعد

عليه السلام

صلى الله عليه وسلم

ح دعوته عليه السلام

ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن
رضي الله عنه فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله
عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت
كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت إحداهن
لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته
الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق
مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما
عليها وبأقتابها وأحلاسها ودعا لمعاوية رضي الله عنه بالتمكين
في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما
دعا على أحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب
في عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي
الله عنه وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا
فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا
ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا وقال لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له
في شعره وبشره فمات وهو ابن تسعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة وقال للنابغة
لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان
أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل
أكثر من هذا ودعا لابن عباس رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه
التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة
في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت
عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد فقال فلقد كنت
أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديثه
فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة أيضا وندت له صلى
الله عليه وسلم ناقة فدعا فجاء بها إعصار ريح حتى ردها عليه ودعا
لأم أبي هريرة فأسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه أن يكفى الحر والقر فكان

رضي الله عنه

رحمه الله

رضي الله عنه

سبعين

سنة بخمس

شرى بالكوفة

فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه
حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته أن لا يجيعها الله قا
فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع
له نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه
فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فأقحطوا
حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه
أن يمزق ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا
ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره فأقعد وقال لرجل
يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها إلى
فيه وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد
وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين
وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم فقال فلقد
رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه
ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال كذلك كن فلم يزل
إلى أن مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري
فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة
وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه و
برد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن كان
فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية برجلها أي رافعة وهذا الباب أكثر
من أن يحاط به

في الظلمة

وخاف الأسد الرافعة
فأكله

فصل

في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره

أخبرنا أحمد بن محمد ... أبو بكر ... إجازة وحدثنا القاضي
سماعا والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا نا

ابو الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا أبو محمد وابو اسحاق وأبو الهيثم ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة ان أنس بن مالك رضي الله
عنه ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا
لأبي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره لا يجارى فلما رجع قال وجدنا فرسكم
بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك
زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك
عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا
قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره
في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح
عن أسماء بنت أبي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا
القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي
صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه
الغفاري القضيب من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته فصاح الناس
به فأخذته الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب صلى الله
عليه وسلم من فضل وضوئه في بير قباء فما نزفت بعد وبزق في بير كانت في
دار أنس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل له
اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتى عليه
السلام بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن
والحسين عليهما السلام لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان
لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها النبي صلى
الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها
بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت
تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم
ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه

مواليه على ثلاثمائة وديّة يغرسها لهم كلّها تعلق وتطعم وعلى أربعين
أوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده إلا واحدة غرسها غيره
فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي عليه السلام وردها فأخذت
وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة
من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده
مثل ما أعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت
وريها إذا عطشت وبردها إذا ظمئت وأعطى قتادة بن النعمان وصلى معه
العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك
من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه
حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد
السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال
اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة
أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد
في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه عليه السلام لعبد الله
ابن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته
عليه السلام في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كشاة أم معبد وأعنز
معاوية بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله
ابن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده
أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا
فحلوه فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على رأس
عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذا عن
غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب
طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره

معاوية

وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له
غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن
مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده
عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن
ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن
ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع
يده عليه السلام على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى
بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى
الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء
فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس
صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره وروى مثله في خبر المهلب ابن قبالة
وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرءوا وأتاه رجل به أدرة فأمره
أن ينضحها بماء من عين مج فيه ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى
الله عليه وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب والمس الجنون ومج
عليه السلام في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وأخذ قبضة من
تراب يوم حنين فرمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون
القذى عن أعينهم وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف
بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وضرب صدر جرير بن عبد الله
ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح
رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع
الرجال طولا وتماما وما يروى في هذا كثير

ع ز نور
خ حذيم خزيم
خ قتادة

فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والأحاديث في هذا الباب
بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة
على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على

الاطلاع على الغيب حدثنا القاضي الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة
وقرأته على غيره قال أبو بكر نا أبو علي التستري نا أبو عمر الهاشمي نا اللؤلؤي
نا أبو داود نا عثمان بن أبي شيبة نا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن
حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما
فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه
فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة
ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه
لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وقال أبو ذر رضي الله عنه لقد تركنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه
علما وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه
وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن
والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف
إلا الله وأن المدينة ستغزى ويفتح خيبر على يدي علي رضي الله عنه في غد
يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز
كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وأنها
ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يديه
صحفة وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث
وأنتم اليوم خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس
والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك
والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وقيصر حتى
لا قيصر بعده وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل فالأمثل
من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال عليه

خ وتفتح

خ البغي

خ سبل

السلام ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فرأى مشارقها
ومغاربها وسيبلغ امته ما زوي له منها وبذلك كان افتراقها في المشارق والمغارب
فانتشر اولها في الصين اقصى المشرق والى طنجة حيث لا عمارة وراءها وذلك ما لم
تملكه امة من الامم ولم تنتشر في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله عليه
السلام لا تزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن
المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهو الدلو وغيره
يذهب الى انهم اهل المغرب وفي رواية المغرب كذا في التعريف وفي حديث
اخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت
المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية
مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا
وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله
عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم
النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان ممن عاداه الخوارج والناصبة
وطائفة ممن تنتسب اليه من الروافض كفروه وقال بقتل عثمان رحمه الله
وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه
وانه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تكون ما
دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي رضي الله عنهما وبنباح كلاب الحوأب على
بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على
عائشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب
معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في
قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم
ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن
بعض فكان سمرة رضي الله عنه اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار
فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته فاني رأيت الملائكة تغسله

فسألوها فقالت إنه خرج جنبا وأعجلته الهيعة عن الغسل قال أبو سعيد
فوجدنا رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش
ما أقاموا الدين وقال عليه السلام يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج
والمختار وبأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة رضي الله عنها أول أهله لحوقا به
وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فكانت كذلك
بمدة الحسن بن علي رضي الله عنه وقال عليه السلام إن هذا الأمر بدأ نبوة
ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا
في الأمة وأخبر بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها
وسيكون في أمته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة وفي حديث آخر ثلاثون دجالا
كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال عليه السلام
يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة
حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم
الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا
يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه وقال
هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش قال أبو هريرة راويه لو شئت سميتهم
لكم بنو فلان وبنو فلان وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه
الأمة أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم
يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة وأخبر صلوات
الله عليه بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق
وترى رعاء الغنم رؤوس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وأن تلد
الأمة ربتها وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه يغزوهم وأخبر
بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وأنهم
يغزون في البحر كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان منوطا بالثريا لناله
رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما
رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم

آخرهم ٤

من أخبر فيه انّ ابو هريرة رضي الله عنه من عقب القوم يغني ما ثوا وتعيش أمنا
ورجل يقتل مرتدا يوم اليمامة، وأعلم بالذي غلّ خرزا من خرز يهود فوجدت في
رحله، وبالذي غلّ الشملة وحيث هي، وناقته عليه السلام حين ضلّت وكيف
تعلقت بالشجرة بخطامها، وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة، وبقضية
عمير مع صفوان حين سارّه وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فلما
جاء عمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الأمر والسرّ أسلم، وأخبر عليه السلام بالمال الذي
تركه عمّه العباس عند أمّ الفضل بعد أن كتمه، فقال: ما علمه غيري وغيرها
فأسلم، وأعلم بأنه سيقتل أبيّ بن خلف، وفي عتبة بن أبي لهب أنه يأكله
كلب الله، وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال، وقال في الحسن: إنّ ابني هذا
سيّد وسيصلح الله به بين فئتين، ولسعد: لعلك تخلّف حتى ينتفع بك أقوام
ويستضرّ بك آخرون، وأخبر عليه السلام بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم
مسيرة شهر أو أزيد، وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه، وأخبر فيروز إذ
ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم، فلما حقّق فيروز القصة
أسلم، وأخبر أبا ذرّ بتطريده كما كان، ووجده في المسجد نائما فقال له: كيف
بك إذا أخرجت منه؟ قال: أسكن المسجد الحرام، قال: فإذا أخرجت منه؟ الحديث
وبعيشه وحده وموته وحده، وأخبر أنّ أسرع أزواجه به لحوقا
أطولهنّ يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة، وأخبر بقتل الحسين
عليه السلام بالطفّ، وأخرج بيده تربة وقال: فيها مضجعه، وقال في زيد
ابن صوحان: يسبقه عضو منه إلى الجنة، فقطعت يده في الجهاد، وقال عليه
السلام في الذين كانوا معه على حراء: اثبت فإنما عليك نبيّ وصدّيق
وشهيد، فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد، وقال لسراقة:
كيف بك إذا ألبست سواري كسرى، فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال:
الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة، وقال: تبنى مدينة بين دجلة
ودجيل وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها، يعني بغداد

عـ ه لعمر رضي الله عنه

خـ والصراة

وقال سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من
فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة
وقال عليه السلام لعمر رضي الله عنه في سهيل بن عمرو عسى أن يقوم
مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي
صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوي بصائرهم وقال
لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجدت هذه
الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام إلى ما أخبر به
جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم
وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله
لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وإعلامه صلى الله
عليه وسلم بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة
في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك
الصفة وإعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها
على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها
كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه
في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر
عليها في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال صلوات الله
عليه وسلامه إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد ومنها ما
ظهرت مقدماتها كقوله عليه السلام عمران بيت المقدس خراب يثرب
وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن أشراط
الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر وأخبار الأبرار والفجار
والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا
مفردا يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي
ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة والله المستعان

فصل

صلى الله عليه وسلم

في عصمة الله تعالى له من الناس
وكفايته من آذاه صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فإنك
بأعيننا وقال تعالى أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا أعداءه
المشركين وقيل غير هذا وقال تعالى إنا كفيناك المستهزئين وقال تعالى وإذ
يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي
قراءة عليه والفقيه أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا نا أبو
الحسين الصيرفي وثنا قال نا أبو يعلى البغدادي قال نا أبو علي السنجي نا أبو العباس
المروزي نا أبو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن إبراهيم نا الحارث
ابن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك
من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال لهم
يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابي
فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الأعرابي وسقط
سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد
رويت هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن
النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه وقال جئتكم من عند
خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد انفرد
عليه السلام من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر
مثله وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل
اسمه دعثور بن الحارث وأن الرجل أسلم فلما رجع إلى قومه الذين أغروه
وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت
إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت إلى ظهري وسقط السيف من يدي فعرفت
أنه ملك فأسلمت قيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله

صلى الله عليه وسلم

خ م المعافري

خ م فكان ترعدت
خ م فما زعرت

ز م غُوَيرث

عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية وفي رواية الحاكم في
أن غورث بن الحارث المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم
يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت
فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده . الزلخة
وجع الكلية وقيل في قصته غير هذا وذكر أن فيهم نزلت يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم الآية وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم يحرس فلما نزلت عليه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي
جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطؤها كثيبا أهيل
وذكر ابن إسحاق عنها أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب وذكرها
بما ذكرها الله مع زوجها من الذم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما
لم تر إلا أبا بكر وأخذ الله ببصرها عن نبيه عليه السلام فقالت يا أبا بكر
أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن أبي العاصي تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد
فوقعنا مغشيا علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم
تواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت
بيننا وبينه وعن عمر رضي الله عنه تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة
ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له فافتتح
وقرأ الحاقة ما الحاقة إلى فهل ترى لهم من باقية فضرب أبو جهم على عضد
عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات إسلام عمر ومنه العبرة
المشهورة والكفاية التامة عند ما أخافته قريش واجتمعت على قتله
ويبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم
وذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

واجمعت

الله

اللهم لهم من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج حتى قال أمية بن خلف حين قالوا
ندخل الغار وما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أراه من قبل أن
يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد
لما كانت هناك الحمام **وقصته** عليه السلام مع سراقة بن مالك
ابن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل لمن يردهم
فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم
فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب
ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت
وقال للنبي أتينا فقال لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها
وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب
له النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر
وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم ألا يترك أحدا يلحق
بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا **وقيل** بل قال لهما أراكما دعوتما
علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم **وفي**
خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة
ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه
وجاء فيما ذكر ابن إسحاق وغيره أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون
ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه وأقبل يرجع
القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد
تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر
أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه **وذكر**
السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس
الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع إلى أصحابه
فلم يرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم

ليعلم

ينظرون

عليه السلام

اعلام بالغيب **ومن ذلك** ما ذكره ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى
بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار يتحدث اليهم فانبعث عمرو بن جحاش
احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة
واعلمهم بقصتهم **وقد قيل** ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت **وحكى** السمرقندي
انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن امية
فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر
حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه
يريد حاجته حتى دخل المدينة **وذكر** اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي
هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى
صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه
متقيا بيديه فسئل فقال لما ان دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي
فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام
تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله
عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة **ويروى** ان شيبة بن
عثمان ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك
ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه
قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا
فاحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض
الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت
امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت
به دونه **وعن** فضالة بن عمير اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم
عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال
ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري

رجلا يعرف بشيبة بن عثمان الحجبي

فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه ومن
مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله
عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجهه فاضربه أنت فلم يره
فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني
وبينه أفأضربك ومن عصمته تعالى له عليه السلام أن كثيرا من اليهود
والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على
قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب
مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم

فصل

ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له صلى الله عليه وسلم من المعارف
والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته
من أمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان
في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من
لدن آدم عليه السلام إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم
وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم
والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة
ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها ومخبآت
علومها وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه إلى احتوائه على لغات
العرب وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها
إلى المعرفة بضروب الأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم
للغامض والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا
تخاذل فيه ولا تنافر مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا إلا من جهة
الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إليه صوبه

واستنبطه دون طلب إفادة من أحد عليه ثم ما أخبرهم من الكيفيات
وقرع عليهم من الغيبيات وعما ربوا أنفسهم وأغراضهم وأموالهم من
المعاقبات والحدود عاجلا والتحذير بالنار آجلا إلى احتوائه على
ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب
والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه عليه
السلام فيها قدوة وأصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لأول
عابر وهي على رجل طائر وقوله عليه السلام الرؤيا ثلاث رؤيا حق
ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله إذا تقارب
الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله عليه السلام أصل كل داء البردة
وما روي من قوله في حديث أبي هريرة المعدة حوض البدن والعروق إليها
واردة وإن كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه
الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة
والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين
وفي العود الهندي سبعة أشفية وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا
من بطن إلى قوله فإن كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس
وقوله وقد سئل عن سبأ أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال رجل ولد عشرة
تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب
قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب إلى سؤاله
عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها
وقوله إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض وقوله
في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر وإن الحسنة بعشر فتلك
مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع
نعم موضع الحمام هذا وقوله عليه السلام ما بين المشرق والمغرب قبلة
وقوله لعيينة أو الأقرع أنا أفرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع

القلم

القلم على أذنك فإنه أذكر للممل هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب
ولكنه أوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن
تصويرها كقوله عليه السلام لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه
ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية
أنه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له ألق الدواة وحرف القلم وأقم
الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
وهذا وإن لم تصح الرواية أنه عليه السلام كتب فلا يبعد أن يرزق علم
هذا ويمنع الكتابة والقراءة وأما علمه عليه السلام بلغات العرب
وحفظه معاني أشعارها فأمر مشهور وقد نبهنا على بعضه أول الكتاب
وكذلك حفظه الكثير من لغات الأمم كقوله في الحديث سنه سنه وهي
حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث أبي
هريرة أشكنب درد أي وجع البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض
هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة
أهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى أمي لم يقرأ ولم يكتب ولا عرف بصحبة
من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور
ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها
والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال
بطلبه ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم
ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما
نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله قولهم
بقوله تعالى لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه
مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان
رضي الله عنه إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما
لا ينعد من الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم

نصح

واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي عليه السلام يجلس عنده عند المروة وكلا
أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد عجزوا عن معارضة
ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم رصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي
ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على
اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونه مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم
شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم
بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه
وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما
يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب
النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب
فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة
أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه
مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة
عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف
إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به
من معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل أمر

صلى الله عليه وسلم
ع وصفه
ع المفترين
شيعته
ع في

فصل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته أنباؤه
مع الملائكة والجن وإمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير
من أصحابه لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه
الآية وقال تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا
وقال تعالى إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الآية وقال تعالى وإذ
صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان
ابن العاصي الفقيه سماعا عليه ثنا أبو الليث السمرقندي ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن

وعفان ثنا أبو نا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله
قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل عليه السلام في صورته له
ست مائة جناح وأخبر في عبادة تتبع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة
وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآه
بصورته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل عليه السلام
في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما
عنده جبريل عليه السلام في صورة دحية ورأى سعد عن يمينه ويساره جبريل
وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجر الملائكة خيلها يوم بدر ورأى بعضهم تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون
الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء
والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين وأرى
النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد
الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر
ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب
فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب أنه قال بينما
نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من أنت قال أنا هامة
ابن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل
وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة
فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال
عليه السلام إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله
منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه
كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي

خ لاقيش

ز بجزلها

ى

الآية ومن له العقل فاستنا وهذا باب واسع

فصل

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار
عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته واسمه
وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين من
المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع
وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من أمره عليه
السلام زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل
مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام وبني
سعية وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرى
ونسطور وصاحب بصرى ونصارى الحبشة وضغاطر وأسقف الشام والجارود
وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء
النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصرانية ورئيساها
ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب وأخوه وكعب
ابن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة
على البقاء على الشقاء **والأخبار** في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع
يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه رضوان الله عليهم
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه
وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب فما منهم إلا من
نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجد خلاف قوله
لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ
القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما أنذر
به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وأفعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة

ونسطور

آتى

بنت

بنت النعمان وغيرها يتعذر كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجن ومن ذبائح النصب وأجواف الصور
وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا
في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب
ذلك معلوم مذكور

فصل

ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من
العجائب وكونه رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا ببصره إلى السماء وما
رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي
العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور وقول
الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل
سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى
قصور الروم وما تعرفه حليمة وزوجها من بركته ودرور لبنها له ولبن
شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب
ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية
وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان عليه السلام إذا أكل
مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فإذا غاب فأكلوا في غيبته
لم يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت أم أيمن حاضنته ما رأيته عليه السلام
شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء
بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه صلى الله
عليه وسلم من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من
ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره
ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره
عليه فقال له عمه ما بالك فقال إني نهيت عن التعري ومن ذلك
إظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية أن خديجة رضي الله عنها ونساءها

رأيته إنما هو هو وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك
منذ خرج معه في سفره وقد روي أن حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها
وروي ذلك عن أخيه من الرضاعة ومن ذلك أنه نزل عليه السلام
في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها
وأينعت هي وأشرقت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه وميل فيء
الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلته وما ذكر من أنه كان عليه السلام
لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على
جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي
إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره في المدينة وفي بيته وأن بين
بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل
عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده
على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على
غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه ألا تنزعوا عنه القميص عند غسله
وما روي من تعزية الخضر والملائكة أهل بيته إلى ما ظهر على أصحابه رضوان
الله عليهم من كراماته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك
غير واحد بذريته

فصل

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد أتينا في هذا الباب
على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها
الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث
الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح
واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في
جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا
جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه
وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم
يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا عليه السلام مثلها أو ما هو أبلغ منها

الكثير سوى ما ذكرنا

وقد

وقد نبه الناس على ذلك فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات
من تقدم من الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله **وأما** كونها كثيرة فهذا
القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة
إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه
كيف كانت معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت
من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله
فهو أقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان
هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد
بعضهم وعدد كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على
نسبة عدد إنا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها
معجز في نفسه **ثم** إعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه
فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه
ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الأخبار بعلوم الغيوب فقد يكون في السورة
الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه
معجز فتضاعف العدد كرة أخرى **ثم** وجوه الإعجاز الأخر التي
ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته
ولا يحوي الحصر براهينه **ثم** الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه
عليه السلام في هذه الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله يبلغ
نحوا من هذا **الوجه الثاني** وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم
فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه
قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث إليهم
موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم
ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم **وكذلك** زمن عيسى عليه السلام أغنى
ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم
ما لم يحتسبوه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب

هذا خ

ومما كان من معجزات الأنبياء صلوات الله على جميعهم ثم أنزل الله
تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها أربعة
البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل الله عليه القرآن الخارق لهذه
الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم
ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه
ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك
وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا
ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون
السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ
لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت
هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها
في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى
وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب
على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمان إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره
على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين
وإن كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت
بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد
ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار عليه السلام بقوله فيما
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي نا القاضي أبو الوليد نا أبو ذر
نا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا نا الفربري نا البخاري نا
عبد العزيز بن عبد الله نا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما
مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو

الحديث

أكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح
إن شاء الله **وذهب** غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا عليه السلام إلى معنى ثالث من ظهور معجزته بكونها وحيا وكلاما
لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فإن غيره من معجزات الرسل قد
رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء العصي
حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام
ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر
من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر أو خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا
بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني
ما يغمض الخصم عليه ويعترض **وجه ثالث** على مذهب من قال
بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها أو على أحد
مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكنه لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لأن الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق
بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس
مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب
النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين
آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو
من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره
قال وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب
العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من
اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك
صحيح النظر **وأما** التحدي للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم
ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها
إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام
عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم

وجه رابع

الله عن الفعل لكان ذلك من أعظم آية وأتم دلالة وبالله التوفيق

وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آياته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابهم ووفور عقولهم وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا بالله وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله أستعين

كمل الجزء الثالث من كتاب الشفاء

وبكماله كمل السفر الأول

والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا

محمد نبيه الكريم وعبده وعلى آله

وصحبه الكرام وسلم

[illegible]

الحمد لله ومن خطه شيخ الإسلام العالم العلامة الإمام علم العلم
الراسخ أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي وهو مما كتبه على طرة نسخة من الشفا
بخط يده الكريمة ما نصه الحمد لله كان بطرة الأصل المنتسخ منه بخط الشيخ
الفقيه الصالح أبي زكرياء سيدي يحيى السراج النفزي تلميذ الشيخ الإمام العارف بالله
سيدي محمد بن عباد نفعنا الله به ما نصه الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام
الأكملان على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده وعلى آله وأزواجه وذريته
من بعده ورضي عن أصحابه الكرام وعلى كل من اتبعهم وسلك منهجهم واستقام
أما بعد فيقول كاتب هذا يحيى بن أحمد النفزي لطف الله به وأحسن حاله وختم
له بخير إن كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
تأدت إلي روايته من طريق الفقيه الراوية العدل أبي عبد الله محمد بن حسن
ابن عطية بن غازي السبتي ابن نظار الحاج رحمه الله تعالى ومن طريق الخطيب
الزاهد أبي جعفر أحمد بن علي بن حكم القيسي وأصل كتابي هذا هو على رواية ابن
غازي المذكور ثم قابلته بأصل الخطيب المحدث أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد
الفهري وهو على رواية ابن حكم المذكور وفيه التنبيه على بعض روايات غيره مما يخالف
رواية ابن حكم إلا أنه ضاع من هذا الأصل من قبل فصل وأما الخصال
المكتسبة بنحو سطرين إلى قوله في حديث هند بن أبي هالة في صفته صلى الله عليه
وسلم وهذه الكلمة من غير الروايتين وضاع من قوله فصل وعن جماعة من الأئمة
ومعلمي الأمة في الحجاز ونحو ستة كراريس أي آخر الفصل فقابلت ما ضاع من الأصل
المذكور من أصل نسخ منه وقوبل به قبل الضياع ثم من آخر كذلك فكل ما ثبت
في الأصل المذكور كتبته في كتابي هذا وعلمت عليه بصورة هـ تنبيها على أنه كذلك
في أصل الخطيب ابن رشيد إلا الزيادات التي كانت بمنزلة في الطرة مكتوبا بإزائها
صح أصل صح فإن تلك الزيادات ثبتت في كتابي هذا في الأصل من غير علامة
لكثرتها وتركت العلامات التي بإزائها ولأني ما عثرت على ما أراد بها أعني بالشين
والتاء كما لم أعثر على ما أراد بالعلامة التي صورتها شب وأما ما عليه مما
ط فالكاف كناية عن شيخه أبي القاسم بن الطيب وأما ما عليه مما كان أصح فالضاد

كتابة عن عياض بن محمد حبيب المولى رحمه الله وقد علمته مذاكرة لا شيء منه ببيت
في أصل ابن رشيد وقد في كتابه بعدها علمته مذاكرة في جميعها فيه الفقيه الضابط المحقق
ابن عبد الله الصراز عن شيخه الحجري أبي العباس العزفي وقد علمته مذاكرة في
جميعها فيه من أصل القاضي الإمام أبي الفضل عياض عن شيخه أبي علي مقبول على
جميع كتابه بعدها وقد علمته معلم في جميعها تعقبه الأستاذ أبو محمد القرطبي
عن الحولي رحمه الله ورفقائه على جميعهم وقد علمته مذاكرة صح خ جميعه من شيخه
صحيحة معتمد عليها والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وسلم هو من
شيخ من ذكرنا فلا من شيخ من ذكر رضي الله عنهما ونفعنا بهما

يقول كاتبه محمد القاسمي بن الحسين الحقل عفا الله عنه المراد بن رشيد البستي
والتاء الذي هو رتبة سرقة الذي ذكر أبو زكرياء السراج أنه لم يقف على ما أراد
بها ابن رشيد هو أصل الكاتب الجليل أبي القاسم العشتري ومن المراد بقول ابن رشيد
فقابلت ما ضاع من أبي ظل المذكور من أصل نسخ منه وقوبل به قبل الضياع هو
من خط العلامة الحجري أبي العلاء مولاي إدريس العراقي بفاس من أصل من كتاب
الشفاء والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى انتهى

النصف الثاني من كتاب الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

لسيدنا الفاضل

أبي الفضل

عياض

رحمه

الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله

وهذا قسم لخصنا الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباع سنته وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب

طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم

إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية فالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا

للكاتب بن سعيد **حدثنا** ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه
نا ابن ماه ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابن عمرويه
نا ابن سفيان نا ابو الحسين نا امية بن بسطام نا يزيد بن زريع
نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله ويومنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله **قال القاضي**
ابو الفضل رضي الله عنه فالايمان به صلى الله عليه وسلم
هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله
ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله
فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية
عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام اذ
قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الاركان ثم سأله عن الايمان
فقال ان تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان
به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان
وهذه الحالة المحمودة التامة واما الحالة المذمومة فالشهادة
باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون اي لكاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم
وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم
ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن
لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل

من النار ويبقى عليهم حكم الإسلام باكتفاء شهادة اللسان في أحكام
الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر
بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا
أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم
ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث
جبريل الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان
بين هذين إحداهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت
الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة
به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من
النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا
مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه
الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة
فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا
فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها
غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء
عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة
إلا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي إلى متسع من الكلام
في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل
التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه
من عمل أو قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم
اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض
التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا إن شاء الله

فصل

وأما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم فإذا وجب الإيمان به وتصديقه
فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به قال الله تعالى يا أيها الذين

ومثو

واحتج

ءامنوا أطيعوا الله ورسوله وقال قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وقال وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى وإن تطيعوه تهتدوا
وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك الآية وقال
تعالى وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن
طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء
العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه **قال المفسرون**
والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما
أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول
في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام
فقال وما آتاكم الرسول فخذوه **وقال** السمرقندي يقال أطيعوا الله في
فرائضه والرسول في سنته وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول
فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة
له بالنبوة **حدثنا** أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا حاتم بن
محمد ثنا أبو الحسن علي بن خلف ثنا محمد بن أحمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري
ثنا عبدان أنا عبد الله أنا يونس عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد
الرحمن أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع
أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله
أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى
عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا
الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه
السلام إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
وفي حديث أبي هريرة عنه عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى
قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي

الحديث

الآخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل
أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء
فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت
طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك
مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق
وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث
داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي
لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله
عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس

فصل

وأما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم وامتثال سنته والاقتداء
بهديه فقال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر
لكم ذنوبكم وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون **وقال تعالى** فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك إلى قوله تسليما أي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم وأسلم إذا
انقاد **وقال** لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر الآية **قال محمد** بن علي الترمذي الأسوة في الرسول الاقتداء
به والاتباع لسنته وترك المخالفة في قول أو فعل وقال غير واحد من
المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه **وقال** سهل في قوله تعالى
صراط الذين أنعمت عليهم قال بمتابعة السنة فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم
الاهتداء باتباعه لأن الله أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في
الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه
نفوسهم وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض

فيما شجر بينهم

عليه **وروي** عن الحسن ان قوما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل
الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية **وروي** ان الاية نزلت في كعب بن
الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله
فانزل الله الاية **وقال الزجاج** معناه ان كنتم تحبون الله ان
تقصدوا طاعته فافعلوا ما امرتكم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته
لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم
برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته
له وارادة الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه **قال القشيري**
رحمه الله فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات
وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله **حدثنا**
ابو اسحاق وابراهيم بن جعفر الفقيه قال نا ابو الاصبغ عيسى بن
سهل ونا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا نا
حاتم بن محمد قال نا ابو القاسم الجوهري نا ابو بكر الاجري نا ابراهيم
ابن موسى الجوزي نا داوود بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد
عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن
العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد
في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار **وفي** حديث ابي رافع عنه
عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري
مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه **وفي**
حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم

خ م الحسين

ع الجوزي

خ م السلمي

شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله تعالى ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني
لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية **وروي** عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي
خسر الدنيا والآخرة أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا
سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه الآية **وقال** صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب
عن سنتي فليس مني **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد
وشر الأمور محدثاتها **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية
محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة **وعن** الحسن بن أبي الحسن قال عليه
السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة **وقال** صلى الله عليه
وسلم إن الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها **وعن** أبي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي
له أجر مائة شهيد **وقال** عليه السلام إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين
وسبعين ملة وإن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة
قالوا ومن هي يا رسول الله قال الذي أنا عليه اليوم وأصحابي **وعن** أنس قال
عليه السلام من أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي **وعن** عمرو بن عوف
المزني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من أحيا
سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص
من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه
مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا

بدعة

فصل

وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه
وسيرته فحدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن الفقيه سماعا
عليه قال ثنا أبو عمر الجابكي قال ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن أصبغ ووهب
ابن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن
رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن
إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن
عمر يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فإنما
نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله سن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله
واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن
خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت
مصيرا وقال الحسن بن أبي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة
نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعلم السنة والفرائض واللحن
أي اللغة وقال إن ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فإن
أصحاب السنن أعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال أصنع
كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له
عثمان رضي الله عنه ترى أني أنهى الناس عنه وتفعله قال رضي الله عنه
لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وعنه
رضي الله عنه ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد
في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر رضي الله عنه صلاة
السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال أبي بن كعب رضي الله عنه
عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر

رضي الله عنه

رضي الله عنه

الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعزه الله أبدا وقد
علمت أن من عقد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من
خشية الله كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فبينما هي كذلك إذا أصابتها
ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن
الشجرة ورقها وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل
وسنة فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا واقتصادا أن يكون على منهاج
الأنبياء وسننهم **وكتب** بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى عمر رحمه الله
بفساد بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما
جرت به السنة فكتب إليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم
يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله **وعن** عطاء في قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء
فردوه إلى الله والرسول أي كتاب الله وسنة رسول الله **وقال الشافعي**
ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعها **وقال عمر** رضي
الله عنه ونظر إلى الحجر الأسود إنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله **ورؤي** عبد الله
ابن عمر رضي الله عنه يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا أدري إلا أني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته **وقال** أبو عثمان الحيري
من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمّر الهوى على نفسه
نطق بالبدعة **قال** سهل التستري أصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية
في جميع الأعمال **وجاء** في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم **وحكي** أن أحمد بن حنبل قال كنت
يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا
يقول لي يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماما
يقتدى بك قلت من أنت قال جبريل **عليه السلام**

[خ] الله

في

فمخالفة أمره وتبديل سنته صلى الله عليه وسلم ضلال وبدعة متوعد من
الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن
أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقال تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية
حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي
عليهما قالا نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو الحسن
بن مسرور والدباغ نا أحمد بن أبي سليمان نا سحنون بن سعيد نا ابن القاسم
نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه
فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم
فيقال إنهم قد بدلوا بعدك وغيروا فأقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى
أنس أن النبي صلى الله عليه قال فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال
صلى الله عليه وسلم من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن أبي رافع
عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه
الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله
اتبعناه وفي حديث المقدام ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا
أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم
فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه
السلام هلك المتنطعون وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لست
تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني
أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ

عليه السلام

الباب الثاني
في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم
وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة
وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه
السلام إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله
وأوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية
وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا أبو علي الغساني
الحافظ فيما أجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال نا سراج بن عبد
الله القاضي نا أبو محمد الأصيلي نا المروزي نا أبو عبد الله محمد بن يوسف
نا محمد بن إسماعيل نا يعقوب بن إبراهيم نا ابن علية عن عبد العزيز
ابن صهيب عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وعن
أبي هريرة رضي الله عنه نحوه وعن أنس عنه صلى الله عليه
وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه
مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره
أن يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي التي بين جنبي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه
فقال عمر بن الخطاب والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي
بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم
ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه
عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا أبو القاسم حاتم بن محمد

عليه السلام
ع
ثلاث

إلا من نفسي

نا ابو الحسين علي بن خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن
اسماعيل نا عبدان نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن
انس رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة
يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا
صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت **وعن** صفوان بن
قدامة رضي الله عنه هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت
يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك
قال المرء مع من احب **وروى** هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس رضي الله عنهم وعن ابي ذر رحمه
الله بمعناه **وعن علي** رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما فقال من احبني واحب هذين واباهما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة **وروي** ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك
فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت
الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع
الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه **وفي**
حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال
ما بالك قال بابي انت وامي يا رسول الله اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم
القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية **وفي** حديث انس رحمه الله
ومن احبني كان معي في الجنة

فصل

فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له
حدثنا القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي
نا ابن سفيان نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن

ح م
نا مسلم

أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون
بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله ومثله عن أبي ذر رحمه الله وقد تقدم
حديث عمر رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي
من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص رضي الله
عنه ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة
بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله
عنهم يسميهم ويقول رضي الله عنهم هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي
إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر رضي الله
عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب
كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب
كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاله للعباس عليه
السلام أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله — تسلم
صلى الله عليه وسلم وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها
وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر — أرنيه
إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن أبي طالب
رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله
أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على
الظمإ وعن زيد بن أسلم رحمه الله خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس
فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الأبرار ... صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكا بالأسحار ... يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي أن عبد الله

خ قد كنت بكاء [illegible] الأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار

ابن

ابن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزول عنك فصاح يا محمداه
فانتشرت ولما احتضر بلال رضي الله عنه نادت امرأته واحزناه فقال
واطرباه غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه ويروى ان امرأة قالت
لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم
ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الآن
عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد رضي الله عنه والله
ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي
فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى
الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت المرأة اذا اتت
النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة
عنه بأرض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر
رضي الله عنه على ابن الزبير رحمه الله بعد قتله فاستغفر له وقال كنت
والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

فصل في علامات محبته صلى الله عليه وسلم

علامة

وشرف وكرم. اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا
لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم
من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع
اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في
عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه
وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم
يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله تعالى حدثنا

خ وموافقة

القاضي أبو علي الصدفي قال ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا
ثنا أبو علي البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى
ثنا مسلم ثنا حاتم ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن
سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني
إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل وقال لي يا بني وذلك من
سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه
الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو
ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي حده
في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم
لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله **ومن** علامات محبته كثرة ذكره له
فمن أحب شيئا أكثر ذكره **ومنها** كثرة شوقه إلى لقائه فكل حبيب يحب
لقاء حبيبه **وفي** حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون
غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال **و**مثله قال عمار عند
قتله **و**كما ذكرناه من قصة خالد بن معدان **ومن** علاماته مع كثرة ذكره
تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه
قال إسحاق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من
يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا **ومنها**
محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته
من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وعداوة من عاداهم وبغض من
أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحب **و**قد قال عليه السلام في الحسن
والحسين رضي الله عنهما اللهم إني أحبهما فأحبهما وفي رواية الحسن
فأحب من يحبه **وقال** من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن
أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله **وقال** عليه السلام
الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي

يعلى
ابن حاتم
في ثم قال
خالد بن معدان
رضي الله عنهم أجمعين

أبغضهم

أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى
الله يوشك أن يأخذه وقال في فاطمة إنها بضعة مني يغضبني ما
أغضبها وقال لعائشة في أسامة بن زيد أحبيه فإني أحبه وقال
آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث
ابن عمر رضي الله عنه من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه
سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس رحمه
الله حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة
فما زلت أحب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله
ابن عباس وابن جعفر رضي الله عنهم أتوا سلمى وسألوها أن تصنع
لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر
يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة
من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله
كل أمر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء أصحابه عليه السلام
قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته وقال له
عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه ومنها
أن يحب القرآن الذي أتى به صلى الله عليه وسلم وهدى به واهتدى وتخلق
به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن وحبه للقرآن
تلاوته وتفهمه والعمل به ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل
ابن عبد الله رحمه الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله
وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله
عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب
الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ألا يدخر منها إلا زادا وبلغة

خ م يتتبع

عليه السلام

خ بلغة

إلى الآخرة وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول قال والله إني أحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي عليه السلام (صلى الله عليه وسلم) وحقيقتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع في الحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال فقال سفيان رحمه الله المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه التفت إلى قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول عليه السلام اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب إلى موافق له وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها

في حبه للنبي

صلى الله عليه وسلم أو الجبل

لموافقتها

لمن وفقه الله تعالى ولا يستنزل ذلك بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة
شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعارف والمأثور عنهم السير
الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء
حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء
عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس أو يكون حبه إياه لموافقته
له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن
إليها فإذا تقرر لك ما ذكرته من الأسباب كلها في حقه صلى الله عليه
وسلم فعلمت أنه جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة أما جمال الصورة
والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد قررنا منهما قبل فيما مر من الكتاب ما
لا يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه وإنعامه صلى الله عليه وسلم على أمته
فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته
إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم
ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ويتلو
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم
فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين وأي إفضال
أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم
إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم
إلى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم
والنعيم السرمد فقد استبان لك أنه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية
شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لإفاضته
الإحسان وعمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين
معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه
ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب وإذا كان يحب
بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد
الدار لما يشاد من علمه وكرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب

المعروف

والحريم

القلوب

رحمة

الكلمة الاطيب بالطيب والاولى بالمبذر وفي قول علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام من رءاه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم

فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم **قال اهل التفسير** اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية **حدثنا** الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله نا ابن عبد المومن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رضي الله عنهم النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة **قال الامام** ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه **وقال** ابو بكر بن اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب **وقال** ابو اسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص في عبادته **و**النصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين **و**النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته صلى الله عليه وسلم وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قال

ابو سليمنا ر وقال ابو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء
سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه
الجميلة **وقال** ابو ابراهيم اسحاق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله
عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها
والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها **وقال**
احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم **قال** ابو بكر الآجري وغيره والنصح له يقتضي نصحين نصحا في
حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة
عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال
دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال
وينصرون الله ورسوله الآية **واما** نصيحة المسلمين له بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة
على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة
من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته
والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكرناه
تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه

خ اخرى

وحكى الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله ان عمرو بن الليث احد
ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل له
ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل له بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت
على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي **واما** النصح لائمة المسلمين
فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه
وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم
وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم **والنصح** لعامة المسلمين
ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل

وتنبيه غافليهم وتبصير جاهليهم وردع منتاجيهم ونشر عوارفهم ودفع
المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث

في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم

عز وجل

قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال يا ايها الذين امنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي الثلاث الايات وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه
وتعظيمه قال ابن عباس رضي الله عنه تعزروه تجلوه وقال المبرد
تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه
وقرئ تعززوه بزاءين من العز ونهى عن التقدم بين يديه صلى الله عليه
وسلم بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره
وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال
فانصتوا واستمعوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه
فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره
ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري
ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم
قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال
حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع
الاصوات فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته
وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام
وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه
ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله

وقد
لك

حرمته

وهذا

وهذا كقوله تعالى في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا على أحد التأويلين قال غيره لا تنادوه باسمه الا مستغفرين مستشفعين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قال
نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في قوم منهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم
لا يعقلون وقيل نزلت الآية الاولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله
عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت
أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم
في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه
الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله وأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول
وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى
أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة رضي الله عنه
وروي أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول
الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر رضي الله عنه كان
إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل الله تعالى إن الذين يغضون أصواتهم
عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم
وقيل نزلت إن الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه
وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه
أعرابي بصوت له جهوري أيا محمد أيا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك
قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي
صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها
إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم بل حقه أن يرعى على كل حال

وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا والله أعلم

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره وإجلاله صلى الله عليه وسلم

حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي سماعا عليهما في آخرين قالوا ثنا أحمد بن عمر ثنا أحمد بن المفسر ثنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم ابن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى وأبو معن الرقاشي وإسحاق بن منصور ثنا الضحاك بن مخلد ثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما وروى أسامة بن شريك رضي الله عنه أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته صلى الله عليه وسلم إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه

وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا قط مثل محمد في
اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا
اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس رضي الله عنه
لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه
فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان
رضي الله عنه في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم
في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث طلحة رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله
فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى
نحبه وفي حديث قيلة رضي الله عنها فلما رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما
وفي حديث المغيرة رحمه الله كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون
بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب رضي الله عنه لقد كنت اريد ان
اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فأؤخره سنين من هيبته

فصل

واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه
لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه
وسنته وسماع اسمه ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته
رضي الله عنهم جميعهم قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او
ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته
واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ومن ذلك كانت سيرة سلفنا
والائمة الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمان الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما

حـ منهم

حـ وسيرته

السلف

جازونيه قالوا نا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قال نا أبو الحسن
علي بن فهر نا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج نا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب
نا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل نا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير
المؤمنين مالكا رحمه الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب قوما
فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال إن الذين
يغضون أصواتهم الآية وذم قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات
الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله
أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم
تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله
يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله قال الله تعالى ولو
أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية **وقال** مالك وقد سئل عن أيوب السختياني
ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع
منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت
منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه **وقال** مصعب
ابن عبد الله كان مالك رحمه الله إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير
لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال
لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد
القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر
ابن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة
ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال إما مصليا وإما
صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد
الذين يخشون الله عز وجل **ولقد** كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى
الله عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في

هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم **ولقد** كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع **ولقد** رأيت الزهري وكان من أهنإ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته **ولقد** كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه **وروي** عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل **ولما** كثر على مالك رضي الله عنه الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيء وحرمته حيا وميتا سواء **وكان** ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع **وكان** عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيء ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته

حدثنا الحسين بن محمد الحافظ بكم نا أبو بكر بن خيرون قال نا أبو بكر البرقاني وغيره قال نا أبو الحسن الدارقطني نا علي بن مبشر نا أحمد بن سنان القطان نا يزيد بن هارون نا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود رضي الله عنه سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال أمثال كذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا وإما قريب من ذا **وفي** رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه **وقال** ابراهيم بن

ح / تبكي / ابو الفضل / والائمة علاج لشرح الحلبي

ح / ابو الفضل / بكسر الباء وعن كذا في الاول

ح / أو ما هو قريب / من ذا

عبد الله بن فرقد من الانصار قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو
يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم **وقال** مالك جاء رجل الى ابن المسيب
فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك
لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
مضطجع **وروي** عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع **وقال** ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث
بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له **وحكى**
مالك ذلك عن جعفر بن محمد **وقال** مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس
اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث
قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول
لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم
وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس
ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها
وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم **قال** غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم **قال** ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب
ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة
متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل وقال احب
ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** ضرار بن مرة كانوا
يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة **و**كان الاعمش اذا اراد
ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم **و**كان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا
يقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء **قال** عبد الله بن المبارك
كنت عند مالك رحمه الله وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو

تغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك
عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن مهدي مشيت يوما مع مالك رحمه الله إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني
وقال لي كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه
فقيل له إنه قاض فقال القاضي أحق من أدب وذكر أن هشام بن الغاز
سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق عليه فحدثه
عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال
عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران
وكان قتادة يستحب أن لا تقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على
وضوء ولا يحدث إلا على طهارة

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وأمهات
المؤمنين أزواجه صلوات الله عليهم كما حض عليه السلام وسلكه السلف
الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيرا الآية وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم أخبرنا
الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل من كتابه وكتبت من أصله ثنا أبو الحسن المقرئ
الفرغاني ثنا أم القاسم بنت الشيخ أبي بكر الخفاف قالت حدثني أبي ثنا حاتم
هو ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن إسماعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن
أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله أهل بيتي ثلاثا قلنا
لزيد من أهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس رضي الله
عنهم وقال عليه السلام إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب
الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام

ح في حاشية [illegible]
الشيخ [illegible]
منه قال نصه [illegible]
عليه في الأصل
ع ح
لعله سقط
عليه

معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية
لآل محمد أمان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من
النبي صلى الله عليه وسلم وإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم
بسببه وعن عمر بن أبي سلمة لما نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت وذلك في بيت أم سلمة دعا عليه السلام فاطمة وحسنا وحسينا
فجللهما بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن أبي وقاص لما نزلت آية
المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة
وقال اللهم هؤلاء أهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي
الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وقال فيه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق وقال للعباس رضي
الله عنه والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله
ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه وقال
للعباس رحمه الله اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال
هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمنت
أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان يأخذ أسامة بن زيد
والحسن ويقول اللهم إني أحبهما فأحبهما وقال أبو بكر رضي الله عنه
ارقبوا محمدا في أهل بيته وقال أيضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي وقال صلى الله عليه
وسلم أحب الله من أحب حسنا وحسينا وقال من أحبني وأحب هذين
وأشار إلى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة
وقال صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله وقال قدموا
قريشا ولا تقدموها وقال عليه السلام لأم سلمة لا تؤذيني في عائشة
وعن عقبة بن الحارث رأيت أبا بكر وجعل الحسن على عنقه وهو يقول
بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله

ابن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك
حاجة فأرسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن
الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلة ليركبها
فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله
فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا
ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وروى ان عمر فرض
لأسامة بن زيد فقال ليت من اعلم فقيل له هو محمد بن اسامة فكما ابن
عمر اسامة ونفر ببيرك الاذخر وقال الغرة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأمته وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام
لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها
حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها
ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة
آلاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله
لأبيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لأن زيدا كان
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك
فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية رضي
الله عنه ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه
واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
ان مالكا رحمه الله لما ضرب جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا
عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل
بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي
منه ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من
جعفر فقال اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد

يد

تها

خ كابس ع على

ط اسم ارض بمرو او قرية بمرو

فجعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال** ابو بكر
ابن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم لبدأت بحاجة علي
قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن اخر من السماء
الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما **وقيل** لابن عباس رضي الله
عنه ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له
اتسجد في هذه الساعة فقال اليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم **وكان** ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم
ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها **ولما** وردت
حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها
فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا لها مثل ذلك

فصل

ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم (عليه السلام) وعلى آله توقير اصحابه وبرهم
ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم
والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار
المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد
منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن
التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم
بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم واذا ذكر اصحابي فامسكوا
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى
آخر السورة **وقال** تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية
وقال تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة **وقال** تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية **حدثنا** القاضي ابو علي
ثنا ابو الحسين وابو الفضل ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب

عليه السلام

رضي الله عنهما

عليه السلام

نا الترمذي نا الحسن بن الصباح نا سفيان بن عيينة عن زائدة عن
عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال عليه السلام اصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام
الا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما
بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر
اصحابي فامسكوا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر ان الله اختار
اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة
ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير
وقال صلى الله عليه وسلم من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد
ابغضني وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس
له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءو من بعدهم الآية
وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم
الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق
وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال ايوب السختياني من احب
ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد
استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن
الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص
احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد
له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث

عمله الى

خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي
بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان
وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها
الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في
اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب
في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من
معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد
معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي
صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان
فابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم
واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني
فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه
ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من
حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيامة وقال عليه السلام من
حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض
ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم
مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف
الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله
تعالى وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم
وروي عن كعب رضي الله عنه ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم الا له شفاعة يوم القيامة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له
يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التستري لم يومن بالرسول من لم يوقر
اصحابه ولم يعز اوامره صلى الله عليه وسلم

فصل

ومن اعظامه واكباره صلى الله عليه وسلم اعظام جميع اسبابه

خ وسعيد

خ منهم

عليه
تخلى

واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه صلى
الله عليه وسلم او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة كانت لأبي
محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل
له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى
الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة
انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم
افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم
لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ورئي ابن عمر رضي الله عنه
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على
وجهه ولهذا كان مالك لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله
ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي
انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها
دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما
مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه
وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك رحمه الله فيمن قال تربة المدينة
ردية بضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه
الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم
انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة من
احدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري
اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رحمه الله وتناوله
ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات
قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ

خ قالت كذا للأب

عليه السلام

رضي الله عنه

تقطعنا من النار وحكي أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا
وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا

٤٢ جيم عشر

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري ... من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها ... من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها ... أبدا ولو سحبا على الوجنات

لا بد سأمنه من جميل نيتي   لتكفير تلك الزلات والجرات
أذكر من الهادي المجتبى بهمة   تغشاه بالآصال والبكرات
وتحية من زاكي الصلوات   ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك

صلى الله عليه وسلم

وفضيلتها: **قال الله تعالى** إن الله وملائكته يصلون على النبي
قال ابن عباس معناه إن الله وملائكته يباركون على النبي وقال
إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد وأصل الصلاة
الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله
وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة
اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء **وقال** بكر القشيري الصلاة من
الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم
تشريفا وزيادة تكرمة **وقال** أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند
الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء **قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله** وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة
عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنهما بمعنيين **وأما** التسليم
الذي أمر الله به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية
على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه وكذلك
من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره
وعند ذكره **وفي** معنى السلام عليه ثلاثة أوجه **أحدها** السلامة
لك ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة **الثاني** السلام
على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم
الله تعالى **الثالث** أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما
قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا

مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل

اعلم
ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوق
لأمر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب
وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الند
وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط
الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك
فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله قال القاضي أبو الح
ابن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنس
وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القا
أبو بكير افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسل
ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء من
ولا يغفل عنها قال القاضي أبو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الل
عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعي
ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على النبي ص
الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا يتعين في الصلاة وأن م
صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافع
الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلاة قا
وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في الصلاة فحكى الإما
أبو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين م
علماء الأمة على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غ
واجبة وشذ الشافعي رحمه الله في ذلك فقال من لم يصل على النب
صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته فاس
وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سن
يتبعها وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقد

بكير

صلى الله عليه وسلم

…ا عنه وشنعوا عليه إطلاق فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد
قال أبو بكر بن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب
مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم
وهو قول جمل أهل العلم **وحكي** عن مالك وسفيان أنها في التشهد
الأخير مستحبة وأن تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فأوجب على
تاركها في الصلاة الإعادة وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها
دون النسيان **وحكى** أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة
وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره **وحكى** ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد
ابن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي وحكى أبو يعلى العبدي
المالكي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب
وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسألة
قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي
ولا أعلم له فيها قدوة والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل
السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه **وقد** شنع الناس عليه
هذه المسألة جدا وهذا تشهد ابن مسعود رضي الله عنه الذي اختاره الشافعي
وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم
كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري
وعبد الله بن الزبير رضي الله عن جميعهم لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد **وقال**
ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب
وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه **وفي** الحديث لا صلاة

لمن لم يصل علي قال ابن القصار ومعناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث **وفي** حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة ولم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه **وقد** روي موقوفا من قول ابن مسعود **قال** الدارقطني الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم ورواه عن أبي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف

فصل في المواطن التي

يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء

حدثنا القاضي أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال نا أبو القاسم البلخي قال نا الفارسي عن أبي القاسم الخزاعي عن أبي سعيد الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ قال نا محمود بن غيلان نا عبد الله بن يزيد نا حيوة بن شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن أبا علي عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد رضي الله عنه يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو أصح **وعن** عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض فلا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم **وعن** علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد **وروي** أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله

ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح وعن
جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني
كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن
احتاج إلى شراب شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه ولكن اجعلوني
في أول الدعاء وأوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء أركان
وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته
طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح
فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب
بالله وقطعه من الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه
الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين
لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت
الصلاة علي صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه
حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم أن تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على
أحد من خلقك أجمعين آمين ومن مواطن الصلاة عليه عند سماع
ذكره وسماع اسمه أو كتابته وعند الأذان بشرطه وقد قال عليه السلام
رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى
الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال
لا يصلى عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال أصبغ عن
ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس فلا
تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على
محمد لم تكن تسمية له مع الله وقاله أشهب قال وليس ينبغي أن تجعل الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن أوس بن
أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار من الصلاة عليه يوم
الجمعة صلى الله عليه وسلم ومن مواطن الصلاة والسلام عليه

به

عليه السلام

ح
مشغول اللهم
أني أسألك الخ

صلى الله عليه
وسلم

دخول المسجد **وقال** ابو اسحاق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك
عليه ويسلم عليه تسليما ويقول **اللهم** اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك واذا خرج فعل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك **وقال** عمرو بن دينار
في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد
فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته **قال** ابن عباس
رحمه الله المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد
احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين **وعن** علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه
عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة **واحتج** ابن شعبان لما
ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو
ابن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف
في الفاظه **ومن مواطن** الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز
ذكر عن ابي امامة رحمه الله انها من السنة **ومن مواطن** الصلاة
التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث
عند ولاية بني هاشم رضي الله عنهم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض
ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب **ومن مواطن**
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة **حدثنا** ابو
القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قالوا حدثتنا كريمة
بنت احمد قالت نا ابو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسماعيل نا

خ عليه

كذا ضرب عليه في الاصل

ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض ومن ادعى مواضع التسليم عليه وسننه اول التشهد وفي روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوطة ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن وقال مالك في المجموعة واحب للماموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم

حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه نا القاضي ابو الاصبغ عيسى بن سهل نا ابو عبد الله بن عتاب نا ابو بكر بن واجب وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن ابي بكر ابن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل

سفكم المعلم عليه عن ابن شهاب

ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم **وفي** رواية
كعب بن عجرة رضي الله عنه **اللهم** صل على محمد وآل **محمد** كما
صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم
انك حميد مجيد **وعن** عقبة بن عمرو في حديثه رحمه الله **اللهم** صل على
محمد النبي الامي وعلى آل محمد **وفي** رواية ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه **اللهم** صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه **وحدثنا**
الفقيه ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي حسن بن علي بن طريف النحوي
بقراءتي عليه قالا نا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال نا ابو بكر
المطوعي قال نا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن
علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن
زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب
رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن
في يدي جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة **اللهم** صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد **اللهم** وترحم على محمد وعلى آل محمد
كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد **اللهم** وتحنن
على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد **اللهم** وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى
علينا اهل البيت فليقل **اللهم** صل على محمد النبي وازواجه امهات
المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد **وفي**
رواية زيد بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي
عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا **اللهم** بارك على

محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد **وعن**
سلامة الكندي قال كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى
النبي صلى الله عليه وسلم **اللهم** داحي المدحوات وبارئ المسموكات
اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على **محمد** عبدك
ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ
لجيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك
واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا
لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والإثم وأبهج موضحات الأعلام ونائرات الأحكام ومنيرات
الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين
وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة **اللهم** افسح له في عدنك واجزه
مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك
المحلول وجزيل عطائك المعلول **اللهم** أعل على بناء الناس بناءه
وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم
وعنه في إنما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته
يصلون على النبي الآية لبيك **اللهم** ربي وسعديك صلوات الله البر
الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على **محمد** بن عبد الله خاتم النبيين
وسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي
إليك بإذنك السراج المنير وعليه السلام **اللهم** اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين **محمد**
عبدك ورسولك إمام الخير ورسول الرحمة **اللهم** ابعثه مقاما محمودا
يغبطه به الأولون والآخرون **اللهم** صل على **محمد** وعلى آل **محمد**
كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على **محمد** وعلى آل **محمد** كما

وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه

ح شفعته لفظ وأنبه في بعض النسخ والمطالع صحيح دونه واسقاطه حسن كذا وجد بخط ابن رشيد

باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول
من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم
فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه
وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا
معهم أجمعين يا أرحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس رضي الله
عنه أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى وعن وهيب
ابن الورد أنه كان يقول في دعائه اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك
لنفسه وأعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك وأعط محمدا أفضل
ما أنت مسؤول له إلى يوم القيامة وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان
يقول إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه
فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد
عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه به الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد وما يوثر في تطويل الصلاة
وتكثير الثناء عن أهل البيت وغيرهم كثير وقوله عليه السلام والسلام
كما علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله صلى الله عليه وسلم السلام عليك
أيها النبيء ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وفي تشهد علي رحمه الله السلام على نبي الله السلام على أنبياء الله ورسله
السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى
المومنين والمومنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل
شفاعته واغفر لأهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك أيها النبيء ورحمة الله
وبركاته جاء في هذا الحديث عن علي رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله

عليه وسلم بالمغفرة وفي حديث الصلاة عنه أيضا قبل الدعاء له بالرحمة
وسلم ثابت في تعليم صلاة من أحاديث الأمر بها عقب المغفرة وقد ذهب أبو عمر
ابن عبد البر وغيره الى أنه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة
وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة
والمغفرة وقد ذكر أبو محمد بن أبي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم
ولم يأت ذلك في حديث صحيح وحجته قوله عليه السلام السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له

حدثنا أحمد بن محمد الشيخ
الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا أبو بكر بن معاوية ثنا
النسائي ثنا سويد بن نصر ثنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال أخبرني كعب
ابن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو
رحمه الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فإنه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد
الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وروى أنس بن مالك رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي
صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له
عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن أنس عنه صلى الله
عليه وسلم أن جبريل عليه السلام ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله
عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى
الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال لي أبشرك أن الله يقول من سلم عليك سلمت
عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس

عليه السلام

عبد الله

ابن الحسن ثابت وعبد الله بن أبي طلحة **وعن** زيد بن الحباب رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال **اللهم** صل على محمد
وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي **وعن** ابن
مسعود رضي الله عنه أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب **وعن** عامر بن
ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت
عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر **وعن** أبي بن
كعب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع
الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاء الموت بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك
فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال الثلثين قال ما
شئت وإن زدت فهو خير قال يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك قال
إذا تكفى همك ويغفر ذنبك **وعن** أبي طلحة رضي الله عنه دخلت على
النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره قط
فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فأتاني ببشارة من ربي
إن الله بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك إلا صلى الله
عليه وملائكته بها عشرا **وعن** جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء **اللهم**
رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت **محمدا** الوسيلة والفضيلة
وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة
وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له **وأن محمدا عبده**
ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر له
وروى ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكأنما

عليه الصلاة

شورفية وفي بعض الآثار ليردن على الحوض أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة الصلاة
علي وفي آخر إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم
علي صلاة وعن أبي بكر رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق
الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وإثمه

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ثنا أبو الفضل بن خيرون
أبو الحسين الصيرفي ثنا ابن عمر ثنا أبو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا
أبو عيسى ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا ربعي بن إبراهيم عن عبد الرحمن
بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل
أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن وأظنه
أو أحدهما وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر
فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك
فقال إن جبريل صلى الله عليه وسلم أتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم
يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن
أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم
يبرهما فمات مثله وعن علي بن أبي طالب عليه السلام عنه صلى الله عليه
وسلم أنه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن
أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة وعن علي بن أبي طالب رحمه الله أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم
يصل علي وعن أبي هريرة رحمه الله قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم
أيما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على

قال

النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وإن
غفر لهم وعن أبي هريرة من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن
قتادة عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير
صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا على أنتن من ريح الجيفة وعن
أبي سعيد رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا
لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة
لما يرون من الثواب وحكى أبو عيسى الترمذي رحمه الله عن بعض أهل
العلم قال إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ
عنه ما كان في ذلك المجلس

عليه السلام

حسرة

فصل في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الأنام

قال القاضي أبو عبد الله التميمي نا الحسين بن محمد نا أبو عمر الحافظ
نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا أبو داود نا ابن عوف نا المقرئ
نا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي إلا
رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام وذكر أبو بكر بن أبي شيبة
عن أبي هريرة رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي
عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود رضي الله
عنه إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام ونحوه عن
أبي هريرة وعن ابن عمر رضي الله عنه أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة
فإنه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فإن أحدا لن يصلي علي إلا عرضت
صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيثما
كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنه ليس
أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي إلا بلغه وذكر
بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه

عليه السلام

عليه

عن الحسن بن علي رضي الله عنه إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى
الله عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا
ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث
كنتم وفي حديث أوس رحمه الله أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فإن
صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رحمه الله رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك
أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر
فإنهما يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي
علي إلا حملها ملك حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن فلانا يقول
كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء عليهم السلام

قال الفقيه القاضي أبو
الفضل رحمه الله عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال
لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلاة
على أحد إلا على النبيين وقال سفيان يكره أن يصلى إلا على نبي ووجدت
بخط بعض شيوخي مذهب مالك أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء عليهم
السلام سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال
مالك رضي الله عنه في المبسوطة ليحيى بن إسحاق أكره الصلاة على غير
الأنبياء ولا ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله
ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما
جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى أزواجه
وعلى آله وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي روي عن ابن عباس
رضي الله عنه كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه

عليّ م
ز
ليقول
لا
له

نقول ولم يذكر فيما يستعمل فيما مضى وفي رواية عبد الرزاق عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله
ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة
والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع
منه حديث صحيح او اجماع وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته
الاية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الاية وقال اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على
آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي
حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي آخر
وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل آل بيته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة
وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت
عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال
كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان
يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي
امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم
لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود عليه السلام
وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه انه كان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الاندلسي
والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى ابن
وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك
على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله والذي ذهب اليه المحققون واميل
اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس رحمه الله

عليه السلام

واختار

واختار غير واحد من المتكلمين والفقهاء انه لا يصلى على غير الانبياء
عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا وتعزيزا كما يختص الله
تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام بالصلاة
والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله تعالى به بقوله صلوا عليه
وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال
تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال تعالى
والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وايضا فهو امر لم
يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة
في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب
مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الال والازواج مع النبي
صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص وصلاة النبي
صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراه مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها
معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له عليه السلام مخالفا
لدعاء الناس بعضهم لبعض وهو اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من
شيوخنا وبه قال ابو عمر بن عبد البر

فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو

(صلى الله عليه وسلم)

وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها
وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر رحمه الله قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك رحمه الله قال قال

حم

قالوا

خ م
قال القاضي ابو علي قال فيه ابو الفضل

نا الحسين بن جعفر نا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني نا القاضي المحاملي نا محمد بن عبد الرزاق
نا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر وذكره في بعضه وخرجه البيهقي ولم يثبت في كتاب
المعرفة كذا ... ديوان

رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت
له شفيعا يوم القيامة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني في
حياتي وكره مالك رحمه الله أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى
الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله عليه السلام نهيتكم
عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة وقيل لأن ذلك
لما قيل أن الزائر أفضل من المزور وهذا أيضا ليس بشيء إذ ليس كل زائر
بهذه الصفة وليس هذا عموما وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ولم
يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى قال أبو عمران إنما كره مالك أن يقال طواف
الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم
بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ
وأحب أن يخص بأن يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فإن الزيارة
مباحة بين الناس وواجب شد المطي إلى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب
هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك
له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي صلى الله
عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا
اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب
والله أعلم قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه ولم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة
والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية
روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي
كان يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة
وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن أبي فديك سمعت بعض من
أدركت يقول بلغنا أن من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلى هذه الآية إن
الله وملائكته يصلون على النبيء ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها

سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة وعن
يزيد بن أبي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي
إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه
مني السلام قال غيره وكان يبرد إليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت
أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى
ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف
قال مالك في رواية ابن وهب إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر
بيده **وقال** في المبسوطة لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
يدعو ولكن يسلم ويمضي **قال ابن** أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي
صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه
وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنه يسلم على القبر رأيته مائة
مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام
على أبي ثم ينصرف **ورئي** ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه **وعن** ابن قسيط والقعنبي كان أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجد جسوا برمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم
ثم استقبلوا القبلة يدعون **وفي الموطا** من رواية يحيى بن يحيى الليثي
أنه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى أبي بكر وعمر **وعند** ابن القاسم والقعنبي ويدعو لأبي بكر وعمر **قال**
مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته قال في المبسوطة ويسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما **قال**
القاضي أبو الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ
الصلاة ولأبي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف **وقال** ابن حبيب
رحمه الله ويقول إذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام
على رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته

على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني
من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع
فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت
له والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة
أفضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه
وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر من الصلاة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد
قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر
عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة
بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت
المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وفي رواية أخرى فليسلم مكان
فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفي أخرى
اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون
اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها
النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا
يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا رضي الله عنها كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر
مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله
وعن غيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
اللهم افتح لي أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل

احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي
وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج من اهل المدينة
الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر
او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له
ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا
في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون
ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع
ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة
وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده
قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر
وسلموا قال وذلك رايي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان
الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر
والتسليم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا
ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه
ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدا بالركوع قبل السلام في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى
الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف
والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت

عليه السلام

عليه السلام

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه

وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى
المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم

فيه زوجات النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد هو فقال مسجدي هذا
وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم رضي
الله عنهم وعن ابن عباس أنه مسجد قباء **حدثنا** هشام بن أحمد
الفقيه بقراءتي عليه قال نا الحسين بن محمد الغساني نا أبو عمر النمري
نا أبو محمد بن عبد المؤمن نا أبو بكر بن داسة نا أبو داود نا مسدد
نا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد **وعن** عبد الله
ابن عمرو بن العاصي رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل
المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من
الشيطان الرجيم **وقال** مالك رحمه الله سمع عمر رضي الله عنه صوتا
في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن أنت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين
القريتين لأدبتك إن مسجدنا لا يرفع فيه الصوت **قال** محمد بن
مسلمة لا ينبغي لأحد أن يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الأذى وأن
ينزه عما يكره **قال القاضي أبو الفضل رحمه الله** حكى ذلك
كله القاضي اسماعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
والعلماء متفقون أن حكم سائر المساجد هذا الحكم **قال** القاضي اسماعيل
وقال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد
رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات إلا المسجد
الحرام ومسجدنا وقال أبو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام **قال**
الفقيه القاضي رحمه الله اختلف الناس في معنى هذا
الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك

عليه
السلام

عليه السلام

في رواية أشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه بعد أن
معنى الحديث أن الصلاة في مسجد الرسول أفضل من الصلاة في سائر المساجد
بألف صلاة إلا المسجد الحرام فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتأتي
فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه بتسعمائة وعلى غيره بألف
وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب
ومالك وأكثر المدنيين رضي الله عنهم وذهب أهل مكة والكوفة إلى
تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك وحكاه
الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره
وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة وفيه وصلاة
في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة
مثله فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر
المساجد بمائة ألف ولا خلاف أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم
أفضل بقاع الأرض قال القاضي أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث
مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب
الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من
أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير
من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا
نحوه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومثله عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهم وزاد ومنبري على حوضي
وفي حديث آخر ومنبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان
أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روي ما يبينه
بيتي حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا القبر وهو قول زيد بن أسلم في

هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري رحمه الله وإذا كان قبره
في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينهما خلاف لأن قبره صلى الله عليه
وسلم في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل أنه منبره
بعينه الذي كان في الدنيا وهو الأظهر والثاني أن يكون له هناك منبر والثالث
أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب
الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين
أحدهما أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من
الثواب فيه كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني أن تلك البقعة
قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر
وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في
المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم
القيامة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال إنما
المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال صلى الله عليه وسلم لا يخرج
أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه وروي عنه صلى
الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيامة
لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيامة
وعن ابن عمر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من استطاع أن يموت
بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها وقال الله تعالى إن أول بيت وضع
للناس للذي ببكة إلى قوله آمنا قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل
كان يأمن من الطلب من أحدث حدثا أو لجأ إليه في الجاهلية وهذا مثل قوله
تعالى وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا على قول بعضهم وحكي
أن قوما أتوا سعدون الخولاني بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا
وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض البدن فقال لعله
حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية
داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما

وإذ

أن تكون

الماوردي

المنستير

نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فقال مرحبا بك من بيت ما
أعظمك وأعظم حرمتك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما
من أحد يدعو الله عند الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند
الميزاب وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين وفي رواق على
الفاسي لعامكم أبي علي رحمه الله حدثنا أبو العباس الغزري قال أنا أبو أسامة
محمد بن أحمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن
راشد سمعت أبا بكر بن محمد بن إدريس سمعت الحميدي يقول سمعت سفيان بن عيينة
قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا
استجيب له قال ابن عباس وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي وقال عمرو
ابن دينار وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن
عباس إلا استجيب لي وقال سفيان وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب لي قال الحميدي وأنا ما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي
وقال محمد بن إدريس وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من الحميدي إلا استجيب لي وقال أبو الحسن محمد بن الحسن وأنا ما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب لي
قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وأنا ما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا
استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال
الغزري وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي
أسامة إلا استجيب لي قال ابن علي وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء
كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذا من مثل النكت في هذا الفصل ولم نكثر من الأنباء لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

نبذا

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

القسم الثالث
فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو ما يستحيل في حقه أو يجوز عليه أو ما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه

قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل الآية وقال تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم إذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته وقال تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل صلوات الله عليهم فالأنبياء والرسل وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله

وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة
بأوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام
والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى
من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة
من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية
إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن
الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر
ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات
البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله
تعالى فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح
والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من أمتي خليلا
لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن
وكما قال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال عليه
السلام إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة
عن الآفات مطهرة عن النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي
بمضمونها كل ذي همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد
هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله اعلم أن الطوارئ من
التغييرات والآفات على آحاد البشر لا تخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه
بغير قصد واختيار كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في
الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيلها إلى ثلاثة أنواع عقد
بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات

والتغييرات باختيار وبغير الاختيار في حق الرسول كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله فيما نأتي به من التفصيل

فصل في حكم عقد قلب النبي عليه السلام من وقت نبوته

(صلى الله عليه وسلم)

اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين **هذا** ما وقع عليه إجماع المسلمين ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه **ولا** يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته **الوجه الثاني** أن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك **الوجه الثالث** أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ويجوز في النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة **ولهذا** قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله **الوجه الرابع** أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا **الوجه**

الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء
الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية **الوجه السادس**
أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه **وقول**
نبينا صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم نفي لأن
يكون إبراهيم عليه السلام شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا
بإبراهيم عليه السلام أي نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى فلو
شك إبراهيم لكنا أولى بالشك منه إما على طريق الأدب أو أن يريد أمته
الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والإشفاق وإن حملت قصة
إبراهيم عليه السلام على اختبار حاله أو زيادة يقينه **فإن قلت**
فما معنى قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون
الكتاب من قبلك الآية **فاحذر ثبت الله قلبك** أن
يخطر ببالك ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز
عليه جملة بل قد قال ابن عباس رضي الله عنه لم يشك النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن **وحكى** قتادة أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك وما أسأل وعامة المفسرين على هذا
واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك إن كنت في شك
الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا قوله تعالى قل يا أيها الناس
إن كنتم في شك من ديني الآية **وقيل** المراد بالخطاب العرب وغير النبي
صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب
له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير
قال بكر بن العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
وهو صلى الله عليه وسلم كان يكذبه فيما يدعو إليه فكيف يكون صلى الله
عليه وسلم ممن كذب به فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره ومثل
هذه الآية قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هنا غير النبي صلى الله

عليه السلام

عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم هو
أفضل المسؤول بل هو أفضل السائل وقيل إن هذا الشك الذي أمر غير النبي
صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤون الكتاب إنما هو فيما قصه الله
تعالى من أخبار الأمم لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا
قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والمخاطب
في الحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن أرسلنا
من قبلك فحذف عن اكتفاء بمن وتم الكلام ثم ابتدأ الكلام أجعلنا من دون الرحمان آلهة
آلهة يعبدون على طريق الإنكار أي ما جعلنا ذلك حكاه مكي وقيل أمر النبي صلى الله
عليه وسلم أن يسأل الأنبياء عليهم السلام ليلة الإسراء فمن ذلك فكان أشد
يقينا من أن يحتاج إلى السؤال فلم يسأل وإنه قال لا أشك قد اكتفيت قاله ابن زيد
وقيل اسأل أمم من أرسلنا من قبلك هل جاءهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد
والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله إعلام الله تعالى بأنه لم يبعث
الرسل إلا به وأنه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لأحد ردا على مشركي العرب وغيرهم
في قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين أي في
علمهم بأنك رسول وأنهم يقرون بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر من أول الآية
وقد تكون أيضا على مثل ما تقدم أي قل يا محمد في ذلك لا تكونن من
الممترين بدليل قوله أول الآية أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم
الكتاب مفصلا الآية وأن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب به غيره وقيل
هو تقرير كقوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله
وقد علم أنه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمأنينة
وعلما إلى علمك ويقينك وقيل إن كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به
فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن أبي عبيد أن المراد
إن كنت في شك من غيرك فيما أنزلنا قال وقيل في معنى قوله عز وجل
حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا

خ لا أشك ولا أسأل
حسـ لا أسأل

في شك وصفتك

المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله أن تكون ذلك
الرسل بربها وإنما معنى ذلك أن الرسل لما استيأسوا ظنوا أن من وعدهم
النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى هذا أكثر المفسرين وقيل إن الضمير في

بالتخفيف والتشديد

ظنوا عائد على الأتباع والأمم لا على الأنبياء والرسل وهو قول ابن عباس
والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء رضي الله عنهم وبهذا المعنى قرأ
مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق
بمنصب العلماء فكيف بالأنبياء عليهم السلام وكذلك ما ورد في حديث
السيرة ومبتدإ الوحي من قوله عليه السلام لخديجة لقد خشيت على
نفسي ليس معناه الشك فيما أتاه من الله بعد رؤية الملك ولكن لعله
خشي أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق
نفسه هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد لقائه الملك أو يكون ذلك
قبل لقائه الملك وإعلام الله تعالى له بالنبوءة أو لما عرضت عليه من
العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في
بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولا في المنام ثم أري في اليقظة مثل ذلك
تأنيسا له صلى الله عليه وسلم لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة
فلا يحتمله لأول حاله بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها
أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت
ثم حبب إليه الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء وعن ابن
عباس رضي الله عنه مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة
سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثماني سنين

وثمان

يوحى إليه وقد روى ابن إسحاق عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ
وذكر نحو حديث عائشة في غطه له وإقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال
فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما صورت في قلبي ولم يكن أبغض إلي من
شاعر أو مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا أبدا لأعمدن

الى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فبينما انا عامد من
لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل
فرفعت راسي فاذا جبريل في صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله
بما قال او قصد له بما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام وقبل
اعلام الله بالنبوءة واظهاره واصطفائه له بالرسالة صلى الله عليه
وسلم ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة
اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى
ضوءا واخشى ان يكون بي جنون **وعلى** هذا ياتي والوضع في قوله في بعض هذه
الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معاني الشك
في تصحيح ما رآه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام
الله تعالى له انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد
اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك
فيما القي اليه **وقد روى** ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يرقى من مكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه
القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك
قال اما الآن فلا **وحديث** خديجة رضي الله عنها واختبارها امر
جبريل عليه السلام بكشف راسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتستحقق
نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها
لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر حاله بذلك بل قد
ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة
رضي الله عنها ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك **وفي** حديث اسماعيل
ابن حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع
ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل عليه السلام اخبرها
فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى آخره **وفيها** فقالت ما هذا

خ لعله واصطفائه

قوله

خ اخ

بشـ

فيشككان فهذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وقد آمنت به صلى الله عليه
وسلم ورضي عنها فهذا يدل انها مستثبتة فيما فعلته لنفسها وتستحكم في
الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم **وقول** معمر في فترة الوحي فحزن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده
ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف
مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه يحمل على انه كان أول
الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال
تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث أسفا ويصح
معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن
عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى
الله عليه وسلم واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه
وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا أيها
المزمل ويا أيها المدثر أو خاف عليه السلام ان الفترة لأمر او سبب
منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع
بالنهي عن ذلك فيعترض به **ونحو** هذا فرار يونس عليه السلام خشية
تكذيبه قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس عليه
السلام فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه **قال مكي** رحمه الله
طمع في رحمة الله تعالى وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه **وقيل** حسن
ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة **وقيل** نقدر عليه ما أصابه
وقد قرئ نقدّر بالتشديد **وقيل** نؤاخذه بغضبه وذهابه **وقال**
ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي
ان يجهل صفة من صفات ربه تعالى **وكذلك** قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه
إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمومنين فكيف

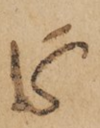
او احرجه بمهملة وجيم اوقعه في حرج وضيق

بالانبياء عليهم السلام وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او
يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من
التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري
اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس رضي
الله عنه ان رسالة يونس ونبوته انما كانت بعد ان نبذه الحوت واستدل من الاية
بقوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه
الاية ويستدل ايضا بقوله عز وجل ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم
قال تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر
الله كل يوم مائة مرة وفي طريق اخرى في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر
ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه صلى الله عليه
وسلم بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله
من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى
القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا
يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه
مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه
وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين
اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشا
هدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة
الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه
من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة
واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو
همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه
رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله

وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا أولى وجوه الحديث
وأشهرها وإلى معنى ما أشرنا إليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب
ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز
الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة
من أرباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة إلى أن معنى
الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه
بهم وكثرة شفقته عليهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة
التي تتغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره صلى
الله عليه وسلم عندها إظهارا للعبودية والافتقار قال ابن عطاء
استغفاره وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار قال غيره
ويستشعرون الحذر ولا يركنون إلى الأمن وقد يحتمل أن تكون هذه الإغانة
حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة
لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا وعلى هذه
الوجوه الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم إنه ليغان على قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فأستغفر الله
فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله تعالى لنوح عليه السلام
فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم
أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول من قال في آية نبينا لا تكونن ممن يجهل أن لو
شاء لجمعهم وفي آية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله
حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات الله
وذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا
في أمورهم بسمات الجاهلين كما قال تعالى إني أعظك وليس في آية منهما
دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية

فيستغفر لهم

نوح عليه السلام قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم بحملها بعضهم على
ما قبلها أو يكون مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد يجوز إباحة السؤال فيه
ابتداء فنهاه الله أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه من غيبه من
السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله تعالى نعمته عليه بإعلامه ذلك
بقوله تعالى إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك أمر
نبينا صلى الله عليه وسلم في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا
يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه أبو بكر بن فورك
رحمه الله **وقيل** معناه الخطاب لأمة محمد عليه السلام أي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي رحمه الله وقال مثله في القرآن كثير فبهذا
الفصل وجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعا **فإن قلت**
فإذا قررت عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى
إذا وعيد الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك إن فعله وتحذيره
منه كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة الآية
وقوله لأخذنا منه باليمين وقوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن
سبيل الله وقوله فإن يشإ الله يختم على قلبك وقوله وإن لم تفعل فما بلغت
رسالته وقوله يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فاعلم وفقنا الله وإياك أنه عليه السلام لا يصح ولا يجوز



عليه أن لا يبلغ وأن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك به ولا يتقول على الله
ما لا يجب أو يفتري عليه أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع الكافرين لكن
يسر الله تعالى أمره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وأن إبلاغه
إن لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله
والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون صلى الله عليهما لا تخافا
إنني معكما أسمع وأرى لتشتد بصائرهم في الإبلاغ وإظهار دين الله ويذهب
عنهم خوف العدو المضعف للنفس **وأما** قوله ولو تقول علينا بعض

إنه قال ويل ابن ريبة وقوله إذاً لأذقناك ضعف الحياة أي بعذابها إن هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله فالمراد غيره كما قال إن تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فإن يشإ الله يختم على قلبك ولئن أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد غيره وأن هذا حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه أنه أطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم ولا كان من الظالمين

فصل

وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحداً نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وأنا أقول إن قريشاً قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعيّر كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل

قوله كذا تعاضدت

اشنع

فيه الكتاب فيهم على ان عذرهم عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه
اذ لو كان لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا
ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم **وقد** استدل
القاضي القشيري رحمه الله على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق
النبيين الى قوله لتومنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد
ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به
ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا
يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل
عليه السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدإ
ولا يشبه عليك بقول ابراهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس
هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف **وذهب** معظم الحذاق من العلماء والمفسرين
الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم **وقيل** معناه
الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربي قال الزجاج قوله
هذا ربي اي على قولكم كما قال تعالى اين شركاءي اي عندكم ويدل على انه لم
يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله تعالى طرفة عين قول الله تعالى
عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم
واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال تعالى اذ جاء
ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قيل انه ان لم يويدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم
على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال
فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من

ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها **فلا** تشكل عليك لفظة العود
وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي
هذه اللفظة لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين
عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك ومنه قول الشاعر

فعادا بعد ابوالا ... وما كانا قبل ذلك

فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى وليس هو من
الضلال الذي هو الكفر **قيل** ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري
وقيل ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى
ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد **وقيل** ضالا عن شريعتك اي
لا تعرفها فهداك اليها والضلال هنا التحير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم
يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله
الى الاسلام قال معناه القشيري رحمه الله **وقيل** لا تعرف الحق فهداك
اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم وقاله علي بن عيسى **قال** ابن
عباس رضي الله عنه لم تكن له ضلالة معصية **وقيل** هدى اي بين
امرك بالبراهين **وقيل** ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى
المدينة **وقيل** المعنى ووجدك فهدى بك ضالا **وعن** جعفر بن محمد رضي الله
عنه ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي
وقرا الحسن بن علي رضي الله عنه ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك
وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما
قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا هنا في
الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا **ومثله** عند هذا قوله انا لنراها
في ضلال مبين اي محبة بينة **وقال الجنيد** ووجدك متحيرا في بيان ما انزل
اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية **وقيل** ووجدك
لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا من

خ
في كلام العرب

خ
ومثله قول الشاعر
تلك المكارم لا قعبان
من لبن ... شيبا بماء
فعادا بعد ابوالا
وما كانا قبل ذلك
فان قلت خ

ع
يشرع
خ
حكى

المفسرين فقال فيه قاله عمرو بن دينار **وكذلك** قوله في قصة موسى
عليه السلام فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من الجاهلين الفاعلين شيئا
بغير قصد قاله ابن عرفة **وقال** الأزهري معناه من الناسين **وقد**
قيل ذلك في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قاله بعضهم وأن تنسيا كما قال تعالى أن تضل
إحداهما **فإن قلت** فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الإيمان **فالجواب** أن السمرقندي قال معناه ما كنت تدري
قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان **وقال**
بكر القاضي نحوه قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام قال وكان قبل
مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف
إيمانا وهو أحسن وجوهه **فإن قلت** فما معنى قوله وإن كنت من قبله
لمن الغافلين **فاعلم** أنه ليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون
بل حكى أبو عبيد الهروي أن معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام
إذ لم تعلمها إلا بوحينا **وكذلك** الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شيبة
بسنده عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين
مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم
خلفه فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام فلم
يشهدهم بعد **وهذا** الحديث أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع
أو يشبه بالموضوع **وقال** الدارقطني يقال إن عثمان وهم في إسناده
والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه والمعروف
عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله وقوله عليه
السلام بغضت إلي الأصنام وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم أيمن
حين كلمه عمه وآله في حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد
كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم
تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا
وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات

شبيه خ

والعزى

والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه
علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله
إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك **وكذلك** كان
المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله له أنه كان قبل نبوته
يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف
ابراهيم عليه السلام

فصل

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد بان بما قدمناه عقود
الأنبياء عليهم السلام في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك
على ما بيناه فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة
علما ويقينا على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين
والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل
ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب
الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم
في هذه المعارف تختلف فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق
الأنبياء صلوات الله عليهم العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها
واعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم
متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها
بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن
الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شاء الله ولكنه
لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله
وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم
والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا
بالكلية وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم

أن العصمة لا تنفي
ما

بذلك كله مشهورة. وأما إن كان من القصص فيما يتعلق بالدين فلا يصح
من النبي صلى الله عليه وسلم إلا العلم به ولكن يصح عليه جملة جملة
لأنه لا يخلو أن يكون حصل تصديقه بذلك عن وحي من الله فهو مما لا يصح
الشك منه فيه على ما قررناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون
فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع
الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث أم سلمة إني
إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة أسرى
بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون أيضا ما يعتقده فيما يثمره
اجتهاده إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف
فيه ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين
الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد
لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطإ في الاجتهاد في الشرعيات
ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي
صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم
يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قلبه فأما
ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولا
إلا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده إما بوحي من
الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله وقد كان ينتظر الوحي
في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده صلى الله عليه
وسلم وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل
وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة
إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده من ملكوت
السماوات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى
وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم
ما كان وما يكون مما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه

فيما
ولا يكون
فيما
بتصويب
عليه

لا يأخذ فيما أعلم به منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه
لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان عنده من علم ذلك ما
ليس عند جميع البشر لقوله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على
قلب بشر وإن تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول موسى لخضر عليهما
السلام هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا وقوله عليه السلام
أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وقوله صلى الله عليه
وسلم أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد
قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي
العلم إلى الله عز وجل وهذا ما لا خفاء به إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها
ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع
والمعارف والأمور الدينية

فصل

واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان
وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس
وقد أخبرنا القاضي الحافظ أبو علي رحمه الله قال نا أبو
الفضل بن خيرون العدل نا أبو بكر البرقاني وغيره نا أبو الحسن الدارقطني
نا إسماعيل الصفار نا عباس الترقفي نا محمد بن يوسف نا سفيان
عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وقد
وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال
وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني
إلا بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه روي فأسلم بضم
الميم أي فأنا أسلم منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها ورووا فأسلم
يعني القرين أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير
كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي

أبو الفضل رحمه الله فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط
على كل أحد من بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا أقدر
على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن
رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من
إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي صلى الله
عليه وسلم وأسره ففي الصحاح قال أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
إن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي
الصلاة فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية
حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
الآية فرده الله خاسئا وفي حديث أبي الدرداء عنه صلى الله
عليه وسلم أن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي
صلى الله عليه وسلم في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت
أن آخذه وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة
وكذلك في حديثه في الإسراء وطلب عفريت له عليه السلام بشعلة
نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه ذكره في الموطأ ولما لم
يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش
في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي
ومرة أخرى في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ زين
لهم الشيطان أعمالهم الآية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة
وكل هذا فقد كفاه الله أمره وعصمه ضره وشره وقد قال صلى الله
عليه وسلم أن عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته
حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم حين لد في مرضه وقيل
له خشينا أن يكون بك ذات الجنب فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله
ليسلطه علي فإن قيل فما معنى قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان
نزغ الآية فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى قوله

خ أخذه

ن وابتدره

واعرض عن الجاهلين ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك غضب يحملك على
ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ ها هنا الفساد كما قال
تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك
والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه غضب على
عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى وساوسه ما لم يجعل
له سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته إذ لم
يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه
الآية غير هذا وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس
عليه لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل
لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة
إما بعلم ضروري يخلقه الله له أو ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فإن قيل فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية
فاعلم أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل منها السهل والوعث
والسمين والغث وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين أن التمني
ها هنا التلاوة وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار من
أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو يدخل
غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله
وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية
بعد بأشبع من هذا إن شاء الله وقد حكى السمرقندي رحمه الله
إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وأن مثل
هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان عليه السلام مبينة بعد هذا ومن
قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب عليه
السلام وقوله أني مسني الشيطان بنصب وعذاب إنه لا يجوز لأحد
أن يتأول أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك

قبل خ

غير ع

إنما بفعل الله وأمره ليبتليهم ويثيبهم. قال مكي رحمه الله: وقد قيل
إن الذي أصاب الشيطان منه ما وسوس به إلى أمثاله. فإن قلت فما معنى
قوله تعالى عن يوشع عليه السلام «وما أنسانيه إلا الشيطان» وقوله تعالى
عن يوسف «فأنساه الشيطان ذكر ربه» وقول نبينا صلى الله عليه وسلم
حين نام عن الصلاة يوم الوادي «إن هذا واد به شيطان» وقول موسى عليه
السلام في وكزته «هذا من عمل الشيطان». فاعلم أن هذا الكلام قد
يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو
فعل بالشيطان أو فعله كما قال تعالى «طلعها كأنه رؤوس الشياطين». وقال صلى
الله عليه وسلم «فليقاتله فإنما هو شيطان». وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا
الجواب عنه إذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى عليه السلام.
قال الله تعالى «وإذ قال موسى لفتاه» والمروي أنه إنما نبئ بعد موت
موسى عليه السلام وقيل قبيل موته. وقول موسى كان قبل نبوته بدليل
القرآن، وقصة يوسف قد ذكر أنها كانت كلها قبل نبوته. وقد قال
المفسرون في قوله تعالى «فأنساه الشيطان» قولين: أحدهما أن الذي أنساه
الشيطان ذكر ربه أحد صاحبي السجن، وربه الملك؛ أي أنساه أن يذكر للملك
شأن يوسف عليه السلام. وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه
تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ، وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور
أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا. وأما قوله صلى الله
عليه وسلم «إن هذا واد به شيطان» فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته
له، بل إن كان بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله عليه السلام
«إن الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام». فاعلم
أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر.
هذا إن جعلنا قوله «إن هذا واد به شيطان» تنبيها على سبب النوم عن
الصلاة، وأما إن جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك
الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب

خ عليه

لبيانه وارتفاع إشكاله

فصل

وأما أقواله صلى الله عليه وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة
المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه
من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا
أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى
صدق فيما قال اتفاقا وبإطباق أهل الملة إجماعا وأما وقوعه على
جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني
ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة
النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر
الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول
بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه
لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به
عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه لا على طريق العمد ولا على غير عمد ولا في حالي
الرضى والسخط والصحة والمرض **وفي** حديث عبد الله بن عمرو رضي الله
عنه قلت يا رسول الله أأكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب
قال نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقا **ولنزد** ما أشرنا إليه
من دليل المعجزة عليه بيانا **فنقول** إذا قامت المعجزة على صدقه
وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله إلا صدقا وأن المعجزة قائمة مقام
قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول إني رسول الله إليكم لأبلغكم
ما أرسلت به إليكم وأبين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا
وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره
على أي وجه كان فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط
الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص

رضي الله عنه

وتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب بإيماننا وإجماعنا
كما قاله أبو إسحاق رحمه الله

فصل

وقد توجهت هنا لبعض الكفار عشر سؤالات **منها** ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم قال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية وإن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى وفي أخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك الآية **فاعلم أكرمك الله** أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله والثاني على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم **وصدق** القاضي بكر بن العلاء المالكي رحمه الله حيث يقول لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي صلى

خ المرادة بهذا الموضع

خ منزلة

الحديث

خ بعض

الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه السلام قال ما هكذا أقرأتك
وءاخرون يقولون بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما
بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا أنزلت إلى غير ذلك
من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم
يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة
واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
الحديث **قال** أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة
إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي
عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف
من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك
فيما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه **وأما** حديث الكلبي
فلا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار
رحمه الله والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم
وهو بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهينه
من طريق النقل **فأما من جهة** المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت
الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة
إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن
يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه
ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه
عليه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم
أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهوا
وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته صلى
الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا وأن

ح قرأها

ج٤ ح٤ منه : فيه

ح عن الكلبي

ح فيه كما ذكرنا

ح فيما لا تجوز

يشتبه عليه فالقى الملك بما القى الشيطان او يكون للشيطان عليه
سبيل او ان يتقول على الله لا سهوا ولا عمدا ما لم ينزل عليه وقد قال
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقال تعالى اذا لاذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات الآية **ووجه ثان** وهو استحالة هذه القصة
نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام
متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي
صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى
عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب
البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه **ووجه ثالث** انه قد علم
من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة
وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض
ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد شيئا في هذه القضية سوى هذه
الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين
الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة
الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة
القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي
حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا
عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في
ادخال بعض شياطين الانس او الجن هذا الحديث على مغفلي المحدثين ليلبس
به على ضعفاء المسلمين **ووجه رابع** ذكر الرواة لهذه
القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان
تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه
لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان
يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم

ح
الفينة حينا بعد حين
ح
الشماتات بضم الشين
المعجمة وتشديد
الميم جمع شامت
بجلاء وكعار مع
اشتقاقه وهي
فرح العدو ببلاء
يصيب عدوه من
نوائب الدهر
شهاب

ن
متكلم

الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال صلى الله
عليه وسلم افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية ومبنى
تضعيف الفرية لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الآية الأخرى
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون
إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء **وقد روي** عن ابن عباس رضي الله عنه
كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون وقال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب
بالأبصار ولم يذهب وأكاد أخفيها ولم يفعل **قال القشيري**
القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها
ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل **قال ابن الأنباري** رحمه
الله ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر
منها ما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق
في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار
وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم
وهو مفهوم الآية **وأما** المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح
وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك
أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين **فمنها** ما روى قتادة ومقاتل
أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند قراءته هذه السورة
فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي
صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله تعالى على لسانه
ولا يستولي عليه الشيطان في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من
جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث
نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن
عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان وكل
لا يصح أن يقوله صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان
على لسانه **وقيل** لعل النبي صلى الله عليه وسلم قال أثناء تلاوته على

تقرير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهذا احد ما ذكره القاضي ابو بكر **ولا** **يعترض** على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين بحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله تعالى وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه **وقد حكى** محمد بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة **وقد** قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته **وقيل** معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية انه تمنى وقال اذا تمنى اي حدث نفسه **وفي** رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين

خ موسى بن عقبة

خ حدث نفسه

على

على حسب ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر
في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فإن سلمنا
القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلى أنها
الملائكة وإن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر
الكلبي الغرانقة أنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون أن الأوثان
والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة
بقوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله كل هذا من قولهم ورجاء
الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر
آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم
نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين
اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت
تلاوته وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من
يشاء ويهدي به من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد
وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
الآية **وقيل** إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ
ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء
من ذمها فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله
عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه
وأشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن
لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما أرسلنا من قبلك
الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته
ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله إنا نحن نزلنا الذكر الآية
ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام أنه وعد قومه

ن

خ سبيلا

خ ودفع

بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال إن أرجع إليهم
كذابا أبدا فذهب مغاضبا فاعلم أرشدك الله أنه ليس في خبر من
الأخبار الواردة في هذا الباب أن يونس قال لهم إن الله مهلككم وإنما فيه
أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه
قال لهم إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع
الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الأخبار أنهم رأوا دلائل
العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشيهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فإن قلت فما معنى ما روي من أن عبد
الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار إلى قريش وقال لهم إني كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملي علي
عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر
فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول أكتب كذا فيقول اكتب
كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول أكتب سميعا بصيرا
فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن أنس أن نصرانيا كان يكتب للنبي
صلى الله عليه وسلم بعدما أسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت
له فاعلم ثبتنا الله وإياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل إلينا سبيلا أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقع
في قلب مؤمن ريبا إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر
المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو
أعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد
صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن أحد من
المسلمين ولا ذكر أحد من الصحابة أنه شاهد ما قاله وافتراه على نبي
الله وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله الآية وما وقع
من ذكرها في حديث أنس وظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل على أنه

مهلككم

خ الثوب القبر

عليه السلام

شاهدتها

شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه
ثابت عنه ولم يتابع عليه رواه حميد عن انس قال ولا نعلم حميدا سمعه
من ثابت **قال المؤلف رضي الله عنه** وهذا والله اعلم لم
يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن
رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة وقد ذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء
من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن غيره من التابعين ولو كانت
صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي
اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن
في نظم القرءان وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب
قال له عليم حكيم اذ كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو
فسبقه لسانه وقلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار
الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها
بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق
ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام الحسن الى ما
يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة و
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان
فيه من مقاطع الايات وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله
عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام
الى الاخرى فذكرها للنبي قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لهما كما قدمناه
فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ
ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الاي مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد
قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات
جاءت على وجهين في غير المقاطع قرا بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل
وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقض الحق ويقص الحق وكل هذا

عليه السلام

عليه السلام

لا يوجب ذنبا ولا يتسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد
قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس
غير القرآن فيصف الله تعالى ويسميه في ذلك كيف يشاء

فصل

هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار
التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا يضاف الى وحي بل في
امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده
ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك
انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله
والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم
توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع
فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر
باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج عمر رضي الله عنه بقوله صلى
الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة
من ابي القاسم فقال له عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره واثاره
وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
صلى الله عليه وسلم لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو
كان ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله عليه وسلم في رجوعه عما اشار به
على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور
التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها
الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون الي الحديث
وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل
في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها وايضا فان الكذب متى

ج اقواله

خ لهم

خ تفاصيلها

عُرِف من أحد في شيء وإن خفّ أن بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب بخبره
واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء
الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته
وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع
مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة
منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك
وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها
في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره
وسهوه وعمده إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما
جاء به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة
فلنقطع على يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه من الوجوه
لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو
فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا
الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري بهم ويريب بهم وينفر
القلوب عن تصديقهم بعد وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم
في قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا
به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله
عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني أول الكتاب
ما يبين لك صحة ما أشرنا إليه

فصل

فإن قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي
أخبرنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر قال نا القاضي أبو الأصبغ
سهل قال نا حاتم بن محمد نا أبو عبد الله بن الفخار نا أبو عيسى نا عبيد الله
نا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال
سمعت أبا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم

بخبره خ

خ يستبشع ويشاع ويستشنع بالنون

عن خ

عليه السلام

في ركعتين فقال ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الأخرى لم
تقصر ولم أنس ثم أتى الخبر بتحقيقه فأخبر بنفي الحالين وأنهما لم تكن وقد كان
أحد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله **فاعلم**
وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد
الإنصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف **وها أنا أقول**
أما على القول بتجويز الغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي
زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه **وأما** على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في أفعاله جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة النسيان
ليسن فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد
هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره في موضعه **وأما** على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجويز السهو عليه
فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة **منها** أن النبي صلى
الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره أما إنكار القصر فحق وصدق باطنا
وظاهرا وأما النسيان فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه
لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق
أيضا **وجه ثان** أن قوله صلى الله عليه وسلم ولم أنس راجع إلى
السلام أي أني سلمت قصدا وسهوت عن العدد أي لم أسه في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد **وجه ثالث** وهو أبعدها ما ذهب إليه
بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان
بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله
ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه
محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها **قال القاضي أبو**
الفضل رحمه الله والذي أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه الوجوه
كلها أن قوله لم أنس إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره

خ نسيانا لم يكونا

بنية خ
بتجويز الوهم والغلط

عليه السلام

بقوله

بقوله بينما الآخر كذا أن يقول أنسيت آية كذا ولكنه نُسّي ولقوله في
بعض روايات الحديث الآخر لست أنسى ولكن أُنسّى فلما قال له السائل
أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه
وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق أنه نُسّي وأجري
عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم أنس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق
لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نُسّي **ووجه آخر** استثرته
من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو
ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان غفلة وآفة
والسهو إنما هو شغل بال قال فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا
يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة
عنها فهذا إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت خلف
في قول وعندي أن قوله ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذي هو أحد وجهي
النسيان أراد والله أعلم أني لم أسلم من ركعتين تاركا لإكمال الصلاة ولكني
نُسّيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح إني لأنسى أو أُنسّى لأسن **وأما قصة**
كلمات إبراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث أنها كذبات ثلاث المنصوصة
في القرآن ومنها اثنان وهي قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك
عن زوجته إنها أختي **فاعلم أكرمك الله** بأن هذه كلها خارجة
عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها
مندوحة عن الكذب فأما قوله إني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم
أي إن كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم إلى عيدهم بهذا
وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت **وقيل** سقيم القلب بما أشاهده
من كفركم وعنادكم **وقيل** بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم
فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل خبر صحيح صدق
وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما أراد بيانه لهم من جهة النجوم

ثبت ح
وعند ابن رشيد

التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقلاله بحجته
عليهم في حال شغله ومرض حال مع أنه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه
ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول
حتى ألهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر
ما نصه الله وقد قدمنا بيانه **وأما** قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية
فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال إن كان ينطق فهو فعله على طريق
التبكيت لقومه وهذا صدق أيضا ولا خلف فيه **وأما** قوله أختي فقد
بين في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام وهو صدق والله يقول إنما
المؤمنون إخوة **فإن قلت** فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها
كذبات وقال لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة
ويذكر كذباته **فمعناه** أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب
وإن كان حقا في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهومها خلاف
باطنها أشفق إبراهيم بمؤاخذته بها **وأما** الحديث كان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول إنما هو
ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال
عن موضع آخر والبحث عن أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول تجهزوا
إلى غزوة كذا أو وجهتنا إلى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والأول
ليس فيه خبر يدخله الخلف **فإن قلت** فما معنى قول موسى عليه
السلام وقد سئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله ذلك عليه
إذ لم يرد العلم إليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك
وهذا خبر قد أنبأ الله أنه ليس كذلك **فاعلم** أنه وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم أحدا أعلم منك فإذا كان
جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق
الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله في النبوة والاصطفاء
يقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا

لا خلاف فيه وقد يرد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من
علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه
بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص
المذكورة فخبر فيما نقلنا ان موسى عليه السلام اعلم على الجملة بما تقدم
وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا
علما وعتب الله تعالى عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه
لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه
لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله
في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان
نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه
الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله
فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا
من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر **وهذا الحديث**
حجة لمن قال بنبوة الخضر لقوله فيه انه اعلم من موسى ولا يكون
الولي اعلم من النبي واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما
فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل انه
فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي
غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول
عليه واذا جعلنا قوله اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص
وفي قضايا معينة لم نحتج الى نبوة الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى
اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال
آخرون انما الجئ موسى الى الخضر للتأديب لا للتعليم

فصل

واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال فلا يخرج من جملتها القول باللسان
فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد في القلب فيما عدا التوحيد

ح سبيلها
ح المغالطة عنه
ح يضعفه
ح اثبات دفع

وقد قدمناه من قال بوجوب المقتدى به **فأجمع** المسلمون على عصمة الأنبياء
من الفواحش والكبائر الموبقات **ومستند** الجمهور في ذلك الإجماع الذي
ذكرناه وهو مذهب القاضي أبي بكر رضي الله عنه ومنعها غيره بدليل
العقل مع الإجماع وهو قول الكافة واختاره الأستاذ أبو إسحاق **وكذلك**
لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لأن كل ذلك
يقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة **والجمهور**
قائلون بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون باختيارهم
وكسبهم إلا حسينا النجار فإنه قال إنهم لا قدرة لهم على المعاصي أصلا
وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء
وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد
هذا ما احتجوا به **وذهبت** طائفة أخرى إلى الوقف وقالوا العقل
لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين **وذهبت**
طائفة أخرى من المحققين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا
لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك وقول
ابن عباس وغيره إن كل ما عصي الله به فهو كبيرة وأنه إنما سمي منها
الصغير بالإضافة إلى ما هو أكبر منه ومخالفة الباري سبحانه في أي أمر كان يجب
كونه كبيرة **قال القاضي** أبو محمد عبد الوهاب لا يمكن أن يقال إن في
معاصي الله صغيرة إلا على أنها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها
حكم مع ذلك بخلاف الكبائر إذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة
في العفو عنها إلى الله وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة الأشعرية وكثير
من أئمة الفقهاء **وقال بعض أئمتنا** ولا يجب على القولين أن يختلف أنهم
معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها إذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة
أدت إلى إزالة الحشمة وأسقطت المروءة وأوجبت الإزراء والخساسة فهذا
أيضا مما يعصم عنه الأنبياء إجماعا لأن مثل هذا يحط منصب المتسم به
ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والأنبياء منزهون عن ذلك بل يلحق

ع قائل

ع من الفقهاء والمتكلمين

خ الأعلى معنى أنها

2.

بهذا ما كان من قبيل المباح فلا دليل في مثله يعني وجد فيه ما أدى الندب عن اسم المباح
الى المكروه وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من موافقة المكروه فضلا عن فعل
استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال أفعالهم
واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك
والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا
في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وأبو الفرج عن مالك التزام ذلك
وجوبا وهو قول الأبهري وابن القصار وأكثر أصحابنا وقول أكثر أهل العراق
وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية وأكثر الشافعية على أن ذلك
ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من
الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في أفعاله لم يقيد
قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم اذ ليس كل
فعل من أفعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية
ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم
الفعل على القول اذا تعارضا من الأصوليين ونزيد هذا حجة بأن نقول من
جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون على أنه لا يقر
على منكر من قول أو فعل وأنه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل
على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى
هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب
على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وأيضا فقد علم من
دين الصحابة قطعا الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل
فن كالاقتداء بأقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم
حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت
المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها
أني أقبل وأنا صائم وقالت عائشة رضي الله عنها محتجة كنت افعله أنا

رد المنع

خ م
بافعال النبي

رسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذي أخبر بمثل هذا عنه فقال ان الله يحل لرسوله ما يشاء وقال اني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده والآثار في هذا أكثر من أن نحيط بها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما أنكر صلى الله عليه وسلم على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه **وأما المباحات** فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها الا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه أول الكتاب طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر أنبيائه عليهم السلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوءة فمنعها قوم وجوزها آخرون **والصحيح** ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع **وقد** اختلف الناس في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله أم لا فقال جماعة لم يكن ~~متبعا للشرع قبله أم لا فقال جماعة هم لم~~ يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الأحكام الشرعية انما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر رضي الله عنه الى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته

عـ عن

خ لشرع

خ بالأوامر

القائلين

انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره
واولى ما اشتهر به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم
يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه
يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي
طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى
واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره صلى الله عليه وسلم وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها
في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي رحمه الله وقالت فرقة
ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع
ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم
اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى
وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والاظهر
فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء
من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه السلام
اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة
عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم
ولا حجة ايضا للآخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللآخر في قوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد كقوله
تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث
ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب عليهما السلام على قول من يقول
انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية وشرائعهم
مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجمعوا عليه من التوحيد وعبادة
الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء
غير نبينا صلى الله عليه وسلم او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله
في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاين ما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال

على جميعهم

المعينين

بالوقف بعد اهله وقد قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بتساوي حجته
في كل نبيء

فصل

هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية
ويدخل تحت التكليف وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في
الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة
عليه فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص
بنفسه أما الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا
الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وعصمته من جوازه عليه قصدا أو سهوا فكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب
لا يجوز طروء المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ
والأداء وطروء هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا
عن أحاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا وإلى هذا مال أبو إسحاق وذهب
الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام
الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من أحاديث السهو في
الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الأقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في
القول ومخالفة ذلك تناقضها وأما السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا
قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى
الله عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني نعم بل حالة
النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله عليه وسلم سبب إفادة علم وتقرير شرع
كما قال إني لأنسى أو أنسى لأسن بل قد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن
وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص
واعتراض الطعن فإن القائلين بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر على السهو
والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح

صلى الله عليه وسلم ح

ويعرفون خ

وقبل النهي اضيف على قول الاكثرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام
من افعاله صلى الله عليه وسلم وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم
يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط
عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة
الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على
سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور وكما قال صلى الله عليه وسلم انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته
وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه
صلى الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب
والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله

فصل

في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا
في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه
في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية
على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه
الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم ثلاثة
احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث
ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في
الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه
بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على السهو بل يشعر به ليرتفع
الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو
في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق
وقد قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني وقال عليه السلام رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت

خ على

خ في الصلاة

اشغلكم ويزول نسيانكم وقال صلى الله عليه وسلم اني لا انسى او انسى
لاسن فقيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى
لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه
التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل
ما قاله ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل
عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي
له فأضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام
على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى
لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه
عنها والسهو شغل فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ويشغله
عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله
صلى الله عليه وسلم في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت
طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه صلى الله عليه وسلم كان
عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى
منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم
انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لانسى او انسى وقد
اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر
مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين
من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه
ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه
نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله
صلى الله عليه وسلم بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه
نسي او لنفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها

ونسي بعضهما ببعضهما كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها
وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل عن كل طاعة بطاعة وقيل ان الذي ترك
يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من
ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها في وقتها الامن
وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو
ناسخ له **فان قلت** فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة
يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي **فاعلم** ان للعلماء
عن ذلك اجوبة **منها** ان المراد بان من احكام قلبه عند نومه وعينيه
في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف
عادته ويصح من التاويل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ان الله
قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القي علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا
انما يكون منه لامر يريده الله من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع
وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان تكون لمن
بعدكم **الثاني** ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث
فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه
ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من
النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم
اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه
ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا **وقيل**
لا يستغرق قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم
عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا **فان قيل**
فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا الصبح **فقيل**
في الجواب انه كان من شانه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر لا تصح ممن نامت عينيه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة

بوقت بل الذي من أعمالها أولى بتعظيمه بدليل كما أنه شغل بشغل غيره النوم عن
صلاته **فإن قيل** فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول نسيت
وقد قال عليه السلام إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال
لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها **فاعلم أكرمك الله** أنه
لا تعارض في هذه الألفاظ أما نهيه عن أن يقال نسيت آية كذا فمحمول
على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله
اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو أو غفلة من قبله
تذكرها صلح أن يقال فيه أنسي وقد قيل إن هذا منه صلى الله عليه وسلم على
طريق الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب
العبد فيه وإسقاطه صلى الله عليه وسلم لهذه الآيات جائز
عليه بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده ثم يستذكرها من أمته
أو من قبل نفسه إلا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره
وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز أن
ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا
في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه

فصل

في الرد على من أجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك
اعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء عليهم السلام من الفقهاء
والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر
كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز
الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما
اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل
فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فإذا لم يكن مذهبهم إجماعا وكان
الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير إلى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله

فمن ذلك قوله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقوله
ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم
وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقوله عبس
وتولى الآية وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله وعصى آدم ربه فغوى
وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون
وقوله عنه ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك إني كنت
من الظالمين وما ذكر من قصته عليه السلام وقصة داوود وقوله وظن داوود
أنما فتناه فاستغفر ربه وأناب وقوله ولقد همت به وهم بها وما ذكر من
قصته مع إخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل
الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما أخرت
وما أسررت وما أعلنت ونحوه من أدعيته عليه السلام وذكر الأنبياء في الموقف
ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي
حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة
وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني
في الذين ظلموا إنهم مغرقون وقال عن إبراهيم والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وقوله عن موسى تبت إليك وقوله ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه
هذه الظواهر فأما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فهذا قد اختلف المفسرون فيه فقيل المراد ما كان قبل النبوءة
وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له
وقيل ما كان قبل النبوءة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر
وقيل المراد بذلك أمته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو
وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لأبيك آدم
وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي
قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات قال مكي مخاطبة

حم
قال القاضي

حم
عن

النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لأمته **وقيل** ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الآية ومآل المومنين
في الآية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية انك مغفور لك غير
مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب **واما
قوله تعالى** ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوءة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة **وقيل**
معناه انه حفظ قبل نبوته وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره وحكى معناه
السمرقندي **وقيل** المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردي والسلمي **وقيل** اراد حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه
مكي **وقيل** ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى
معناه القشيري **وقيل** معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت
وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما
قبل النبوءة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت
عليه بعد النبوءة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع
عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل
الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله له بحفظه
ما استحفظه من وحيه **واما قوله** عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم
يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله نهي فيعد معصية ولا عده
الله عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك
قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد
كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله له
فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه
لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر
بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم

خ منها

تجب عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون
الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا
قال الداودي وروي انها تكرمة **قال** مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله
واعزك **وحكى** السمرقندي ان معناه عافاك الله **واما قوله** في
اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآية فليس فيه الزام ذنب
للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء
فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم احلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي **فان قيل** فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية
قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده
والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه
بل روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس
بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر رضي الله عنه ان يعطف
عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى الآية
فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي ان يكون امر الاسارى معصية **وقيل** المعنى لولا ايمانكم بالقرآن
وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا
القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت
لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ
انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له
لم يعص قال الله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان صلى الله
عليه وسلم قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء
جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في
الاسارى ان شاءوا القتل وان شاءوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم
فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا
ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من

الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار
غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله
صلى الله عليه وسلم في هذه القضية لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه الا عمر
اشارة الى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه في اعزاز الدين واظهار
كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر
ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في
ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق قال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت
لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من
نص ولا جعل الامر فيه اليه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن
العلاء اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان تاويله وافق ما
كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله
ابن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله
ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى
الله عليه وسلم في شأن الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل
مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها
والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ
من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه
واما قوله عز وجل عبس وتولى ان جاءه الاعمى الآيات فليس
فيه اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم بل اعلام الله ان ذلك المتصدى
له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين لاختار
الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك
الكافر كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له
لا معصية ومخالفة وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين
امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك ألا يزكى
وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم

خ او انكار او تذنيب

تمليه الصلاح

قاله ابن قتيبة **وأما قصة آدم عليه السلام** وقوله فكلا
منها رغدا فقوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله ألم أنهكما
عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى
أي جهل **وقيل** أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا إلى آدم
من قبل فنسي ولم نجد له عزما **قال ابن زيد** نسي عداوة إبليس له وما
عهد الله إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو لك ولزوجك الآية **وقيل**
نسي ذلك بما أظهر لهما **وقال ابن عباس** إنما سمي الإنسان إنسانا
لأنه عهد إليه فنسي **وقيل** لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما
اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحدا لا يحلف بالله
حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار قال ابن جبير حلف بالله
لهما حتى غرهما والمومن يخدع **وقد قيل** نسي ولم ينو المخالفة فلذلك
قال ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة **وأكثر المفسرين** على أن العزم هنا
الحزم والصبر **وقيل** كان عند أكله سكران وهذا فيه ضعف لأن الله إنما
وصف خمر الجنة أنه لا تسكر فإذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك إن كان
ملبسا عليه غالطا إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم
التكليف **وقال أبو بكر بن فورك** وغيره إنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوءة
ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان **وقيل** بل أكلها متأولا
وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة
لا على الجنس وبهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة
وقيل تأول أن الله لم ينهه عنها نهي تحريم **فإن قيل** فعلى كل حال فقد
قال الله تعالى وعصى آدم ربه وقال فتاب عليه وقوله عليه السلام في
حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت فالجواب
عنه وعن أشباهه مجملا آخر الفصل **وأما قصة نوح عليه**
السلام فمبنية الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة نوح نص على ذنب

وقد

حتى
أنما

بسياق

وإنما فيه أنه ذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل إنما نقم الله عليه
خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا
الله عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا وقيل بل كانوا يقتلون
من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة وقد تقدم الكلام
أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية إلا على قول مرغوب
عنه وقوله إذ أبق إلى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد وأما قوله إني
كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند
بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما
حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه
فلم يؤاخذ **وقال** الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم وأضاف الظلم
إلى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا أنفسنا
إذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما من الجنة
وإنزالهما إلى الأرض **وأما قصة داود عليه السلام**
فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيها الأخباريون عن أهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد
في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود أنما فتناه إلى قوله
وحسن مآب وقوله فيه أواب فمعنى فتناه اختبرناه وأواب قال قتادة
مطيع وهذا التفسير أولى **قال ابن عباس** وابن مسعود ما زاد داود
على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه
عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره
وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل أحب بقلبه أن تستشهد **وحكى**
السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
بقول خصمه **وقيل** بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك
والدنيا **وإلى** نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود عليه السلام من ذلك ذهب
أحمد بن نصر وأبو تمام وغيره من المحققين **قال** الداودي ليس في قصة داود

ربنا

وأورده خبر يثبت ولا يكفر نافيه معينة فقيل فسليم وقيل إن الخضر الذي
اختصما إليه رجلان في نعاج غنم على كذا رواية **وأما قصة يوسف**
وإخوته فليس على يوسف منها تعقب وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم
فيلزم الكلام على أفعالهم وذكر الأسباط وعدهم في القرآن عند ذكر
الأنبياء قال المفسرون يريد من نبئ من أبناء الأسباط وقد قيل إنهم
كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار الأسنان ولهذا لم يميزوا يوسف
حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإن ثبتت لهم
نبوة فبعد هذا والله أعلم **وأما** قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم
بها لولا أن رأى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم
النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه إذا
هم العبد بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه إذا
وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطنت
عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف من هذا
ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك
منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ
فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم وأن الكلام فيه
تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقد
قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الأبواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي الآية قيل في ربي الله وقيل
الملك وقيل هم بها أن يضربها ويدفعها وقيل هم بها أي بمنعها امتناعه
عنها وقيل هم بها بنظره إليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا
كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل
شهوة حتى نبأه الله فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل

مرده الله عن حسنه **وأما خبر موسى** مع قتيله الذي وكزه فقد
نص الله تعالى أنه من عدوه قيل كان من القبط الذين على دين عدوه ودليل
الشورى في هذا كله أنه كان قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان
وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي
لنبي أن يقتل حتى يؤمر **وقال** النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وإنما
وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل إن هذا كان قبل النبوة وهو
مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء
بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون **وقيل** إلقاؤه في
اليم والتابوت وغير ذلك **وقيل** معناه أخلصناك إخلاصا قاله ابن
جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار إذا أخلصتها وأصل الفتنة
معنى الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في اختبار أدى
إلى ما يكره **وكذلك** ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت جاءه
فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل
ما لا يجب له إذ هو ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل لأن موسى
دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن
أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب
عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما
جاءه بعد وأعلمه الله أنه رسوله إليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين
على هذا الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله
المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء
عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف **وأما قصة**
سليمان عليه السلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد
فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين

بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم
تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال أصحاب
المعاني والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته
ومحنته وقيل بل مات فألقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه
على ذلك وتمنيه وقيل لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب
عليه من التمني وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن أحب بقلبه
أن يكون الحق لأختانه على خصمهم وقيل أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه
ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان
به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا
يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله وإن سئل لم لم يقل سليمان
في القصة المذكورة إن شاء الله فعنه أجوبة أسدها ما روي في الحديث
الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني
أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي
لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في
ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه الشيطان
الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل أراد أن يكون
له من الله فضيلة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله بخواص
منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كإلانة الحديد لأبيه
وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة [illegible]
ونحو هذا وأما قصة نوح عليه السلام فظاهر العذر وأنه أخذ
فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى إنا منجوك وأهلك فطلب مقتضى
هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد الله فبين
الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو
غير صالح وقد أعلمه الله أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم

فأوخذ بهذا التأويل وعوتب عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤال الله
ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكى النقاش لا يعلم بكفر ابنه
وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه
من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولم ينه عنه وما
روي في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله إليه
أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث ما
يقتضي أن هذا الذي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من
يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله ألا ترى أن هذا النبي كان نازلا
تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى
وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر
وترك التشفي كما قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر
فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه
وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا أمر نهي عنه
فيعصي به ولا نص فيما أوحى الله إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار
منه والله أعلم **فإن قيل** فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من
أحد إلا ألم بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكرياء أو كما قال صلى الله عليه وسلم
فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الأنبياء التي وقعت عن غير
قصد وعن سهو وغفلة

فصل

فإن قلت فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الأنبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وإشفاقهم وهل يشفق
ويتاب ويستغفر من لا شيء **فاعلم** وفقنا الله أن درجة الأنبياء في
الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة

بكشفه ما يحملهم على الخوف ومنه جل جلاله وإن شفعاء ومن المؤاخذة بما
لا يؤاخذ به غيرهم وإنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا ولا أمروا بها ثم ووخذوا
عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها أو أتوها على وجه
التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي
ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها
كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل ومنه
ذنب كل شيء أي آخره وأذناب الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ
ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل
الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله تعالى وإعظامه
في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما
تكون بالإضافة إلى هذه المنازل في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار
سيئات المقربين يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات وكذلك
العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيفما كانت من سهو أو
تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى أي جهل أن تلك الشجرة التي نهي عنها
والغي الجهل وقيل أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته
وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ بقوله لأحد صاحبي السجن
اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
قيل أنسي يوسف ذكر الله وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك
قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال
ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك
فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر
لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما
أتوا به من سوء الأدب وقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما
قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو
والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا من

عنه

خ أرذالهم

م بالإضافة إلى هذه المنزلة

غيرهم **فاعلم اكرمك الله** انه لا تثبت لك المواخذة في هذا على
غير مواخذة غيرهم بل نقول انهم يواخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك
زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماء
رتبهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداوود فغفرنا
له ذلك وقال بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس وقال بعد
ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب **قال** بعض المتكلمين
زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة زلف وكرامات واشار الى
نحو ما قدمناه **و**ايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم
بمواخذتهم في ذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر
على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع لاهل هذا النصاب الرفيع
المعصوم فكيف بمن سواهم **ولهذا** قال صالح المري ذكر داوود بسطة
للتوابين **قال** ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له
ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم **و**ايضا فيقال لهم فانكم ومن
وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء
من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما
معنى المواخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة
لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو والتاويل
وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من
الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير
شكرا لله على نعمه كما قال صلى الله عليه وسلم وقد امن من المواخذة بما تقدم
وما تاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقى
قال الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم
امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم اممهم كما قال صلى الله
عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة
والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء

خ بذلك

عليه السلام

محبة

محبة الله قال الله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاستغفار
الرسل والأنبياء الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة في كل حين
استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى
لنبيه بعد أن غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والأنصار الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا

فصل

فقد استبان لك أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله
عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من
ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا وإجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء
مما قرره من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصدا أو غير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعا وإجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل
النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر إجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن
استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه
للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فما يجب لك أن تتلقاه
باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم
فائدتها وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف
صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه
عما لا يجوز أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في مهواة الدرك
الأسفل إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار
ولهذا ما احتاط صلى الله عليه وسلم على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو
معتكف في المسجد مع صفية رضي الله عنها فقال لهما إنها صفية ثم قال
لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما
شيئا فتهلكا هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في
هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله إذا سمع شيئا منها يرى أن الكلام

من النار

ح
قال القاضي

فهذا جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة
التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتنبني عليها
مسائل لا تعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة
منها وهو الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم
واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في
افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال
الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به **وفائدة ثالثة**
يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا
من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع
الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله
فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع
حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول
وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل في القول في عصمة الملائكة عليهم السلام

اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم
المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم
في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم **واختلفوا** في
غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا
الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن
عنده لا يستكبرون عن عبادته الآية وبقوله كرام بررة وبقوله لا يمسه الا المطهرون او
ونحوه من السمعيات **وذهبت** طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين
منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير ونحن

خ لا تنعد

نذكرها

نذكر ما إن شاء الله بعد وتبيين الوجه فيها إن شاء الله والصواب
عصمة جميعهم وتنزيههم عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن
جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا أشار إلى الاحتجاج بالقضية التي
الكلام في عصمتهم وأنا أقول إن الكلام في هذه الدلالة فالكلام في عصمة
الأنبياء من الهفوات التي ذكرناها سوى ما يكون الكلام في أنه قول وإن فعال
بينهما فكتبنا ما سلف مما احتج به من يوجب عصمة جميعهم فقصة هاروت
وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقله المفسرون وما روي عن علي وابن عباس
رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما فاعلم أكرمك الله أن
هذه الأخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون
في معناه وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الأخبار
من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله أول الآيات من افترائهم بذلك
على سليمان عليه السلام وتكفيرهم إياه وقد انطوت القصة على شنع
عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الإشكالات إن شاء
الله فاختلف أولا في هاروت وماروت هل هما ملكان أو إنسيان
وهل هما المراد بالملكين أم لا وهل القراءة ملكين أو ملكين وهل ما في قوله
وما أنزل وما يعلمان من أحد نافية أو موجبة فأكثر المفسرين أن الله
امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وأن عمله كفر فمن تعلمه كفر
ومن تركه آمن قال الله تعالى إنما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس
له تعليم إنذار أي يقولان لمن جاء يطلب تعليمه لا تفعلوا كذا فإنه يفرق
بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فإنه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل
الملكين طاعة وتصرفهما فيما أمرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة
وروى ابن وهب عن خالد بن أبي عمران أنه ذكر عنده هاروت وماروت
وأنهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما أنزل على
الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما

٤ وتعلقه المعصم

عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيرهم انهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان
يبينا انه كفر وانه انما هو فتنة من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر
المعاصي والكفر المذكور في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل ابن يزيد ازواها
نافية وهو قول ابن عباس **قال مكي** وتقدير الكلام وما كفر سليمان ولم يريد
بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل
على الملكين **قال مكي** هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به
كما ادعوا عليه على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه **قال**
الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر
اللام وتكون ما ايجابا على هذا **وكذلك** قرأه عبد الرحمن بن ابزى
بكسر اللام ولكنه قال الملكان ها هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما
تقدم **وقيل** كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله عز وجل حكاه
السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي
حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله
بانهم مطهرون وكرام بررة لا يعصون الله ما امرهم **ومما** يذكرونه فيه
ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه
وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق
عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان ادم ابو الانس وهو
قول الحسن وقتادة وابن زيد **وقال** شهر بن حوشب كان من الجن الذين
طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع
في كلام العرب سائغ **وقد قال الله** ما لهم به من علم الا اتباع
الظن **ومما رووه** في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله
فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون وكذلك حتى
سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار
فلا نشتغل بها **الباب الثالث**

فيما يخصهم في الأمور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية

قد قدمنا أنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والرسل من البشر وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه وقد كتب الله على أهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الإعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس فلئن لم يكف نبينا عليه السلام ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى جبل ثور وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في مثل المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى ولتكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة

عليه السلام

ويرتفع

البشر ومعاناة بني آدم عليه السلام لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم
فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملإ الأعلى والملائكة
لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم إن
عينيّ تنامان ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي
ويسقيني وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر أن سره وباطنه
وروحه بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع
وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره
إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر
القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث
في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع ضعف
لذلك جسمه وخارت قوته وبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله عليه وسلم
قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك وأنه بخلافهم بقوله لست كهيئتكم إني أبيت
يطعمني ربي ويسقيني وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب
ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه

ليكون

وسحر

فصل

عليه السلام

فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سحر كما
حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه قال نا أبو حاتم بن محمد
قال نا أبو الحسن علي بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد
ابن إسماعيل قال نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سحر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله
وفي رواية أخرى حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث
وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي في ذلك وكيف
جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا
الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها

أبو حاتم بن محمد

وتلبيسهما علينا لما إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي
عما يدخل في أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز
عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته **وأما** ما ورد أنه
كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة
في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على
عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث
بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد
أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان **وأيضا** فقد فسر
هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن
وقد قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل
عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر
وتخييلات **وقد** قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله
وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد
وأقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه من أجوبة لأئمتنا عن هذا
الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل
وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي
الأضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث
عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروي نحوه عن الواقدي
عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم **وذكر** عبد الرزاق وعن عطاء الخراساني
عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة
فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه
الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة
سنة حتى أنكر بصره **وروى** محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله

ع
هذا

عليه وسلم وحبسه عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر
القضية فقد استبان لك من مضمون هذه الرواية أن السحر إنما
تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في
بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معنى
قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم
عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على
إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله وهذا
أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى إنه ليخيل إليه
أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن
أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل
إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا
لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد
المعترض أنسا

فصل هذه حاله في جسمه

فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد
والقول والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على
وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع **كما**
أخبرنا أبو بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة قالوا ثنا
أبو العباس أحمد بن عمر قال ثنا أبو العباس الرازي ثنا أبو أحمد بن عمرويه ثنا
ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا
ثنا النضر بن محمد قال حدثنا عكرمة ثنا أبو النجاشي قال ثنا رافع بن خديج قال
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون
قالوا كنا نصنعه فقال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا
ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم
بشيء من رأيي فإنما أنا بشر **وفي رواية** أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم

وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن
عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما
حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ
وأصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من
أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى
ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن
المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة
قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي
أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون
فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم في الأمر وأراد
مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه
برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها
لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه إذ ليس
في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها
وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة
الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة الدينية
والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله
التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة
وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق
مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في
باب معجزاته صلى الله عليه وسلم من هذا الكتاب

فصل

وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة
المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله
عليه وسلم إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته

خ أنزلكه الله

خ بها

خ يعتقده

من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه فمن قضيت له من أخيه بشيء فلا
يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار **حدثنا** الفقيه
أبو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو عمر ثنا أبو محمد ثنا
أبو بكر ثنا أبو داود ثنا محمد بن كثير أنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه
عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث **وفي رواية** الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض
فأحسب أنه صادق فأقضي له وتجري أحكامه عليه السلام على الظاهر
وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الأشبه
ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه تعالى لو شاء
لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد
يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر
الله أمته باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله ومقتضياته وسيره
وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى
الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لأحد في
شريعته لأنا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو إذا في ذلك
بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه
الأمة فأجرى الله أحكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من
البشر ليتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما
أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول
وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان
وأوضح في وجوه الأحكام وأكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي
بذلك كله حكام أمته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته
وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح
هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته **فصل**

خ ويستوفي

وأما أقواله الدنيوية من أخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو
فعله فقد قدمنا أن الخلف ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو
سهو أو صحة أو مرض أو رضى أو غضب وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم
هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فأما المعاريض
الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية
لاسيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره
وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المومنين من صحابته
وتاكيدا في تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله صلى الله عليه وسلم لأحملنك
على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه بياض
وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض وقد قال
صلى الله عليه وسلم إني لأمزح ولا أقول إلا حقا هذا كله فيما بابه الخبر
فأما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي في الأمور الدنيوية
فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا عن شيء
وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي أن تكون له خائنة
الأعين فكيف أن تكون له خيانة قلب فإن قلت فما معنى قوله
تعالى في قصة زيد وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك
زوجك الآية فاعلم أكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بإمساكها وهو يحب
تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا ما حكاه
أهل التفسير عن علي بن حسين رضي الله عنهما أن الله تعالى كان أعلم نبيه
صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها إليه زيد
قال له أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله
به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد
لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي أخفى

فيها

في نفسه ويحتمل هذا القول المقيم بين قوله بعد هذا وكان أمر الله مفعولا
أي بأن يتزوجها ويحتمل هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه
لها فدل أنه إنما أخفى له صلى الله عليه وسلم بما كان أعلمه به تعالى وقوله
تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله يدل
أنه لم يكن عليه حرج في ابن قبر **قال الطبري** وما كان الله ليؤثم نبيه
فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله سنة الله في الذين خلوا
من قبل أي من النبيين فيما أحل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من
وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما أعجبته ومحبته طلاق
زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه
من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا
يتسم به الأتقياء فكيف سيد الأنبياء **قال القشيري** وهذا إقدام
عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف
يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان
النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وإنما جعل الله
طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة حرمة التبني
وإبطال سنته كما قال ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكي لا يكون
على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ونحوه لابن فورك **وقال أبو الليث**
السمرقندي فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بإمساكها
فهو أن الله أعلم نبيه عليه السلام أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه
وسلم عن طلاقها إذ لم تكن بينهما ألفة وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به
فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله بزواجها
ليباح مثل ذلك لأمته كما قال تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج
أدعيائهم وقد قيل كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة وردا للنفس
عن هواها وهذا إذا أجزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا
لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجأة

خ شبهه

خ قبل قيل

مَعْفُوٌّ عَنْهُمَا لَمْ يَقَعْ فِي نَفْسِهِ عَنْهُمَا وَأَمَرَ زَيْدًا بِإِمْسَاكِهَا وَإِنَّمَا تُنْكَرُ تِلْكَ
الزِّيَادَةُ الَّتِي فِي الْقِصَّةِ وَالتَّعْوِيلُ وَالْأَوْلَى مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ وَحَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَطَاءٍ وَصَحَّحَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ
الْقَاضِي الْقُشَيْرِيُّ وَعَلَيْهِ عَوَّلَ أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ وَقَالَ إِنَّهُ مَعْنَى ذَلِكَ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ
مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ قَالَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَزَّهٌ عَنِ اسْتِعْمَالِ النِّفَاقِ فِي
ذَلِكَ وَإِظْهَارِ خِلَافِ مَا فِي نَفْسِهِ وَقَدْ نَزَّهَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى مَا كَانَ
عَلَى النَّبِيءِ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ قَالَ وَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ بِالنَّبِيءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَدْ أَخْطَأَ قَالَ وَلَيْسَ مَعْنَى الْخَشْيَةِ هُنَا الْخَوْفَ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ الِاسْتِحْيَاءُ
أَيْ يَسْتَحْيِي مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِهِ وَأَنَّ خَشْيَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّاسِ
كَانَتْ مِنْ إِرْجَافِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ وَتَشْغِيبِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِمْ تَزَوَّجَ زَوْجَةَ
ابْنِهِ بَعْدَ نَهْيِهِ عَنْ نِكَاحِ حَلَائِلِ الْأَبْنَاءِ كَمَا كَانَ فَعَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا وَنَزَّهَهُ
عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِمْ فِيمَا أَحَلَّهُ لَهُ كَمَا عَتَبَهُ عَلَى مُرَاعَاةِ رِضَى أَزْوَاجِهِ فِي سُورَةِ
التَّحْرِيمِ بِقَوْلِهِ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ الْآيَةَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ هُنَا وَتَخْشَى النَّاسَ
وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ وَعَائِشَةَ لَوْ كَتَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ لِمَا فِيهَا مِنْ عَتْبِهِ وَإِبْدَاءِ مَا أَخْفَاهُ

فصل

فَإِنْ قُلْتَ قَدْ تَقَرَّرَتْ عِصْمَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَقْوَالِهِ وَفِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ
وَأَنَّهُ لَا يَصِحُّ مِنْهُ فِيهَا خُلْفٌ وَلَا اضْطِرَابٌ فِي عَمْدٍ وَلَا سَهْوٍ وَلَا صِحَّةٍ وَلَا مَرَضٍ
وَلَا جِدٍّ وَلَا مَزْحٍ وَلَا رِضًى وَلَا غَضَبٍ وَلَكِنْ مَا مَعْنَى الْحَدِيثِ فِي وَصِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي حَدَّثَنَا بِهِ الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ نَا
الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ نَا أَبُو ذَرٍّ نَا أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْهَيْثَمِ وَأَبُو إِسْحَاقَ قَالُوا
نَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ نَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ نَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ نَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ
أَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا احْتُضِرَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فَقَالَ النَّبِيءُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمُّوا
أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قد غلبه الوجع الحديث **وفي رواية** ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا
بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فإن الذي
أنا فيه خير **وفي** بعض طرقه فقال إن النبي يهجر **وفي** رواية هجر ويروى
أهجر **و**يروى أهجرا **وفيها** فقال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم قد
اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا
عني **وفي** رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا
يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر
رضي الله عنه **قال أئمتنا** في هذا الحديث إن النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه
مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في
معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام وعلى هذا
لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا
إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى
أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في جميع
البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم **وفي حديث**
محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وعن غيره
من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل
عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو يحمل
قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد
من حال الرسول وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر
الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى
شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على
حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا **وأما** على رواية
أهجرا وهي رواية أبي إسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس
من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم أهجر

ومخاطبة

ومغالطة لهم من بعضهم اذ جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق
وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره
صلى الله عليه وسلم بان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله
عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن
قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر
رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف
عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب راي عمر رضي الله عنه ثم هؤلاء
قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه
في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون
عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة في تلك الامور
سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا
وقد علم عمر تقرر الشريعة وتاسيس الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم
دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر
حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك
الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية
وغير ذلك وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة
والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت
طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا
الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه
فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه
القصة بقول العباس لعلي رضي الله عنهما انطلق بنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي رضي الله عنه هذا اه

وقوله والله بد افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فالذي انا فيه خير اي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل

فان قيل فما وجه حديثه أيضا الذي حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **اللهم إنما محمد** بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مومن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة **وفي** رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة **وفي** رواية ليس لها بأهل **وفي** رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب أو يجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله **فاعلم شرح الله صدرك** أن قوله أولا ليس لها بأهل أي عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا صلى الله عليه وسلم لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره أن يتقبل فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة وهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه مما كان

خ لعنه

بحمله

يحتمل ويجوز العفو عنه اذ كان مخيرا بين المعاقبة فيه او العفو عنه
وقد يحتمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي
حدود الله وقد يحتمل ان ما ورد من دعائه ههنا ومن دعواته على غير واحد
في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد
بها الاجابة كقوله صلى الله عليه وسلم تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك
وعقرى حلقى وغير ذلك من دعواته وقد ورد في صفته صلى الله عليه وسلم
في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فحاشا
ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث
على هذا المعنى ثم اشفق صلى الله عليه وسلم من موافقة امثالها اجابة
فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة
وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه
من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه
ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده
او سبه على حق ولوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما
اجترم وان تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث
الاخر فمن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة فان قلت
فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع
الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري
ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي
صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب
ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه
على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى
النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث

فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه **وقد**
جعل المسلمون هذا الحديث أصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه
وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وأنه وإن نهى أن يقضي القاضي وهو
غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما وقد
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء
في الحديث الصحيح **وكذلك** الحديث في إقادته عكاشة من نفسه لم تكن
لتعدي حملة الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال له وضربتني
بالقضيب فلا أدري أعمدا أو أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم أعيذك بالله يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكذلك**
في حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب صلى الله عليه وسلم الاقتصاص
منه فقال الأعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه
وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات
وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع أدب لكنه
عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه **وأما حديث**
سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس
حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني قلت القصاص يا رسول
الله فكشف لي عن بطنه وإنما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم
يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب
التحلل منه على ما قدمناه

فصل

وأما أفعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي
والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله
غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله على السداد
والصواب بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه

إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذ منها لنفسه إلا قدر قوته وما يقيم
صلب جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس
أمته وما يكون فيها بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه
أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند
أو مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال
ويعد للأمور أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره
الراحلة وقد يركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب
الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك في لباسه
وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل
الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها
وإن كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا
منه وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه
كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين
وهو على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم
وكراهة لأن يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه
بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا
من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة
في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد
إبراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من أدنى
مياه بدر إلى أقربها للعدو من قريش وكقوله صلى الله عليه وسلم لو
استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر
والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول إن من شرار الناس من اتقاه الناس
لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله
ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء

خ م
وما أخذه فيها

خ
أفعاله

خ م
مخالفة لغيرهم
الصحيح خ

م
والعدو

من الكبر ويعرف ذلك من عادته ومن تبسمه في الكلام ويتحدث مع جلسائه
بحديث أولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع
الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يتنحى
على جلسائه يقول ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين **فإن قلت**
فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في الداخل
عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول وضحك معه فلما
سألته عن ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز
أن يكلم له خلاف ما يظهر ويقول في ظهره ما قال **فالجواب** أن فعله
صلى الله عليه وسلم كان استئلافا لمثله وتطييبا ليتمكن إيمانه ويدخل
في الإسلام بسببه أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام ومثل
هذا على هذا الوجه قد خرج من حد المداراة إلى السياسة الدينية وقد
كان يستألف بأموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان
لقد أعطاني وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي
وقوله فيه بئس ابن العشيرة غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه
لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان
مطاعا متبوعا ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة
بل كان جائزا بل واجبا في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة
والمزكين في الشهود **فإن قيل** فما معنى المعضل الوارد في حديث
بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد أخبرته أن موالي بريرة
أبوا بيعها إلا أن يكون لهم الولاء فقال لها صلى الله عليه وسلم اشتريها
واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال أقوام يشترطون
شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي
صلى الله عليه وسلم قد أمرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله
أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها
ثم أبطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم الغش والخديعة **فاعلم**

أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال
الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قد أنكر قوم
هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء إذ ليست في أكثر طرق الحديث
ومع ثباتها فلا اعتراض بها إذ تقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى أولئك
لهم اللعنة وقال وإن أسأتم فلها وعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك
ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء
لأنفسهم قبل ذلك **ووجه ثان** أن قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي
لهم الولاء ليس على معنى الأمر لكن على معنى التسوية والإعلام بأن
شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل أن الولاء
لمن أعتق فكأنه قال اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير نافع وإلى
هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم
على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا **الوجه الثالث** أن معنى
قوله اشترطي لهم الولاء أي أظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته أن الولاء
إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا
على مخالفة ما تقدم منه فيه **فإن قيل** فما معنى فعل يوسف عليه السلام
بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم سرقتها وما جرى على إخوته
في ذلك وقوله إنكم لسارقون ولم يسرقوا **فاعلم أكرمك الله**
أن الآية تدل أن فعل يوسف عليه السلام كان عن أمر الله لقوله تعالى
كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله
الآية وإذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وأيضا فإن يوسف
كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من
وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وإزاحة السوء والمضرة
عنه بذلك **وأما** قوله أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف
فيلزم عليه جواب لحل شبهه ولعل قائله إن حسن له التأويل كائنا من
كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف

ع فلا هو مما تقدم

خ لحل شبهه

ويتبعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم الاعتذار الا فيما ثبت فاما الروايات انهم قالوا
حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم

فصل

فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من
الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء
وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكرياء وعيسى
وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه
واصفياؤه **فاعلم وفقنا الله** ان افعال الله تعالى كلها عدل
وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف
تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم الذين آمنوا منكم ويعلم الصابرين
ويعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب
المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات
الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم
وتاكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم
وموعظة لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم
ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت او غفلات سلفت لهم ليلقوا
الله طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل **حدثنا**
القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا
نا ابو يعلى البغدادي قال نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى
الترمذي نا قتيبة نا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب
ابن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء
ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد
حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبيء
قاتل معه ربيون كثير الآيات الثلاث **وعن** ابي هريرة ما يزال البلاء
بالمومن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة **وعن**

منهم

حدثنا

أنس عنه صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في
الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم
القيامة وفي حديث آخر إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وعن
السمرقندي أن من كان أكرم على الله عز وجل كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله
ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان أنه قال يا بني الذهب والفضة يختبران
بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد ذكر أن ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه
التفاته في صلاته إليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو
وابنه يوسف على أكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه
واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب
وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وابيضت
عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على
سطحه ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي
نص الله علينا وروي عن الليث أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته
على ملكهم فكلموه في ظلمه وأغلظوا له إلا أيوب فإنه رفق به مخافة على زرعه
فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكر فكان من نيته في كون الحق في جنبة
أصهاره أو للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذا لأنها فائدة
شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة ما رأيت الوجع
على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت إنك لتوعك وعكا
شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن لك الأجر مرتين
قال أجل ذلك كذلك وفي حديث أبي سعيد أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال والله ما أطيق أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء إن كان النبي ليبتلى بالقمل حتى
يقتله وإن كان النبي ليبتلى بالفقر وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء
وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم أن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا

أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال
المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون
له كفارة وروي هذا عن عائشة وأبي ومجاهد وقال أبو هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وفي رواية عائشة
ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها
وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن
ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي
حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه أذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحات
ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب
الأوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند
قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات لتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك خلاف موت الفجاءة وأخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة
واللين والصعوبة والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل
خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة من حيث
أتتها الريح تكفؤها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل
الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزأ
مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين أقدار الله منطاع لذلك
لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح
وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما أتتها فإذا ازاح الله عن المؤمن رياح
البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع
الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه
فإذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت
عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم له من الآلام ومعرفة ما له فيها من
الأجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض وشدته
والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة الصماء

قال

أو

حسبما أراد الله تعالى كما قسمه بعينه على عمرانه وأخذه بغتة من غير
تكلف ولا رفق وكان موته أشد عليه حسرة ووقعا سيما نزعه مع قوة نفسه
وصحة جسمه أشد ألما ومرارة وللعذاب ابن حزم أشد كالبغاة الأولين وكم
(أخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في أعدائه كما قال تعالى فكلا)
قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته
الصيحة الآية فعم جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وفجأتهم به على غير
استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجأة ومنه في حديث أبي أمية
كانوا يكرهون الفجأة كأخذة الأسف أي الغضب يريدون موت الفجأة وحكمتها
قال الشيخ أن الله أمر بذكر الممات وبقدر تقدمه شرائطه تقدمه من نزول الموت
فيستعد من أمامه بتوبة ويعلم أنه عز من حاله للقاء ربه ويفرغ عن عقد الدنيا
الكثيرة الأنكاد ويكون قلبه متعلقا بالمعاد فيستقل من كل ما يخشى تبعته
من قبل الله ومن قبل العباد ويؤدي الحقوق إلى أهلها ويتكلم فيما يحتاج إليه
من وصية فمن تعجله إذا فجأه الموت ومن أنصف نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التشديد في مرضه من كان له عليه مال
أو حق في بدن أو عرض من نفسه وماله وأكثر من الاعتذار منه على ما ورد في
حديث الفضل وحديث الوفاة وأوصى بالتمسك بكتاب الله وعترته
وبالأنصار عيبته ودعا إلى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في النص
على الخلافة أو الله أعلم بمراده ثم رد الأمر فيها عنه أفضل وخيرا
وهذا كذلك في عباد الله المؤمنين وأولياء المتقين وهذه كلها تحرمه
غالبا الكفار والفجار والذين لم يزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات
فجأة سبحان الله كأنه على غضب المحروم من وصيته وقال موت الفجأة
راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر والفاجر وذلك لأن الموت يأتي المؤمن
وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى
راحته من نصب الدنيا وأذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه

ووفاة الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات
منذرة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
وكذا الموت اشد شيء عليه ومن الدنيا اقطع امر عنده واكره شيء له
والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

هنا انتهى الجزء الخامس من تجزئة مؤلفه رضي الله عنه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد تقدم من الكتاب والسنة
واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر
وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله اذاه في كتابه واجمعت الامة
على قتل منتقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال
في تحريم التعريض له يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا
الآية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا
ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع
الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء
به وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم
لا يرعونه الا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال

خ شانئه

مشاركة اللفظة لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة

وهذا

وهذا منه صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب
لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم أعنك إنما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني
بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون
والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء به فينادونه فإذا التفت قالوا إنما
أردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى
عليه السلام حمى أذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على
مدة حياته وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث
مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب إن شاء
الله وأن ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب
لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لأنه قد كان الله تعالى منع من ندائه
به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وإنما كان
المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعونه بكنيته أبا القاسم
في بعض الأحوال وقد روى أنس عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على
كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر فقال تسمون أولادكم
محمدا ثم تلعنونهم وروي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة لا يسمى
أحد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه أبو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد
أنه نظر إلى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع
فقال عمر لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب ألا أرى محمدا يسب بك والله لا تدعى
محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن وأراد أن يمنع لهذا أن يسمى أحد
بأسماء الأنبياء إكراما لهم بذلك وغير أسماء جماعة تسموا بأسماء الأنبياء ثم
أمسك والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم بدليل إطباق
الصحابة رضي الله عنهم على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه
بأبي القاسم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في ذلك لعلي وقد
أخبر صلى الله عليه وسلم أن ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي

بعضهم خ
يا رسول الله
عليه السلام

ع م
يمتنع

صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس
وغير واحد وقال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد
فصلنا الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمنا

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم سب أو نقص من تعريض أو نص

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه
اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو
ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به
أو شبهه بشيء على طريق السب له والإزراء عليه أو التصغير لشأنه
أو الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل على
ما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري
فيه تصريحا كان أو تلويحا وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له
أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة
بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيره بشيء مما جرى من البلاء
والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه
وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم
إلى هلم جرا **قال** أبو بكر بن المنذر أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى
الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحاق
وهو مذهب الشافعي **قال القاضي رضي الله عنه** وهو مقتضى
قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال
أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم لكنهم
قالوا هي ردة **وروى** مثله الوليد بن مسلم عن مالك **وحكى** الطبري مثله عن أبي حنيفة
وأصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم أو برئ منه أو كذبه **وقال**
سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة **وعلى** هذا وقع الخلاف في استتابته

اجـ

وتكفيره ومحل قتله حدا او كفرا كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله
ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد
ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد
علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال
محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر
والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره
وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن
الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال
ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان
مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه
مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه
يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي
المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية
ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه
وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي
كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او
غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال
اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد
الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى
الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء
النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به
عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء
بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي

خ المبسوطة

فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم أبي طالب ثم لعن بالقتل
وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله
عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تعرفون صفته هي
في صفة هذا المار في خلقته ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه
الله وليس يخرج مثله من قلب سليم الإيمان **وقال** أحمد بن أبي سليمان صاحب
سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل **وقال** في رجل
قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا
فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول ثم قال إنما أردت
برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك
يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل في
لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا موقر له فوجب إباحة دمه **وأفتى** أبو عبد الله بن عتاب في عشار
قال لرجل أد واشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد
جهل وسأل النبي بالقتل **وأفتى** فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه
الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن
قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا **وأفتى** فقهاء القيروان
وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم
وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه أمور
منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا عليه السلام
فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن
بالسكين وصلب منكسا ثم أنزل وأحرق بالنار **وحكى** بعض المؤرخين أنه لما
رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية
للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام أنه قال لا يلغ الكلب

تريدون

بحق

عليه السلام

في ذم مسلم **وقال** القاضي أبو عبد الله بن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقص إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته **وقال** حبيب ابن الربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابة **وقال** ابن عتاب رحمه الله الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضا أو مصرحا وإن قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد وكذلك أقول حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه أو بالميل إلى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه

فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه صلى الله عليه وسلم

عليه السلام

فمن القرآن لعنة الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه أذاه تعالى بأذاه ولا خلاف في قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية **وقال** في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا **وقال** في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله أي لعنهم ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي

إلى قوله أن تحبط أعمالكم وقد يحبطه العمل إلا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبيء ويقولون هو أذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب إلى قوله قد كفرتم بعد إيمانكم **قال أهل التفسير** كفرتم بقولكم في رسول الله **وأما الإجماع** فقد ذكرناه **وأما الآثار فحدثنا** الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة قال ثنا أبو الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيويه ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيئا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه **وفي** الحديث الصحيح أمر النبيء صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى **وكذلك** قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه **وكذلك** أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم **وفي** حديث آخر أن رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد أنا فبعثه النبيء صلى الله عليه وسلم فقتله **وكذلك** أمر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط **وعهد** بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه **وقد روى** البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبيء صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله **وذكر** عبد الرزاق أن النبيء صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا

يكفيني خ

فبارزه فقتله الزبير وروي ايضا ان امرأة كانت تسبه صلى الله
عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي
ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه
وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه
وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امرأة هناك
في الردة غنت بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها
فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء
عليهم السلام ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي
صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض
فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن
ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها
فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه
فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث
ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب
على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسماعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث
انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال
فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه لسبه إياك فقال اجلس فليس
ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر
ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي
صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر
ابن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر فكتب
عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجل سب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل
شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب

مالك. وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد نبيها من شتم الأنبياء قتل
ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد. **قال القاضي أبو الفضل**
رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من أصحاب مناقب
مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين
أفتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم
يشهر بعلم أو من لا يوثق بفتواه أو يميل به هواه أو يكون ما قاله يحمل على غير
السب فيكون الخلاف هل هو سب أو غير سب أو يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله
مالك على أصله وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله
من جهة النظر والاعتبار أن من سبه أو تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة
مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره **ولهذا** ما حكم له كثير من العلماء
بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي وقول الثوري وأبي حنيفة
والكوفيين والقول الآخر أنه دليل على الكفر فيقتل حدا وإن لم يحكم له بالكفر
إلا أن يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله
إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه أو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها
وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر أيضا فهذا كافر بلا خلاف
قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
إسلامهم **قال أهل التفسير** هي قولهم إن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من
الحمير وقيل قال بعضهم إنما مثلنا ومثل محمد إلا قول القائل سمن كلبك يأكلك
ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وقد قيل إن قائل مثل هذا
إن كان مستترا به إن حكمه حكم الزنديق يقتل ولأنه قد غير دينه وقد قال
صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولأن لحكم النبي صلى الله
عليه وسلم في الحرمة مزية على أمته وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة
لمن سبه صلى الله عليه وسلم القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره

فصل

فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام

جلد

فيقتله حدا

مستترا

عليكم ومن ذا دعاؤه عليه ولم يقتله وقال آخر إن هذه لقسمة ما أريد
بها وجه الله وقرر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد أوذي
موسى بأكثر من هذا فصبر ولم يقتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان
فاعلم وفقك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول الإسلام
يتألف عليه الناس ويميل قلوبهم إليه ويحبب إليهم الإيمان ويزينه
في قلوبهم ويداريهم ويقول لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين
ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس أن محمدا
يقتل أصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم
ويغضي عنهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر
لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان وبذلك أمره الله فقال ولا تزال
تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين
وقال ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
وذلك لحاجة الناس للتألف أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر
وأظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل
ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم أو غلبة
ممن لم ينتظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان به ممن كان
يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة وكذلك أهدر دم
جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا
بأيديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه صلى الله عليه
وسلم على الظاهر وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل منهم خفية
ومع أمثاله ويحلفون عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام
وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولوا العزم
من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا وأخلصوا سرا كما أظهروا
جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء وأعوان وحماة وأنصار

كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا
السؤال وقيل لعله لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم من اقوالهم ما رفع
وانما نقله الواحد ومن ليس في رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد
او امراة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهودي
في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه
عائشة رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه
النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم
في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما
يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت
بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم
الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب
عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين
في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر
منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف
المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير
واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ
الترات وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك
الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم
من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد
ابن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله
القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها

إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا الآية قال ومعناه إذا أظهروا
النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى
يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسختها ما كان قبلها وقال بعض
مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم
النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وإنما رآها من
وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها فلم ير ذلك
سبا ورآه من الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه
وكذلك يقال في اليهود إذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء
إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد
تسأمون دينكم والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين
ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي
أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض
بالسب وإنما هو تعريض بالأذى قال القاضي رحمه الله قد قدمنا
أن الأذى والسب في حقه صلى الله عليه وسلم سواء وقال أبو محمد بن نصر مجيبا
عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي
من أهل العهد والذمة أو الحرب ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل والأولى
في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنون ولهذا ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك
قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك
وقررناه قبل وقد صبر لهم النبي صلى الله عليه وسلم على سحره وسمه وهو أعظم
من سبه إلى أن نصره الله عليهم وأذن له في قتل من حينه منهم وإنزالهم من
صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم
من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا إخوة
القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم عن جوارهم وأورثهم
أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا

الشغل. وأما قوله بعد هذا في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه فإن هذه من حرمات الله التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي إزاره حتى أثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنها وقد قال بعض علمائنا إن أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره وأما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح ما يجوز للإنسان فعله وإن تأذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله عليه السلام في حديث فاطمة إنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها ألا وإني لا أحرم ما أحل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا أو يكون هذا مما آذاه به كافر رجا بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه. الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل لما قال في جهته صلى الله عليه وسلم غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه صلى الله

عليه وسلم نقيصة مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة
أو في حكم بين الناس أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده
أو يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها
عن قصد لرد خبره أو يأتي بسفه من القول أو قبيح من الكلام ونوع من السب
في حقه وإن ظهر بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته
على ما قاله أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة
وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل دون تلعثم إذ لا يعذر
أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان
عقله في فطرته سليما إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وبهذا أفتى الأندلسيون
على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه
وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو
يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان
في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره
يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه
السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب
الخمر على علم من زوال عقله به وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون
بسببه وعلى هذا ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض
على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي
قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت غير محرمة
حينئذ فلم يكن في جنايتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم
وشرب الدواء المأمون

فصل

الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به أو ينفي نبوته
أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير ملته أم لا
فهذا كافر بالإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان مصرحا بذلك كان حكمه أشبه بحكم
المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته

أي توقف وتردد في وجوب قتله شرعا

يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيره
وإن كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا
كما سنبينه قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد أو كذب به فهو مرتد
حلال الدم إلا أن يرجع وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال إن محمدا ليس بنبي
أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر
برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك
من أعلن بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى
إليه وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا إلى ذلك سرا أو جهرا قال أصبغ
وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال أشهب في يهودي
تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى الناس أو قال بعد نبيكم نبي أنه يستتاب إن كان معلنا
بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك لأنه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله
لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوءة وقال
محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى
فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الأمة
القتل وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه
وسلم أسود قتل لم يكن عليه السلام بأسود وقال نحوه أبو عثمان الحداد قال
لو قال إنه مات قبل أن يلتحي أو إنه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لأن هذا
نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر
وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل

الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن
حمله على النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره أو يتردد في المراد به من سلامته
من المكروه أو شره فهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف
المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر

خ مستترا

على القتل ومنهم من حكم بحرمة الدم ودرا الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد
اختلف أيمتنا في رجل أغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له
الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي
صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا إذا كان على
ما وصفت من الغضب لأنه لم يكن مضمرا الشتم **وقال** أبو إسحاق البرقي
وأصبغ بن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لأنه
لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل
الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على سب النبي صلى الله عليه وسلم
أو شتم الملائكة ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على أن مراده
الناس غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن
يصلي عليه الآن لأجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون
وهو مطابق لعلة صاحبيه **وذهب** الحارث بن مسكين القاضي وغيره
في مثل هذا إلى القتل وتوقف أبو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب
فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه
حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده هل أراد أصحاب
الفنادق الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف قال ولكن
ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن
تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه
إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لا بد من إعمال النظر فيه هذا معنى
كلامه **وحكي** عن أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن
بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما أردت
الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان **وكذلك** أفتى
فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لا أعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع
حاضر لباد ولعن ما جاء به أنه إن كان ممن يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن
فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى

خ اقتنا

خ يعذر

ولا سبّ رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما العذر في زجره من الناس على قدر
فتوى مشهوره واجمعا به في المسألة المتقدمة ومثل هذا يجري في كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر
القول ولا شك أنه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه وأجداده جماعة من
الأنبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع إلى آدم عليه السلام فينبغي الزجر
عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الأدب فيه ولو علم أنه قصد سبّ
من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال
لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم أو قال لرجل من
ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله أو ولده
على علم منه أنه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين
تقتضي تخصيص بعض آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم
وقد رأيت لأبي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله إلى آدم أنه
إن ثبت عليه ذلك قتل قال القاضي رضي الله عنه وقد كان
اختلاف شيوخنا رحمهم الله فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له
تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحاق
ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي أبو محمد بن منصور يتوقف
عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وأفتى فيها
قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي أبو محمد تصفيده
وأطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة
بعض من شهد عليه وهن ثم أطلقه وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله محمد
ابن عيسى أيام قضائه أتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه برجله
وقال له قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس
فأمر به إلى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد
عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه وقد غيّر عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اسم محمد بن زيد بن الخطاب لمثل هذا وذلك لما سمع

رجلا يسب رجلا اسمه محمد ويقول فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن
أخيه محمد بن زيد لا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى
محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن ثم هم بتغيير أسماء من تسمى بأسماء الأنبياء
عليهم السلام إكراما لهم لذلك وغير منها أسماء قوم معروفين ثم ترك ذلك

فصل

الوجه الخامس أن لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه
ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله الجائزة عليه في الدنيا
على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبه به أو عند
هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس على سبيل التأسي وطريق التحقيق
بل على قصد الترفيع لنفسه أو لغيره أو سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه
صلى الله عليه وسلم أو قصد الهزل والتنذير بقوله كقول القائل إن قيل في
السوء فقد قيل في النبي أو إن كذبت فقد كذب الأنبياء أو إن أذنبت فقد
أذنبوا أو أنا أسلم من ألسنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله أو
قد صبرت كما صبر أولو العزم من الرسل أو كصبر أيوب أو قد صبر نبي الله عن
عداه وحلم على أكثر مما صبرت وكقول المتنبي

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

ونحوه من أشعار المتعجرفين في القول والمتساهلين في الكلام كقول المعري

كنت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكما من فقير

على أن آخر البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي
صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم
في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه أشد ونحو منه قول الآخر

وإذا ما رفعت راياته ... صفقت بين جناحي جبرين

وقول الآخر من أهل العصر

فر من الخلد واستجار بنا ... فصبر الله قلب رضوان

وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد وفي وزيره أبي بكر بن زيدون

كأن أبا بكر أبو بكر الرضى ... وحسان حسان وأنت محمد

إلى أمثال هذا وإنما أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا لحكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء وأشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما عن حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصا ولست أعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها إزراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها أو معرة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثل لتطييب مجلسه أو إغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا إن درئ عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره وقرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله

فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب

وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه عن عسكره

حسان المصيصي

نخ

من بيانه وقد كتب القبسي أن ممن أخذ عليه أيضا وكتب به أبو فارس قوله
في محمد الأمير وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها خَلقا وخُلقا كما قد الشراكان

وقد أنكر أيضا على ابن خير قوله في ممدوحه

كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره

لأن حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف
إليه ولا يضاف فهو وأمثاله في مثل هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا
المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه ففي
النوادر من رواية ابن أبي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر
وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله
عليه وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا
أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا **وقال** عمر بن عبد العزيز لرجل انظر
لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي كافرا فقال
جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا **وقد** كره سحنون أن يصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما أمرنا الله **وسئل** القابسي عن رجل قال لرجل
قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء
أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه
حين رآه من وجهه أو عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد
لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب
للملك وإنما السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
قال وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر
إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في
فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه لله
يغضب غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان أثنى

خـ انكر ولو

أي

رأى

بشبهه

خـ التعرض لمثل

على المعتبر بعيشته وأشبه بصفة مالك كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديد
وليس في هذا ذم للملك ولا قصد لغضه وقال أبو الحسن أيضا في شاب
معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب
أليس كان النبي أميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما
قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ
في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم أميا آية له وكون هذا أميا
نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله فيترك لأن قوله لا ينتهي
به إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف
عنه ونزلت أيضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا
القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له إنما
تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله
عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان
بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله

فصل

الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن
سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على أربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فإن كان
أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإنكار والإعلام بقوله
والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك
إن حكاه في كتاب أو في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما
يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه
فإن كان القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو يقطع
بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه الإشادة بما سمع منه
والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة

وكون النبي

عليه

في التجريح

المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما
بحق سيد المرسلين **وكذلك** إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان
فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب
لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه السبيل
فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم وحماية عرضه متعين ونصرته عن الأذى
حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به
القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير
الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم
في الحديث فكيف بمثل هذا **وقد سئل** أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع
مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه ألا يؤدي شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وكذلك إن علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى
الاستتابة والأدب فليشهد ويلزمه ذلك **وأما** الإباحة لحكاية قوله
لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلا في هذا الباب فليس التفكه بعرض النبي
صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير
غرض شرعي بمباح **وأما** للأغراض المتقدمة فمتردد بين الإيجاب
والاستحباب **وقد** حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه
على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم
بما تلاه علينا في محكم كتابه **وكذلك** وقع من أمثاله في أحاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف
والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة الملحدين في كتبهم
من المسلمين
ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان ورد لأحمد بن
حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع أحمد مثله في رده على
الجهمية والقائلين بالمخلوق **وهذه** الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما
ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات
والأسمار والطرف وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك

المجان من رواة الشعراء والمتحرجين قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع
وبعضه أشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير
قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث
هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن
العودة إليه وإن قوم ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه من
البشاعة حيث هو كان الأدب أشد وقد حكي أن رجلا سأل مالكا رحمه
الله عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال إنما
حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله
على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي
فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره أو كانت تلك عادة له أو ظهر
استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله والاستخفاف له أو التحفظ لمثله
وطلبه ورواية أشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب
نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل
إلى الهاوية أمه وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت
مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر وقد ذكر بعض من ألف
في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه
وسلم وقراءته وكتابته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله أسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله
وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه
الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه وهذا
أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد به
من أهاجي أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه
وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره فكيف بما يتطرق إلى عرض
سيد البشر صلى الله عليه وسلم .

فصل

الوجه السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف

بمقدار

في جواز ذلك عليه وما يذكر له من الأمور البشرية ويذكر انما فيها البلاء او
بذكرها افتخر به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم
له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة
عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه
العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ
ليس فيها غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في
مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين
ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او تخشى
به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت
عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال
صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله
وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام
وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة
وتدريج لله تعالى لهم على كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته
بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه
وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه
تعريف حاله والخبر عن مبتداه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده
ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله
تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونما امره
حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم
باظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من
الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا
سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل

بطلب ملك أبيه وأن اليتيم من صفته وآخر علامة له في الكتب المتقدمة وأخبار
الأمم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب أرمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن
لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب وكذلك إذا وصفه بأنه أمي كما وصفه
الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته
العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما
منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الأول ووجود
مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة إذ المطلوب من الكتابة والقراءة
المعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة إليها غير مرادة في نفسها
فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية
في غيره نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين
أمره من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك
من عداه هذا شق قلبه وإخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة
نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم
جرا إلى سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمة بيته زهدا ورغبة
عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء أمورها وتقلب
أحوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن أورد شيئا منها
مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه
بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من أخباره
وأخبار سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكال
يقتضي أمورا لا تليق بهم بحال ويحتاج إلى تأويل وتردد فلا يجب أن يتحدث منها
إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد
كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى
وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها

خ إذا وصفه

في خ

فقال

فقال أبو بكر من الفقهاء وليت الناس وافقوه رحمه الله على ترك الحديث
بها وساعدوه على كفها فأكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من
السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل
والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على
وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن
في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم
من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها
وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم
من آمن به ومنهم من كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر منها
شيء في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه صلوات الله عليهم ولا يتحدث بها ولا
يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر
على وجه التعريف بأنها ضعيفة المقاد واهية الإسناد وقد أنكر الأشياخ
على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة
لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه
طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام
على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف
للبس وأشفى للنفس

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز
والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم
أن يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب من
توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب
عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة
لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه
السلام تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر

خ م أو منقولة

خ ويراعي

من العبارات ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا
ونحوه من العبارات ويتجنب لفظ الكذب جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال
هل يجوز أن لا يعلم إلا ما علم وهل يمكن أن لا يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى
يوحى إليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته وإذا تكلم في الأفعال
قال هل تجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة بعض
الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل
كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب
له من تعزير وإعظام وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه
ولم أستصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لأجل
ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله
وإذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه صلى الله عليه وسلم أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة
تقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا فأما ما أورده على جهة النفي
عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز
عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال
ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف
عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند
مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند
تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى
عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه تعالى وإجلالا له
وإشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني

في حكم سابه وشانئه ومؤذيه

ويتجنب ٤

شيء عنه

أوجبه

ومتنقصه ٣

ومؤذيه

فصل في توبته وذكر استتابته ووراثته

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك أو قائله وتخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه **وبعد** فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود **قال** الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب إذ هو حده **وقال** أبو محمد بن أبي زيد مثله **وأما** ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه **وقال** ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل **وكذلك** قد اختلف في الزنديق إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها بمجيئه فكأنا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة **قال القاضي** رضي الله عنه وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي ولأمته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث وإسحاق وأحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف **وحكى** ابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستتاب **قال** محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لأنه لم ينتقل

من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق
لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا
لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور
القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم
المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والبارئ تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا
وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من
الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق
لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد
القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا
وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع
لتعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي
رضي الله عنه يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر
ولكن بمعنى الازدراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه
اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو
عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم
يستتب لان السب من حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا
هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على
رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من
اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى
قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب
القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد به عليه او
اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه

خ للادميين

وغير ذلك حكم الزنديق إذا عثر عليه وأنكر أو تاب **فإن قيل** كيف تثبتون
عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة
وتوابعها **قلنا** نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه
بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة وإنكاره ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك
كان منه وهما أو غلطا ومعصية وأنه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع إثبات
بعض أحكام الكفر على بعض أشخاص وإن لم تثبت له خصائصه كقتل تارك
الصلاة وأما من علم أنه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك
وكذلك إن كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه أو تكفيره ونحوه فهذا ما لا إشكال
فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله
ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله المطلع على صحة إقلاعه العالم بسره
وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا
كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم
يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف
عباراتهم في الاحتجاج عليها وأجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على
ترتيبها تتضح لك مقاصدهم إن شاء الله

ومما خ

كعذا خ

فصل

إذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة
المرتد إذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب
جمهور أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب وحكى ابن القصار أنه إجماع من
الصحابة على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم ينكره
واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود **وبه** قال عطاء بن أبي رباح
والنخعي والثوري ومالك وأصحابه والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق
وأصحاب الرأي **وذهب** طاوس وعبيد بن عمير والحسن في إحدى الروايتين
عنه أنه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة وذكره عن معاذ وأنكره
سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو قول أهل الظاهر

ومحمد بن عيسى خ

فالوا وتنفعه توبته عند الله ولا كبير تدرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء انه ان كان مولودا في الاسلام لم يستتب ويستتاب ابن شلامين وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذالك سواء وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا يقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك رضي الله عنه والحر والعبد والذكر والانثى في ذالك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار وفي تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذالك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراي وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويوتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر الجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس

او حدا اذا استتر منه سواه ويوقف مع ذلك فالله خيفة ان يتلفه
على المسلمين ويكتم منه وكذلك يستتاب أبدا كلما رجع وارتد وقد
استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد أربع مرات او خمسا قال
ابن وهب عن مالك يستتاب أبدا كلما رجع وهو قول الشافعي وأحمد وقاله
ابن القاسم وقال إسحاق يقتل في الرابعة وقال أصحاب الرأي إن تاب
في الرابعة قتل دون استتابة وإن تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن
حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم أحدا أوجب على
المرتد في المرة الأولى أدبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفيين

خ وتبيغي

خ والكوفي وهو أبو حنيفة

فصل

قال القاضي رحمه الله هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته
من إقرار او عدول لم يدفع فيهم فأما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد
عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه
اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة
السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي
أمره أذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود إلى الغاية
التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته
وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به
لإشكال وعائق اقتضاه أمره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب
اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة فإذا تاب
نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب اذا تاب المرتد فلا
عقوبة عليه وقاله سحنون وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع
والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان
أقصى أمره القتل فعاق عن ذلك عائق بشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن

خ عليه

خ في

ويستحب أن يستتاب ولو كان رميه من الحرورية فعسى أن يتوب ويحمل عليه من الغير
ما يخبر وقال في مثله من أشكل أمره يشد في القيود شهرا ويضيق عليه في
السجن حتى ينكر فيما يجب عليه وقال في مسئلة أخرى مثلها ولا تعرف الروايات
الا بذلك في الواضحة وفي ابن حبيب بالشدة والسجن نكالا للسفهاء ويعاقب
عقوبة شديدة فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهد من غير ما ثبت من عدالة فيما
زجر عنه فما استحقهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فالأمر أخف لسقوط
الحكم عنه وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون
الشاهد من أهل التبريز فاستحقهما بعدالة فيعزر وإن لم ينفذ الحكم عليه
بشهادتهما فلا يرتفع النكير عنهما وللحاكم مثله في تنكيله موضع اجتهاد
والله ولي الإرشاد

فصل

قال القاضي رضي الله عنه من اختلط المسلمين فأما الذمي إذا
صرح بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف
عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا وهو قول
عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم
قالوا لا يقتل وما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل
بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
في دينكم الآية ويستدل أيضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف
وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن
نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا
ذمتهم وصاروا كفارا أهل حرب يقتلون لكفرهم وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود
الإسلام عليهم من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان
ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به وورد
لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها
من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى أبو المصعب الخلاف فيها عن أصحابه
المدنيين واختلفوا إذا سبه ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام

١

يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه
له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة
للأمر ونقضا للعهد فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله
قال الله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه
إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه
ولا استنمنا إلى باطنه إذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الأحكام باقية
عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه
حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاقه
النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه
من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم
فلأن لا نقبل توبة الكافر أولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن
القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ فيمن شتم نبيئا من أهل الذمة
أو أحدا من الأنبياء عليهم السلام قتل إلا أن يسلم وقاله ابن القاسم في
العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون وأصبغ لا يقال له أسلم ولا لا تسلم
ولكن إن أسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال
من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيئين من مسلم أو كافر
قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك إلا أن يسلم الكافر وقد روى ابن
وهب عن ابن عمر أن راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا
قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمدا لم يرسل إلينا إنما
أرسل إليكم وإنما نبينا موسى أو عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لأن الله
قد أقرهم على مثله وأما إن سبه فقال ليس بنبيء أو لم يرسل أو لم ينزل
عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله ونحو هذا فيقتل قال ابن القاسم وإذا قال
النصراني ديننا خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو
سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي
هذا الأدب الموجع والسجن الطويل قال وأما إن شتم النبي صلى الله عليه

أي اطمأننا

خ يسقطه عنه

وسلم شتما يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل
يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعا **وقال** ابن سحنون
في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب
العقوبة الموجعة مع السجن الطويل **وفي** النوادر من رواية سحنون
عنه من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضرب
عنقه إلا أن يسلم **وقال** محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب النبي صلى
الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على
ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان من
دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب النبي صلى الله عليه وسلم قال سحنون
كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في
قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الإسلام
من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة **قال القاضي رحمه الله**
ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم
فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما حكى أبو
المصعب الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي
فيه فضربته حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر برجله وطرح على
مزبلة فأكلته الكلاب **وسئل** أبو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا
فقال يقتل **وقال** ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه
أنه قال مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة فهو الآن في الجنة ما له لم ينفع نفسه
إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس **قال مالك**
أرى أن تضرب عنقه قال ولقد كدت أن لا أتكلم فيها ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت
قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته وإن شاء
أحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا في سبه **ولقد** كتب إلى مالك من مصر وذكر مسألة
ابن القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن يقتل وأن تضرب عنقه فكتبت

ثم قلت يا أبا عبد الله واكتب بأن يحرق بالنار فقال إنه لحقيق بذلك وما
أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه ونفذت الصحيفة
بذلك فقتل وحرق **وأفتى** عبد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف
أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى
لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول إسلامها ودرء القتل عنها به قال غير
واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب **وقال** أبو القاسم بن الجلاب
في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب **وحكى**
القاضي أبو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه بإسلامه **وقال**
ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي إسلامه
وإنما تسقط عنه بإسلامه حدود الله فأما حد القذف فحق للعباد كان ذلك
لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد
القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي وهو القتل لزيادة
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره أو ما يسقط القتل بإسلامه ويحد
ثمانين فتأمله

فصل في ميراث من قتل في سب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة

عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم
فذهب سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم كفر يشبه كفر الزنديق وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان
مستسرا بذلك وإن كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل
حال ولا يستتاب **قال** أبو الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم
في ميراثه على ما أظهر من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث
في شيء وكذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل إذ هو حده وحكمه في ميراثه
وسائر أحكامه حكم الإسلام ولو أقر بالسب وتمادى عليه وأبى التوبة منه
فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن

أصحابنا

لي

٤ شتمه

وتستتر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر
المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو
مثل قول اصبغ **وكذلك** في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله
ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب
فيمن اعلن بكفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من
المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله
اصبغ قتل على ذلك او مات عليه **قال** ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث
الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه
لا يورث **وقال** ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم
تقبل انه يصلى عليه **وروى** اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب
برسول الله او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال
بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي
وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود
وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث
واسحاق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل
ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين **قال القاضي رحمه الله**
وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف قول
سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من
المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة
وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام
بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم **وروى** ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة
المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب
والمغيرة وعبد الملك ومحمد بن سحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف
بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك

كل من استسر كفرا فإنهم يتوارثون بموافقة ابن شلبون وسئل أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب بأنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه
وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه وأزواجه

قال القاضي رحمه الله لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وكتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحاق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون افتراء على الله بارتداد إلى دين دان به وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هارون بن حبيب أخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله فأفتى إبراهيم بن حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل

أي الضجر والقلق

في التعبير والبشارة في أي ذلك لاحتمال كلامه وضعفه أي التشكيك ووجه خامس
قال في ساب الله تعالى بأن يستتاب فإنه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق
لغير الله فأشبه قصد الكفر بغير سب الله وإظهار أن ينتقل إلى دين آخر
من الأديان المخالفة للإسلام ووجه ثان أنه لا يستتاب لأنه لما ظهر منه
ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا وهو
معتقد له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له بحكم الزنديق ولم يقبل توبته وإذا
انتقل من دين إلى دين آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد أعلم أنه قد
خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد
يستتاب على مشهور مذاهب أكثر أهل العلم وهو مذهب مالك وأصحابه على
ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل

وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة
وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى
والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف
والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك وأصحابه في ذلك ولم
يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا
وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم
وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم
وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في
الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع أهل الأهواء وبه فسر
قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في
القدرية يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في أهل الأهواء
من الإباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف
لتأويل كتاب الله تعالى يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا
وميراثهم لورثتهم وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم

قال واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله له في المبسوط
في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما قتلوا لرأيهم
السوء قال وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال إن الله لم
يكلم موسى تكليما استتيب فإن تاب وإلا قتل وابن حبيب وغيره من أصحابنا
يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي أيضا
عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام أنه كافر واختلفت الروايات عن مالك
فأطلق في رواية الشاميين أبي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم
وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من
مشرك ولو أعجبكم وروي عنه أيضا أهل الأهواء كلهم كفار وقال من وصف
شيئا من ذات الله وأشار إلى شيء من جسده يد أو سمع أو بصر قطع ذلك منه
لأنه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال
أيضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر
ابن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي أبو عبد الله البرنكاني
والقاضي أبو عبد الله التستري من أئمة العراقيين جوابه مختلف
بقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة
خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري وأكثر أقوال السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة وروي ذلك عنهم فيمن
قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع وحفص بن غياث وأبو
إسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو قول أكثر المحدثين والفقهاء
والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية وأهل الأهواء المضلة وأصحاب البدع
المتأولين وهو قول أحمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه
الأصول وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن أبي طالب
وابن عمر والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا
بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات
منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام الإسلام عليهم قال إسماعيل

الفاسق، وإنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يستتابون فإن تابوا
وإلا قتلوا لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب إن رأى الإمام قتله
وإن لم يقتل قتله، وفساد المحارب إنما هو في الأموال ومصالح الدنيا وإن
كان قد يدخل أيضا في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد، وفساد أهل البدع معظمه
على الدين وقد يدخل في أمر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة.

فصل

في تحقيق القول في إكفار المتأولين

فقد ذكرنا مذاهب السلف في إكفار أصحاب البدع والأهواء المتأولين
ممن قال قولا يؤديه مساقه إلى كفر هو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه
قوله إليه، وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك، فمنهم من
صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف، ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم
من سواد المؤمنين، وهو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق وعصاة
ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم بأحكامهم، ولهذا قال سحنون
لا إعادة على من صلى خلفه في وقت ولا غيره، قال وهو قول جميع أصحاب مالك
المغيرة وابن كنانة وأشهب، قال لأنه مسلم وذنبه لم يخرجه من الإسلام،
واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير أو ضده، واختلاف
قول مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم منه، وإلى نحو من
هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق وقال إنها من المعوصات
إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما قالوا قولا يؤدي إليه، واضطرب قوله
في المسألة على نحو اضطراب قول إمامه مالك بن أنس حتى قال في بعض كلامه
إنهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا الصلاة
على ميتهم، ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد، وقال أيضا نورث
ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين، وأكثر ميله إلى ترك
التكفير بالمآل، وكذلك اضطرب فيه قول شيخه أبي الحسن الأشعري
وأكثر قوله ترك التكفير وأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري وقال

ونوارثهم خ

لشبه فيها

منهم خ

منزلة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق وليس بعارف
به وهو كافر وبمثل هذا كتب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق
وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بأن الغلط فيها يصعب لأن ادخال كافر
في الملة او اخراج مسلم منها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي
يجب الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فإن استباحة دماء المصلين الموحدين
خطر والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد
وقد قال صلى الله عليه وسلم فإذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم
وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة
ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه
وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في
التصريح بكفر القدرية وغيرهم وقوله لا سهم لهم في الإسلام وتسميته
الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من
اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بأنه
قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون
كفر وإشراك دون إشراك وقد ورد مثله في الزنى وعقوق الوالدين والزوج وغير
معصية وإذا كان محتملا للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع وقوله
في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت أديم السماء
طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا
الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر
إنما ذلك من قتلهم لخروجهم عن المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث
نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم ها هنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه
للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول
خالد في الحديث دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتجوا
بقوله صلى الله عليه وسلم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن
الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية

ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم إلى فوقه، وبقوله: سبق الفرث والدم
يدل على أنه لم يتعلق من إيمانه بشيء. **أجاب** ابن رشد: أن معنى لا يجاوز
حناجرهم، لا يفقهون معانيه بقلوبهم، ولا تنشرح له صدورهم، ولا تعمل به
جوارحهم. وشبه رميهم بقوله: وتتمارى في الفوق، وهذا يقتضي التشكك في حاله.
وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث: سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول: يخرج في هذه الأمة، ولم يقل منها، وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه
اللفظ. **أجابهم** ابن رشد بأن الحديث روي بما لا يقتضي تحديدا كونهم
من غير الأمة، بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض، وكونهم من الأمة مع أنه
قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث: يخرج من أمتي وسيكون
من أمتي، وحروف المعاني مشتركة، فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بفي ولا على
إدخالهم فيها بمن. لكن أبا سعيد رحمه الله أجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه
عليه، وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها
من الألفاظ، وتحريرهم لها، وتوقيهم في الرواية. هذه المذاهب المعروفة
لأهل السنة، ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة،
أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به، لا يكفر أحد بغير
ذلك. وقال أبو الهذيل: إن كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا
له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر، وكل من أثبت شيئا قديما لا يقال له الله
فهو كافر. وقال بعض المتكلمين: إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه، وكان فيما هو
من أوصاف الله فهو كافر، وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق، إلا أن يكون ممن لم
يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر. وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى
تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل، وفارق في ذلك
فرق الأمة، إذ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين في واحد، والمخطئ فيه
آثم عاص فاسق، وإنما الخلاف في تكفيره. وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني
مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني، وقال: وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك
في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من

خ يفقهون

خ من غير كونهم

غيرهم وقائل هذا القول الباطل وشناعته في أن كثيرا من العامة والنساء
والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة عليهم إذ لم تكن معهم
طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب
التفرقة وقائل هذا كله كافر للإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى
واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك قال القاضي
أبو بكر رضي الله عنه لأن التوقيف والإجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك
فقد كذب النص والتوقيف أو شك فيه والشك والتكذيب به لا يقع إلا من كافر

لعقد خ إذ

بالإجماع خ

والشك والتكذيب خ فيه خ

فصل في بيان

ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر

اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل
مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله
فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق وأصحاب الاثنين من الديصانية والمثانية
وأشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو
الملائكة أو الشياطين أو النجوم أو الشمس أو النار أو أحد غير الله من مشركي
العرب وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب وكذلك
القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض
وكذلك من اعترف بإلهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي
أو غير قديم وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا أو
أنه متولد من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو
أن ثم صانعا للعالم سواه أو مدبرا غيره فذلك كله كفر بإجماع من المسلمين
كقول الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة
الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة
والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع بكفر من قال بقدم العالم
أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ

والمنانية خ

الأزواج وانتقالها أبد الآبد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعيمها فيها بحسب
زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد
النبوة من أصلها عموما أو نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا
أو واحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب
كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية من النصارى والغرابية من الروافض
الزاعمين أن عليا كان المبعوث إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية
والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من
قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به وادعى في ذلك المصلحة
بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض
وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر
ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة
والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وإنما
خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم
فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل
والارتياب فيما أتوا به وكذلك من أضاف إلى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد
الكذب فيما بلغه وأخبر به أو شك في صدقه أو سبه أو قال إنه لم يبلغ أو استخف
به أو بأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم أو آذاهم أو قتل نبيا أو حاربه فهو
كافر بإجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من
الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج
بقوله وإن من أمة إلا خلا فيها نذير إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياء هذه
الأجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه
مع إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من
الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان أسود
أو مات قبل أن يلتحي أو ليس الذي كان بمكة والحجاز أو ليس بقرشي لأن وصفه

آبد الآباد

والعنبرية

بغير معاينة المفارقة لقوله وتكذيب به **وكذلك** من ادعى نبوة احد
مع نبينا صلى الله عليه وسلم أو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص
رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة القائلين
بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل إمام
عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم
القائلين بنبوة بزيغ وبيان وأشباه هؤلاء أو من ادعى النبوة لنفسه أو جوز
اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة
وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة أو أنه يصعد إلى
السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار
مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عليه السلام أنه خاتم النبيين
ولا نبي بعده وأخبر عن الله أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس
وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به دون
تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا إجماعا وسمعا
وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا على
نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بإبطال الرجم
ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك
أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل
مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير
كل قائل قال قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية
من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم
عليا وكفرت عليا إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه
لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه
كفرة على زعمهم وإلى هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر
الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى
قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي رضي الله عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على

قولهم لعنة الله عليهم وعلى الكذب على رسوله وآله وكذلك نكفر بفعل
أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام
مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو للشمس والقمر والصليب والنار
والسعي إلى الكنائس والبيع مع أهلها والتزيي بزيهم من شد الزنانير وفحص
الرؤوس فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر وأن هذه الأفعال علامة
على الكفر وإن صرح فاعلها بالإسلام وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من
استحل القتل أو شرب الخمر أو الزنى مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة
من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر
قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع
الإجماع المتصل عليه كمن أنكر وجوب الخمس الصلوات أو عدد ركعاتها
وسجداتها ويقول إنما أوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها
خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه في القرآن نص
جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك أجمع المسلمون على تكفير من قال من
الخوارج إن الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم إن الفرائض
أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة
منهم وقول بعض المتصوفة إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم
أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك
إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال
القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي
مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها ولعل الناقلين
أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا أو وهموا فهذا ومثله
لا مرية في تكفيره إن كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت
صحبته لهم إلا أن يكون حديث عهد بإسلام فيقال له سبيلك أن تسأل عن هذا
الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصر
الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمور كما قيل لك وأن تلك البقعة هي مكة

خ بكل فعل
ع بفعل ما

والبيت الذي فيها من الكعبة والقبلة التي صلى إليها الرسول والمسلمون
وحجوا إليها وطافوا بها وأن تلك الأفعال هي صفات عبادة الحج والمراد
به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأن صفات الصلوات
المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وأبان
حدوده فهذا يقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك
والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا أدري ولا
يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب إذ لا يمكن أنه لا يدري وأيضا فإنه
إذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه
قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به أدخل الاسترابة في جميع الشريعة
إذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك
من أنكر القرآن أو حرفا منه أو غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية
أو زعم أنه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجزة كقول
هشام الفوطي ومعمر الصيمري أنه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل
على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بهذا القول وكذلك نكفرهما
بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له أو في خلق
السماوات والأرض دليل على الله سبحانه لمخالفتهما الإجماع والنقل المتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك
من أنكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد علمه أنه من القرآن الذي في أيدي الناس ومصاحف
المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالإسلام واحتج لإنكاره إما بأنه
لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به أو لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره
بالطريقين المتقدمين لأنه مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم
لكنه تستر بدعواه وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو البعث أو الحساب أو القيامة
فهو كافر بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا وكذلك
من اعترف بذلك ولكنه قال إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر
والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وإنها لذات روحانية ومعان باطنة

الفوطي

كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعمهم أن معنى
القيامة الموت أو انتفاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة
وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء
فأما من أنكر ما عرف بالتواتر من الأخبار والسير والبلاد التي لا ترجع إلى
إبطال الشريعة ولا تفضي إلى إنكار قاعدة من الدين كإنكار غزوة تبوك أو مؤتة
أو وجود أبي بكر وعمر أو قتل عثمان وخلافة علي مما علم بالنقل
ضرورة وليس في إنكاره جحد شريعة فلا سبيل إلى تكفيره بجحد ذلك وإنكار
وقوع العلم به إذ ليس في ذلك أكثر من المباهتة كإنكار هشام وعباد وقعة
الجمل ومحاربة علي من خالفه فأما إن ضعف ذلك من أجل تهمة الناقلين ووهم
المسلمين أجمع فنكفره بذلك لسريانه إلى إبطال الشريعة فأما من أنكر الإجماع
المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فأكثر المتكلمين من الفقهاء
والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الإجماع الصحيح الجامع الشروط
الإجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد
خلع ربقة الإسلام من عنقه وحكوا الإجماع على تكفير من خالف الإجماع
وذهب آخرون إلى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الإجماع الذي يختص
بنقله العلماء وذهب آخرون إلى التوقف في تكفير من خالف الإجماع الكائن
عن نظر كتكفير النظام بإنكاره الإجماع لأنه بقوله هذا مخالف إجماع السلف
باحتجاجهم به خارق للإجماع قال القاضي أبو بكر القول عندنا أن الكفر بالله
هو الجهل بوجوده والإيمان بالله هو العلم بوجوده ولا يكفر أحد بقول ولا
رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله فإن عصى بقول أو فعل نص الله ورسوله أو أجمع
المسلمون أنه لا يوجد إلا من كافر أو يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لأجل
قوله أو فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون إلا بأحد ثلاثة أمور
أحدها الجهل بالله تعالى والثاني أن يأتي فعلا أو يقول قولا يخبر الله ورسوله
أو يجمع المسلمون أن ذلك لا يكون إلا من كافر كالسجود للصنم والمشي إلى الكنائس

بالتزام

أو فناء محض

بجحد

خ الشروط

خ على

خ ضرورة

بأنواع الزنادقة ومن احتمالهما في اعتقادهم أن يكون ذلك القول إذا لم يقصد به
يكن معه العلم بالله فالجهل ذات القول به وإن لم يكونا جهلا بالله فيهما عدم
أن يا علمنا كان من منسلخ من الإيمان فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى
الذاتية أو جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد
ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص أئمتنا على
الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها وعلى هذا حمل
قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه
فأما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم
وحكى ذلك عن أبي جعفر الطبري وغيره وقال به أبو الحسن الأشعري مرة وذهبت
طائفة إلى أن هذا لا يخرجه عن اسم الإيمان وإليه رجع الأشعري قال لأنه
لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وإنما يكفر
من اعتقد أن مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وأن النبي صلى الله
عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي
وفي رواية فيه لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث أكثر
الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها إلا الأقل وقد
أجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها أن قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه
في القدرة على إحيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم إلا بشرع ولعله لم يكن
ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فأما ما لم يرد
به شرع فهو من مجوزات العقول أو يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه
إزراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه
ولا ضابط للفظه بما استولى عليه من الجزع والخشية التي أذهبت لبه فلم
يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل هذا
من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل
العارف وله أمثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا
أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فأما من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال

ح يكون

أقوالهم وتكون لا عالم له ولا متكلم ولا يكون كلام له ومثل هذا في سائر الصفات
على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه
كفّره لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم
فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم ومثل هذا عنده سائر فرق أهل
التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم
موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول
ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن وأنتم
أنه كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين المأخذين
اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف
الناس في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران
وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم
والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ
عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه
كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمان الصحابة وبعدهم في
التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما أزاحوا
لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب
والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب
كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير
ذلك والله الموفق للصواب **قال** القاضي أبو بكر رضي الله عنه وأما
مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض
والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في
الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها
وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته
إن شاء الله

فصل

هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي **فروي** عن عبد الله بن عمر

في ذمتنا وأمن حرمة الله تعالى غير وأمنوا عليه من دينه وهاج فيه محرج
ابن عمر عليه بالسيف فكلمه بعض وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط
وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفر قتل ولم يستتب قال ابن القاسم إلا أن يسلم
قال في المبسوط طوعا قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه
عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم
فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم
من غير أهل الأديان الباري تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم
وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب
مسلما كان أو كافرا فإن تاب وإلا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك
وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا أن
يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ
الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله
والنبي صلى الله عليه وسلم بينهم وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول الأول
فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين
سب الله به وسب نبيه لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم
وأن لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف
العلماء في الزنديق إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ لا
يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين
لا يقر عليه أحد ولا تؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما أعلم من قاله غيره

فصل

هذا حكم من صرح بسبه وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلاهيته فأما مفتري
الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلاهية أو الرسالة أو النافي أن يكون
الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره
أو غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما

فرأينا أن لا تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيئته
لأنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرتدع عن شيء من العقاب ليكون ذلك زجرا
لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره وجهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف
استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق
الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي
وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله منهما في حال غمرته وذهاب
ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله منه في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله
وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال
ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى
تراض وقد حرق علي بن أبي طالب من ادعى له الإلهية وقد قتل عبد الملك
ابن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك
بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من
كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها
أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول
وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك
حكموا في ابن أبي العزاقر وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي
قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط
من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد أن الله خالقه أو ربه أو قال
ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن
تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله
أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا إن كان معلنا بذلك استتيب فإن
تاب وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن لعن بارئه وادعى أن لسانه زل وإنما
أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من أنه
لا تقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله إن تاب أدب
وإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لأن هذا كفر المتلاعبين

فصل

وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه
بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض
ما عظم الله من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير
قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف به دل
على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا
كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه
وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي
عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض
الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى
قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب وأفتى
بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربا
عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس
إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من
حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن
حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي
لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم **وأما** من صدرت
عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وإزراء
فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها
وشرح سببها ومقارنها **وقد سئل** ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى
رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك فقال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه
فلا شيء عليه **قال القاضي** رحمه الله وشرح قوله أنه لا قتل عليه
والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة
ربه لكفر هذا مقتضى قوله **وقد** أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا
الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا

وأقلّ ما فيه عدم ذكره ولولا أنّا قصدنا نصّ مسائل حكيناها ما ذكرنا شيئاً
مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول وأما ما ورد في هذا من أهل
الجهالة وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب * ربّ العباد ما لنا وما لكا *
قد كنت تسقينا فما بدا لكا * أنزل علينا الغيث لا أبا لكا * في أشباه لهذا من
كلام الجهّال ومن لم يقوّمه ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلّ
ما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى
مثله قال أبو سليمان الخطابي وهذا تهوّر من القول والله منزّه عن هذه
الأمور وقد روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن
يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا قال وكان
بعض من أدركنا من مشايخنا قلّ ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته
وكان يقول للإنسان جزيت خيراً وقلّ ما يقول جزاك الله خيراً إعظاماً
لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة أن الإمام أبا بكر الشاشي كان
يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته إجلالاً لاسمه
تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وينزّل الكلام في هذا الباب
تنزيله في باب سابّ النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصّلناها والله الموفق.

فصل

وحكم من سبّ سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخفّ بهم أو كذّبهم فيما
أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدّمناه
قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الآية وقال قولوا آمنا بالله
وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم الآية إلى قوله لا نفرق بين أحد منهم وقال
كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله قال مالك
في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ
وسحنون فيمن شتم الأنبياء أو أحداً منهم أو تنقّصه قتل ولم يستتب ومن سبّهم
من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سبّ الأنبياء

من اليهود والنصارى في غير الرجم فكذب به فمن ثبتت عصمته إلا أن يسلم وقد
تفرع الخلاف في هذا فقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في
بعض أجوبته من سب الله وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من
الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال إن جبريل أخطأ بالوحي
وإنما كان النبي علي بن أبي طالب استتيب فإن تاب وإلا قتل ونحوه عن سحنون
وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي أشبه بعلي
من الغراب بالغراب وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم من كذب
بأحد من الأنبياء أو تنقص أحدا منهم أو برئ منه فهو مرتد وقال أبو
الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف أنه
قصد ذم الملك قتل قال القاضي رضي الله عنه وهذا كله فيمن
تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين أو على معين ممن حققنا
كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه أو حققنا علمه
بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع كجبريل وميكائيل
ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن
من الملائكة ومن سمي فيه من الأنبياء وكعزرائيل وإسرافيل
ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهم فأما من
لم تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء
كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد
ابن سنان المذكور أنه نبي أهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون
نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه إذ لم تثبت
لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول
فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وإن لم تثبت نبوته وأما
إنكار نبوتهم أو كون الآخر من الملائكة فإن كان المتكلم في ذلك من أهل العلم
فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وإن كان من عوام الناس زجر عن الخوض في
مثل هذا فإن عاد أدب إذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام

خ فلا تثبت عصمته

خ م وكذا

خ م أو شك في شيء من ذلك وقال

خ م ممن نص

خ لهم

في خلاصه وقد ذكر السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل ان في مثل
العلم تكفيه للعامة

فصل

واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده
او حرفا منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه
من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء
من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا
الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله قال نا ابو علي نا ابن عبد البر نا ابن
عبد المومن نا ابن داسة نا ابو داود قال نا ابو علي نا احمد بن حنبل نا يزيد بن
هارون نا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله تعالى من المسلمين
فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة
او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين
مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس
انه كلام الله ووحيه المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما
فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد
فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع
على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك رحمه
الله قتل من سب عائشة بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن
قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى
تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان
ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب
بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى

نبيه
رسوله
واجمع

تكذيبا وشهرة الخبر عليه أنه قال إن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا لأنهما
اجتمعا على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم **وقال** أبو عثمان بن الحداد
جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان
أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ
كذا فبلغ ذلك إبراهيم فقال أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله
وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله
وقال أصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به
كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله **وقد** سئل القابسي
عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة
فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه سأله عن القضية فقال
إنما لعنت توراة بني إسرائيل فقال أبو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب
القتل والثاني إنما علق الأمر بصفة تحتمل التأويل إذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على
لعن التوراة مجردا لضاق التأويل **وقد** اتفق فقهاء بغداد على استتابة
ابن شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته
وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه
والتوبة منه سجلا أشهد بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة
سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر الأبهري
وغيره **وأفتى** أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك
وما علمك وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن قال أبو محمد وأما من
لعن المصحف فإنه يقتل

فصل

وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه صلى الله عليه وسلم وتنقصهم حرام ملعون
فاعله **حدثنا** القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ثنا أبو الحسين
الصيرفي وأبو الفضل العدل ثنا أبو يعلى ثنا أبو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا
الترمذي ثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا عبيدة بن أبي رائطة عن

خ م
اليهود

خ
وتغييرهم

عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن
أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا أصحابي فإنه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون أصحابي فلا تصلوا
عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وإن مرضوا فلا تعودوهم
وعنه صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فاضربوه وقد أعلم النبي
صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم يؤذيه وأذى النبي صلى الله عليه وسلم
حرام فقال لا تؤذوني في أصحابي فمن آذاهم فقد آذاني وقال لا تؤذوني
في عائشة وقال في فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد اختلف
العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع
قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه
أدب وقال أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر
أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاصي فإن قال كانوا على ضلال
وكفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال
ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان رضي الله عنه والبراءة منه
أدب أدبا شديدا ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر
ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي صلى الله
عليه وسلم وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
عليا أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربا وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون
من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم إنهم كانوا على ضلالة
وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي
عن مالك من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل فقيل له لم فقال من رماها

خ وإن سبهم

بقذفها لقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه بأن الله يقول يعظكم الله
أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر **وحكى**
أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب رضي الله عنه قال إن الله
تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون
إلى عائشة فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك
سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا
يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة **ومعنى** هذا والله أعلم أن
الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه
وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما
قدمناه **وروي** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نذر قطع لسان
عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد بن الأسود فكلم في ذلك فقال دعوني
أقطع لسانه حتى لا يشتم أحد بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **وشتم**
رجل عائشة رضي الله عنها بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي
فقال من حضر هذا فقال ابن أبي ليلى أنا فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه إلى
الحجامين **وروي** أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي
بأعرابي يهجو الأنصار فقال لولا أن له صحبة لكفيتموه **قال مالك** من
انتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق
قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية ثم قال
والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم الآية وهم الأنصار ثم قال والذين
جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين **وفي** كتاب ابن شعبان من قال
في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا
له وحدا لأمه ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره
ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فاجلدوه قال ومن قذف أم أحدهم

خ بسبه

خ ثم

ومعنى جاء فيه من هذه الفرية لأنه سب أذى بأن كان أحرجه وليس هذا الصحابي
عبثه فقام بما يجب له وإن لم يقم فقام به من المسلمين كان على الإمام أن يقوم فيه وإنما
قال وليس هذا كالعفو وغيره من الصحابة بحرمة مولاه بنسبهم صلى الله عليه
وسلم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام به فأما من سب غير
عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيه قولان أحدهما أنه
يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والآخر أنها
كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالأول أقول **وروى** أبو مصعب
عن مالك من سب من انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا
ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى
الله عليه وسلم **وأفتى** أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر
تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ما
حلفت إلا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال أبو المطرف
ذكر هذا لابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن
الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو أخص باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم
إليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه
ويبغض في الله تعالى **وقال** أبو عمران في رجل قال لو شهد علي أبو بكر الصديق
أنه إن كان أراد أن شهادته في مثل هذا لا يجوز فيها الشاهد الواحد فلا شيء عليه وإن كان أراد
غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت وذكروما روايـــــة

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله

هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي
الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن يكون في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل
باب منهج إلى بغيته ومنزع **وقد** سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع
وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في أكثر التصانيف مشرع
وأودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه

بعيهم خ

أو

أو فقرة يذب بها عن كتابه أو دينه إلا تبتغي بها أودية عما أردته والتي
الذي تعلو جزيل الضراعة في المنية في قبول ما ضمنته لوجهه والعفو عما تخلله
من تزين وتصنع لغيره وأن يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما أودعناه
من شرف مصطفاه وأمين وحيه. وأسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله
وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز خصائصه ووسائله ويحمي أعراضنا من
ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل عن
حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا بأسبابه
وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه
وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعته
ويحشرنا في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته ونحمده
تعالى على ما هدى إليه من جمعه وألهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما أودعناه
وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع
وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله ولا ينتصر من خذله
ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم
الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما

وصلى الله ع…
النبيين وسلم

انتهى كتاب الشفا والحمد لله
حق حمده وصلى الله على
مولانا محمد نبيه وعبده
وعلى آله وصحبه
وسلم
تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يقول الراجي عفو ربه . ومغفرة ذنبه . محمد
القاسم بن الحسين الحسيني الصقلي
أحسن الله حاله في الصدور والورود .
بعفو من هو للخلق رحمة وشفاء .

نحمد الله الذي أتم علينا نعمة الشفا . بوجود المصطفى بعد أن كنا
على شفا وأوردنا من سلسال حديثه المتسلسل ما عذب وصفا وحبانا
بالفضل منه من الرحمة والشفاعة ما أمن من المخاوف من الزلل والجفا
ونشهد أن الله الذي لا إله إلا هو العلي الأعلى العظيم لقدر
من النبي قوله وفعله المنزل الكلام العزيز آية في ثنائه عليه والإطراء
عظيم قدره لديه المنعم بتكميله له المحاسن خلقا وخلقا وبأنه جميع
الفضائل الدينية والدنيوية فيه تستوفى ونشهد أن سيدنا ومولانا
محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله الذي أوضح ما ورد من صحيح الأخبار
وتشهد منها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من
كرامته وما أكرمه الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه به من
الخصائص وصنوف الكرامات وما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه العاملين بفرض الإيمان به ووجوب
طاعته واتباع سنته المتصفين بلزوم محبته ومناصحته المواظبين على
تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره العارفين بحكم الصلاة عليه والتسليم
وبزيارة قبره وفضيلته في الحديث والقديم وما يستحيل في حقه وما يجوز
عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن تضاف إليه المعرفين بشرف
نسبته الطينية وما يختص بالأمور الدينية المنزهين لشريف جنابه عن
كل وصمة حين يتشبث به الغواة في العصمة المغترين به والمعتبرين للاختلال
في أحواله الدنيوية العالمين بما يجوز كونه عليه من الأعراض البشرية
العالمين أنه قيام في تقريره وجواب معلوم على من تنقصه أو سبه عليه

السلام

السلام مع تعظيم جميع الانبياء وما يلزم في حقه سب وتنقص من تعرض بقول او فعل وحكم
شانيه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته واستتابته والصلاة عليه ووراثته
صلاة وسلاما تترا ثم بين حكمهما في من سب من تعالى شانه ورسله وملائكته
وكتبه وآل النبي عليه السلام وصحبه وختم بفصل ختمها المعتبر ابن سنى
ويتم لنا ختمها بالحسنى **اما بعد** فقد تم بعون الله طبع كتاب
الشفا بتعريف حقوق المصطفى وهو كتاب كاسمه يشفي من داء الجهل
وسقمه ويعالج روح المؤمن وجسمه تصنيف امام المحدثين النقاد ابن حمد شيخ
شيوخ جملة الغربيين المحدثين من افتخرت المغارب بمشارفه واقتبست البسيطة
بانوار معارفه فريد العلماء الذي تبسمت عن فضائله ازهار الرياض سيدنا
ابو الفضل عياض الطالع طلوع الشمس بالخضراء من سبتة التي من اكبر الحمراء
المولود بسبتة سنة ست وسبعين واربعمائة في النصف من شعبان المتوفى
بمراكش سنة اربع واربعين وخمسمائة في سابع جمادى الاخيرة وقيل في رمضان
سقى الله ثراه بسحائب الرضوان واسكنه وايانا به فسيح الجنان
وكان طبعه الزاهر ووضعه الباهر تحت نظر دولة مليكنا ابن سلالة سبيل
الرسول عليه السلام نجل الخلفاء والسلطنة عمدة الشرفاء الخلفاء ابن الكرام ومن
امير المومنين مولانا الحسن لازالت ايامه الحسنة حسنة ابن عمار
ولا برحت دولته البهية تبدي الدول كواكب التنظار وذلك بالمطبعة
الفاسية ذات المحاسن الفاشية بملازمة الشريف المنيف ابي الفضل الفقيه
النبيه الفاضل دولة عمدة الشرفاء السني سيدي احمد العلمي الحسني بتنميق معلم
دار الطباعة المعلم العربي ابن عزوز رحمه الله طباعه وتصحيح العلامة
المشارك في اشتات الفنون سيدي التهامي جنون ولما ازدهر وضعه
وانتشر طبعه انشد لسان اليراع فيه ما دحا وباعطار النشر على تاريخ طبعه مادحا

مذ نشرت نفوس نشر كتابه	وغدا بطيبه كما اشعاده
اترى الافق منه بالنور ضيما	بشراه واح روضة غناء
او روى الطيب من حديث ربيع	بربوع عرفنا وعابق نداء

بإزالة قد تم الكتاب فيا — جاء من حبر أشرف ابن حياء
يا لفوز من بمهجته نال رشدا — لحبيب بعده الأهل إهداء
حين عز الوصال ونعم عيشنا — باجتهاد ينقد وحبيب الشفاء
عن نوى من تكلم النفس عنه — واشرحوا في بدائع الأنباء
وإذا كنوا في حقوقه من شفاء — لعيال من فزانا غير الشفاء
إن تفضل بي ودلا بدع إن قال — وأبو الفضل جملة الفضلاء
بلغوا جاء بالعجاب وأبدى — حق يا سيد سيد ابن صعيداء
أحمد الحمد سيد الخلق طه — نخبة الكون خاتم الأنبياء
إن رفيع أنال وأبعد الرفـ — ـع فيا خير من زان العلماء
من ربنا خير وجميع عن ريب — بعد كثر الشمس في سنة وسناء
لا يمل السماع منه وأر — ـير أن زوره الكتاب وإملاء
يا ع من شاء نفتلح بالطبع منه — مثل عز في بالروضة الفيحاء
فنرى بينة الشفاء إذا ما اتبعنا — نعما عال من شفاء حميداء
رب يا رب عاجلنا واعف عنا — واجبر الكسر واقض بذا الغماء
واغفر الذنب واستر العيب واقنع — كل خير يا راحم الضعفاء
واعفكم البريء وارحمنا وقنا من — كل شر وجملة ابن سواء
وانصر عرو وافتح الكتاب وعنا — وارحم الكل أرحم الرحماء
ولتنو من خوف الجميع إذا ما — نغف وزن الممسي يوم الجزاء
وأتلنا حشر الختام بفضل — وأبغنا الجنة وسر دار البقاء
لست أجوسو إذا فامنن وشفع — في الذي زفت سيد الشفعاء
صلوات من ربي الإله عليه — وعلى تابعيه شهب السماء
فاسرى وحراة نسيم عليل — بعد الحبيبة أجاد وادي
وشرا أمرا جاد وجعلا بتاريـ — ـخ بفتح كمال طبع الشفاء

٥٢٠ ١و ٤٨١ ١١١٣ م

1305

كمل بحمد الله وعونه وتوفيقه ومنه والصلاة
والسلام على مولانا محمد المصطفى
قاله مرتجلة
الـ...

